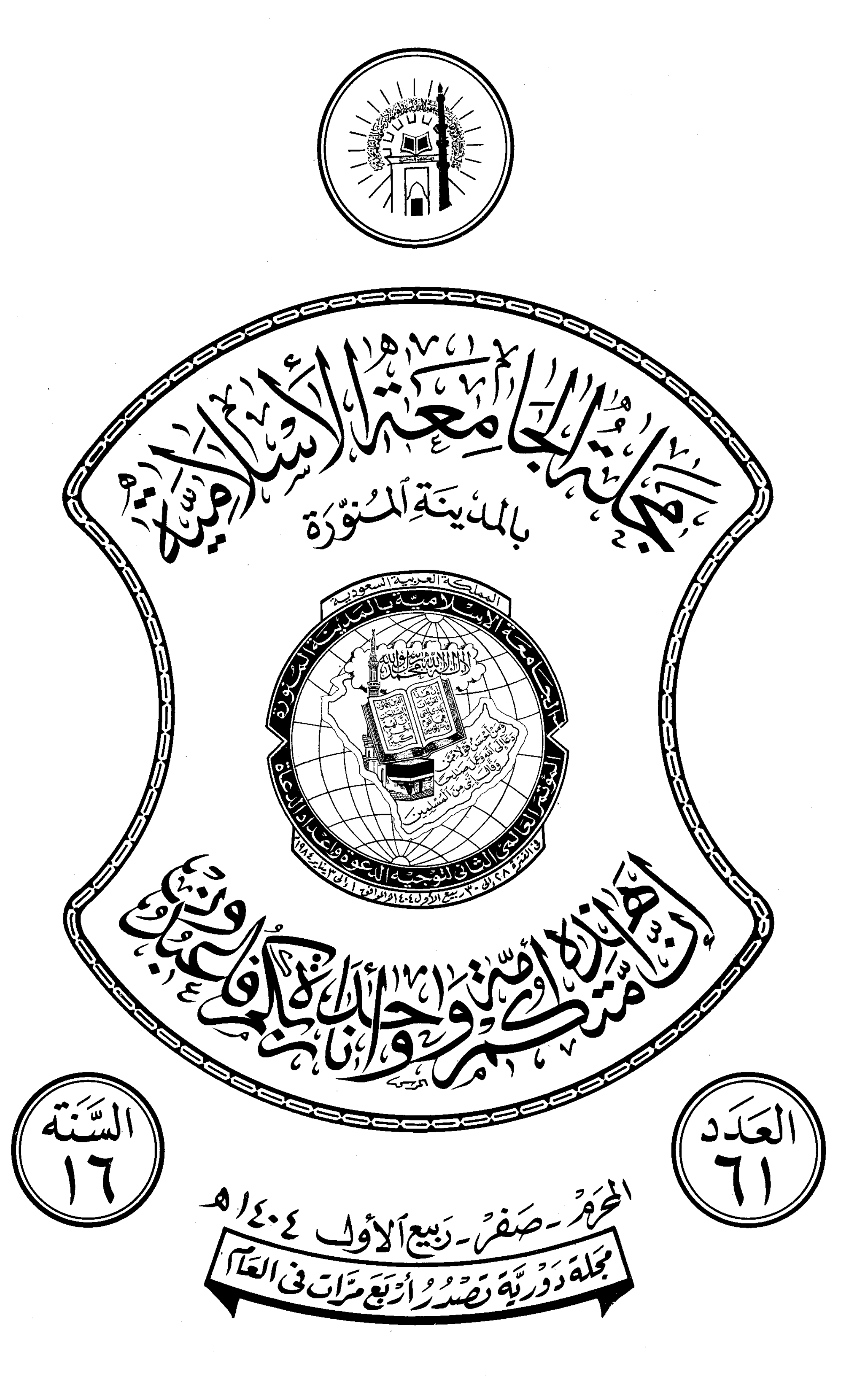
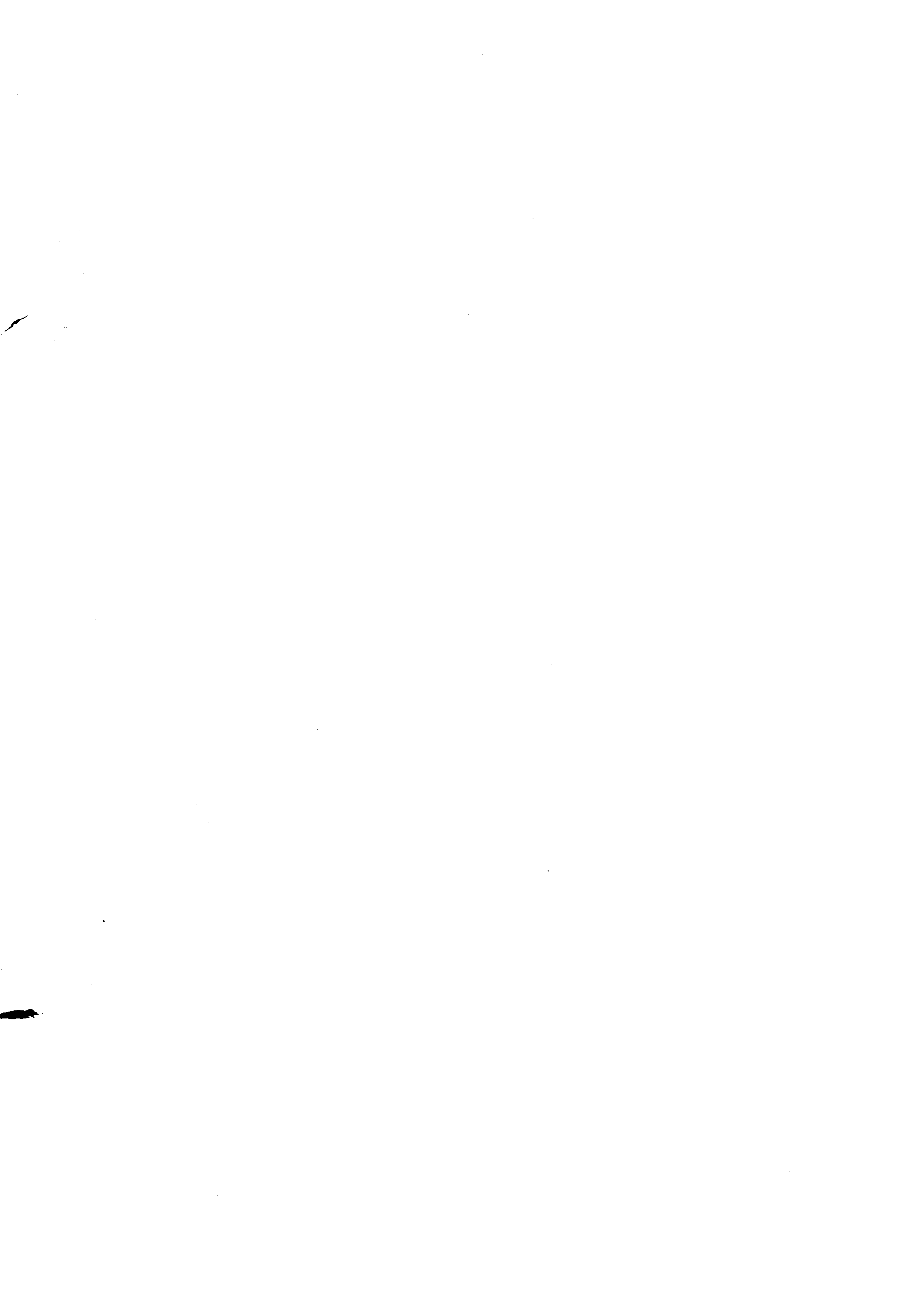

مجلة الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة
المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون
العدد
٦١
السنة
١٦
المحرم - صفر - ربيع الأول ١٤٠٤هـ
مجلة دورية تصدر أربع مرات في العام



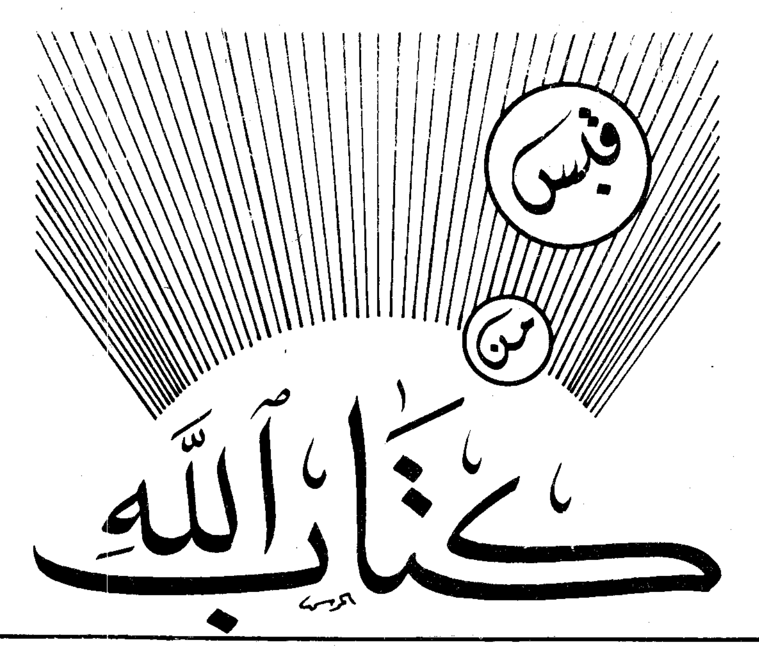
بسم الله الرحمن الرحيم



هيئة التحرير

المراسلات: ترسل باسم مدير التحرير - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

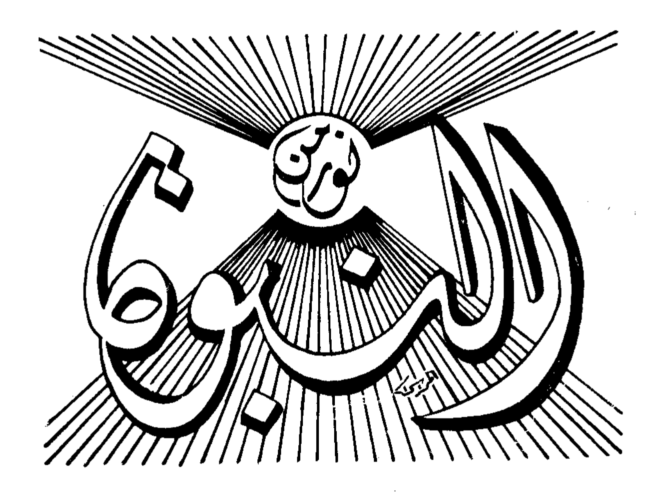




قال الله تعالى:

وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ
وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ
أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم
بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا
حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ من سورة آل عمران





قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

اَلْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ
كَالْبُنْيَانِ
يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا

رواه مسلم





قال تعالى: إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ[1] وقد شبّه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم المؤمنين بأعضاء الجسد الواحد، ولم يكن شيء أبغض إليه بعد الكفر بالله من الاختلاف والتنازع ولو في الأمور العاديّة ولمّا كان الاختلاف في الفهم والرأي من طباع البشر "وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ"[2] - خصّ الاختلاف المذموم في الإسلام بما كان عن تفرّق أو سببًا للتفرّق، وجرى على ذلك السّلف الصّالح فحظروا فتح باب الآراء في العقائد وأصول الدّين وحتّموا الاعتصام فيهما بالمأثور من غير تأويل، وخصّوا الاجتهاد بالأحكام العمليّة، ولاسيّما المعاملات، وكان بعضهم يعذر كلّ من خالفه في المسائل الاجتهادية ولا يكلّفه موافقته في فهمه.

"عن كتاب الوحدة الاسلامية لمحمد رشيد رضا"

١ - الآية ٩٢ من سورة الأنبياء - ٢ - الآيتان ١١٨، ١١٩ من سورة هود



افتتاحية العدد

الدَّعوَة إلى اللهِ والواقِع المعَاصِر

الدكتور عبد الله الصالح العبيد
رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الحمد لله العزيز القائل ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير محمد النبي الأمين خير من دعا إلى الله وآمن به وعمل لشرعه فكان القدوة المثلى والأسوة الحسنة ورضى الله عن أصحابه واتباعه إلى يوم الدين . وبعد :

فإنه لشرف للجامعة الإسلامية أن تحتضن المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة الذى ينعقد تحت موضوع « **سبيل الدعوة الإسلامية إلى تحقيق التضامن الإسلامي ووحدة المسلمين** » وفي نطاق الاستعداد لهذا المؤتمر يشرفها كذلك أن تصدر هذا العدد الخاص من « مجلة الجامعة الإسلامية » الذى يضم بعض المقالات والبحوث والدراسات عن الدعوة من خلال اهتمامات المؤتمر .

وبين يدى هذه المناسبة أطرح هذه الأسطر التى تتعلق بمنهج الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ومتطلباتها إذ لعل في مناقشتها ما يلقي بعض الضوء في طريق الوصول إلى الحكمة المنشودة في هذا السبيل .

أهميـــة الدعــــوة :

تكتسب الدعوة إلى الله أهميتها من أنها رسالة الله إلى الخلق وأمر الله الذى أراد من عباده أن ينهجوه ، ومن هذه الأهمية يتسابق محبوا الخير ، وفي السباق يكون التنافس ومعروف أنه إذا لم يحكم التنافس منهج وضوابط فإنه يورث الحقد والكراهية والحسد . والضوابط التى يضعها الله سبحانه هي القول الحسن في الدعوة ، والعمل الصالح في سبيلها ، والانتماء الصادق لجماعة المسلمين ، حيث يقول سبحانه ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين** ﴾ وهي مع هذه الالتزامات لا تقف على وسيلة معينة ولا على جماعة مخصصة أو بلاد محددة ، إنها رسالة المسلم حيث وجد على ظهر

الأرض أياً كان عمله وأينما كان مركزه وكيفما كان موقعه ﴿ **أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن** ﴾ ، وللحكمة أبعادها وآفاقها وللموعظة حكمها وأساليبها وللمجادلة أسبابها وآدابها والأمر مع كل ذلك لا يعني أن العمل في مجال الدعوة مطلق للفرد على عواهنه فالفرد يخسر بمفرده لكن للنجاة من الخسار عليه أن يعمل مع الآخرين لهدايتهم ومع الآخرين للاستعانة بهم يقول عز وجل ﴿ **والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ .

ومع هذه المسئولية الكبيرة والرسالة العظيمة يصبح من نافلة القول الاطالة في الحديث عن أهمية العلم والمعرفة للإنسان ولجماعة المسلمين قبل الدخول في مجالات العمل ، ذلك أن المعرفة في دين الله وفي أصول الدعوة إذا لم تقم وتبنى على العلم الشرعي فسوف تقام وتبني على غيره وأمر الله لا يقوم إلا على شرعه ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ ومن المسلم به عقلا وشرعاً الا يعبد الله إلا بما شرع . فالعلم بشرع الله أولا ثم الالتزام بالدعوة إليه ثانياً . من خلال المسئولية الفردية والتعاون الجماعي وعلى الأصل المشار إليه يتشكل منهج الدعوة إلى الله سبحانه ثم إن الدعوة بهذا تعتبر حركة مستمرة لا تنتظر مؤتمرات تعقد ولا اجتماعات ترتب إلا أن الاجتماع على الخير أمر مطلوب وتدارس أحوال الدعوة والدعاة إلى الله أمر مرغوب « ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

واقـــع الدعـــوة :

ويعيش المسلمون هذه الفترة من حياتهم على الكثير من الخلافات والصراعات القائمة بينهم وبين أعدائهم من جهة وبينهم وبين أنفسهم من جهة أخرى . ويصعب في الوقت الحاضر التفريق بين الواجهتين الداخلية والخارجية ذلك أن الأعداء نقلوا المعركة من المواجهة العسكرية المكشوفة بعد فشلهم فيها وتحرر بعض البلدان الإسلامية من ربقة الاستعمار ، نقلوها في كثير من المواقع إلى مواجهات بين المسلمين أنفسهم من خلال زرع بذور الفتنة والخلافات العنصرية والعصبية والقبلية وأن يتسمى بالمسلمين من ليس منهم فيؤسسون الجمعيات ويقيمون الجماعات كيما يضرب المسلمون رقاب بعض ويستعين بعضهم بأعداء الله لقتال البعض بل لقتال المستقيمين منهم على أمر الله . لقد كان من المقبول في السابق أن تعيش القبيلة على تعدد فصائلها والدولة على شتات أقاليمها واختلاف تضاريسها وخلفياتها أيام الاستعمار . أما الآن فأصبح ذلك من سمات التخلف

وصفات الماضي التى يجب أن لا تعود وأضحى من اللازم أن تتفرع القبيلة وتتشتت الأسرة الكبيرة وتتوزع الدولة إلى دويلات كيما تكون دواعى الافتراق أقوى من دواعي الالتقاء وعوامل الاختلاف أكبر من عوامل الائتلاف وليس بخاف على كل مسلم مدرك ما يعايشه المسلمون اليوم من جراء ذلك ولكن بفضل الله ومنته ـ تولدت بين المسلمين عودة إلى دين الله واستعادة لمنهج الله فبقدر ما لقوا من العناء وما كابدوا من الشقاء عملوا بقوة واندفاع لاستعادة المكانة واعادة البناء ، وفي ظل هذه الظروف وملابساتها كانت الصحوة الإسلامية المعاصرة التى بدأت بيئية واقليمية بحكم المعايشة للظروف المحلية ثم انتقلت إلى صيغة الشمول والعالمية بحكم ما جد في العلاقات والاتصالات والمصالح والروابط الدولية ، لقد حققت الدعوة الإسلامية في العصر الحديث جانبا هاما فى سبيل التضامن الإسلامى وتحقيق وحدة المسلمين ، ولكن ما يخشى هو ألا تستمر الجماعات والجمعيات الإسلامية في أداء هذا الدور بل إن ما يخشى منه أكثر أن تكون بعض تلك الجماعات والجمعيات نقطة ضعف في تضامن المسلمين وتحقيق وحدتهم ولذا فلابد من مواجهة الواقع من قبل العاملين في مجال الدعوة الإسلامية ومن قبل القادة والمسئولين في مجال تلك الجماعات والجمعيات بدراسة الوضع ومعالجته . وليست هذه العجالة مكانا لتشخيص الداء ولا لوصف الدواء ، ولكن بقدر ما تقدم من لمحة عن أهداف الدعوة إلى الله وما يستعرض من أسباب أدت إلى الصحوة الإسلامية المعاصرة بما فيها من سلبيات وايجابيات ما يمكن أن ينظر على ضوئه ـ وما يمكن أن يضاف عليه ـ في منهج للتفكير في مواجهة التحديات الجديدة والصراعات القائمة .

من أسباب وظواهر الصحوة الإسلامية :

إن من أهم الأسباب التى أدت إلى الصحوة الإسلامية المعاصرة وما اكتنف تلك الأسباب من سلبيات ما يلي :

أولا : إن المسلمين قد تجاوزوا مرحلة من مراحل الجهل التى ضربت أطنابها على بقاعهم فانتشر التعليم وتوسعت دوائر المعرفة وتعددت وسائل الإعلام والنشر وأصبحت وسائل التعريف بالدعوة بين المسلمين في وضع أفضل مما كانت عليه في الفترة الممثلة لعصر التخلف والانحطاط . ومع أن المناهج والبرامج التعليمية والإعلامية لم توجه التوجيه الديني الكافي إلا أن التوجيه الديني كان قويا حتى بين صفوف المشتغلين بالعلوم التطبيقية والذين حصيلتهم الدينية من خلال المناهج التربوية بسيطة وعامة . إلا أن الوسائل والمؤسسات

العاملة في مجالي التعليم والإعلام لم تسلم من التأثيرات الخارجية وضعف التجربة الذاتية . كما أن الكتاب الإسلامى لم يسلم من سبل الارتزاق والمتاجرة .

ثانيا : قيام بعض الحركات الاصلاحية في الجزيرة العربية والهند ومصر والسودان وتونس وغيرها من بلاد المسلمين مثل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والمهدية والسنوسية وأهل الحديث وأنصار السنة والجماعات الإسلامية والإخوان المسلمون وما تولد عن تلك الحركات من نشاطات وما صاحب ذلك من تضحيات بالأموال والأنفس والثمرات وما نتج عن ذلك كله من تمدد وانكماش وما رافق العنف الذي حوربت به تلك الحركات والنشاطات من تعاطف مع التوجيه الديني فالملاحظ أن الضربات التى واجهت تلك الحركات قد أضعفت الحركة نفسها لكنها ضاعفت من النشاط الإسلامى من المتعاطفين مع العمل الإسلامى حتى أصبحنا نرى ما بين فينة وأخرى ميلاد جماعات جديدة وأصبحت العواطف وردود الفعل هي الموجه حتى كان حرب القلم واللسان التى مر بها العالم الإسلامى في مرحلة ما تعود اليوم وقد حملت مع القلم واللسان السيف والسنان .

ثالثا : الاتجاه الرسمي الجديد من قبل بعض القيادات السياسية في العالم الإسلامي إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية مثل ما حصل في الباكستان والسودان مما يدل على فشل النظم والمبادىء المستوردة ، وإن الممارسات المبنية على تلك النظم والمبادىء لم تحقق آمال وتطلعات المسلمين في تحكيم شريعة الله في الأرض . لقد أعطى هذا الاتجاه التوجه لمراجعة حصيلة المسلمين من العلوم والمعارف الشرعية واجراء المزيد من الدراسة والبحث في تلك العلوم والمعارف من أجل التطبيق على أرض الواقع كما بعث روح التفكير في طبيعة الحياة الإسلامية المتكاملة لدى المسلمين وغيرهم وما يمكن أن تقدمه التجربة الإسلامية في مثل تلك البلدان بعد أن مرت بالعديد من التجارب ذلك أن النظام العام لا يمس كل فرد في الدولة فقط بل يتعداه إلى من هم خارج الدولة بحكم العلاقات المتبادلة ووسائل الاتصال المترابطة وعلى كل فليس ما تم أو أعلن عن التوجه إليه في تطبيق أحكام الشريعة هو نهاية المطاف إذ أن ذلك انما يمثل جانباً من جوانب تحقيق حكم الله سبحانه وتعالى في الأرض . ذلك أن الأمر يتطلب اعادة النظر فى البناء الاقتصادي والسياسي والتربوي في تلك البلدان

رابعاً : اهتمام الطبقة المثقفة والمتعلمة من غير المسلمين بدراسة الإسلام والتعرف عليه واعلان العديد منهم اعتناق الإسلام وكان من أشهر من أسلم منهم من رجال الدين

خليل إبراهيم ومن الأدباء ميشيل سركيوسكي ومن الباحثين فنسان منتيل ومن المؤرخين بنواميشان ومن الفلاسفة روجي جارودي .

قد دفع إسلام هؤلاء وما يقومون به من أبحاث ودراسات ، دفع من يختلط بهم من المسلمين بحكم التعامل إلى العودة لتاريخهم وتراثهم كما وفر الكثير من القناعة لدى الشباب المسلم الذي انبهر بحضارة الغرب بضرورة العودة إلى دينه الأصيل والنهل من منابعه الصافية التى لم تكدرها التحزبات والطوائف والتجمعات المنحرفة .

خامسا : دعم بعض الدول الإسلامية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية ـ التى قامت على أساس تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ـ والمؤسسات والهيئات والأفراد في تلك الدول للنشاط الإسلامي مادياً ومعنوياً مما ساعد الهيئات والمنظمات والجماعات الإسلامية على تخطي بعض الصعاب وتجاوز بعض العقبات . إلا أن تلك المساعدات قد لا تنفق في وجهها المشروع مما جعل الثقة في بعض المشاريع الإسلامية تضعف وتهتز .

سادسا : قيام بعض التنظيمات والروابط الدولية وشبه الدولية بين بلدان العالم الإسلامي مثل رابطة العالم الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية والدعوة للتضامن الإسلامي التى تولاها جلالة الملك فيصل رحمه الله وما أسفرت عنه من عقد مؤتمر القمة الإسلامي وما انبثق عنه من منظمات ومقررات ومواقف . وقد كان لهذه الجوانب تأثيراً ايجابياً في سبيل تحقيق الشعور بالذات بين المسلمين وتقوية وتنمية الروابط فيما بينهم كأمة واحدة دولا وأقليات ولاجئين إلا أن هذه التنظيمات والروابط تحتاج إلى المزيد من الشعور بالأهمية والالتزام بالمسئولية من جانب جميع الدول الإسلامية من أجل تنفيذ القرارات وتحقيق الأهداف الإسلامية في كافة المجالات .

الحاجة لمراجعة واقع الصحوة :

وعند الرغبة في التفصيل فإن هذه العناصر تحتاج إلى المزيد من التسبير والتفريع ، إلا أن الحاجة القائمة تدعو إلى تجاوز ذلك إلى النظر في توجيه هذه الصحوة من حيث الدوافع والمقاصد والنتائج .

إن هذه الصحوة في معظم دوافعها ومقاصدها قد ارتبطت بمواجهة التخلف من جهة ومقاومة الاستعمار من جهة أخرى ولذا فقد اتسمت بالاندفاع الشديد المرتبط بالقوة العسكرية من جانب والاندفاع الفكري والجدلي من جانب آخر وهي أمور فرضتها الظروف

وقد حققت تلك الأمور الكثير مما نتج عنه هذه الصحوة الإسلامية التى تعم ليس فقط أرجاء العالم الإسلامي بل العالم أجمع . وإذا كان ذلك أمر تطلبه وضع الدفاع فإن الأمر يحتاج اليوم إلى اعادة النظر في الأمور من أجل ترميم المواقع وترتيب الصفوف والاستعداد للمرحلة القادمة .

لقد كان من نتائج هذه الصحوة عودة الأذان إلى منابر الأندلس في الغرب وإلى منائر الصين في الشرق وإلى مواقعه القديمة في عمق العالم الإسلامي التى اسكت فيها فترة من الزمن كما امتد الأذان إلى مآذن جديدة في مواقع جديدة في أوربا وأمريكا واستراليا وأفريقيا وآسيا ولكن السؤال المطروح هو هل متطلبات ودوافع العمل الإسلامي في المستقبل هي نفس متطلبات ودوافع ذلك العمل في الماضي ؟

ولن تكون الاجابة على هذا السؤال متطابقة نتيجة للظروف التى يعايشها المسلمون وهي ظروف متعددة ومتغايرة ، ومع أن هذا التعدد والتغاير يكون في كثير من الأحيان مجالا للخلاف في الرأي والتباين في وجهات النظر إلا أنه ينبغي ألا يخرج إلى حد نقل المعركة من المسلمين وأعدائهم إلى ما بين المسلمين أنفسهم .

لقد بات من الملاحظ وجود فراغات في بنية العمل الإسلامي وأخطاء في الممارسات القائمة في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى فالدعوة تعاني من تشتيت الجهود بل تعارضها وتصادمها في كثير من الأحيان حتى انشغلت بعض الجماعات الإسلامية في محاربة بعضها بدلاً من توجيه السهام إلى العدو المشترك ، كما تعاني من الشقاق داخل الجماعة الواحدة حتى أصبح منها اليمين واليسار والحمائم والصقور واندست في صفوف الدعوة جيوش النفاق التى كانت عاملا من عوامل ذلك الشقاق وتشتيت الجهود . كما كان من اهتمام بعض الجماعات الإسلامية بتكثير السواد وتجميع الاتباع أن يتحدث عن الإسلام من لا يعرفه ويدعو إليه من لا يلتزم به .

متطلبات الدعوة :

وأمام هذا الجانب من الصورة وهو الجانب السلبي نحتاج إلى وقفة وفي هذه الوقفة نستعرض شيئا مما يدعو إليه ديننا الحنيف وما يأمر به من توجيه في مجال أدب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

يقول سبحانه وتعالى ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾ ويقول سبحانه ﴿ **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا ، وقال إنني من المسلمين** ﴾ ويقول سبحانه ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ ويقول سبحانه ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم** ﴾ ويقول سبحانه ﴿ **إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم** ﴾ ذلكم هو منهج كتاب الله ووصف الله للمؤمنين العاملين والدعاة الصادقين . أما رسول الهدى ونبي التقى فيقول « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » ويقول « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ويقول عليه الصلاة والسلام « لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » وذلكم هو منهج رسول الله وخلق رسول الله ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ .

وعلى ضوء هذه الأوامر والتوجيهات يمكن التركيز على أن المتطلبات والمقاييس الثابتة للدعوة هي :

أولا : الانطلاق من وحدة الفكر والهدف من خلال التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى مهما كانت الظروف المكانية والمصالح الزمنية والتحديات الحضارية .

ثانيا : العلم بشرع الله والفهم الصحيح له على هدى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ .

ثالثا : العمل على أساس الصدق والاخلاص والتضحية والتجرد والتحلي بالحكمة والبصيرة في التلقي والتلقين لدعوة الله .

بين الواقع والمستقبل :

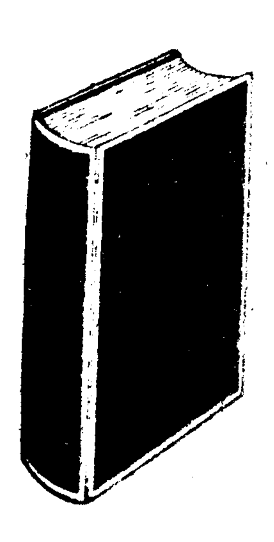
وعلى ضوء هذه المتطلبات والمقاييس يجب وضع الضوابط الخاصة بطبيعة العمل وطريقة التحرك لمواجهة الظروف المكانية والمصالح الزمنية والتحديات الحضارية المعاصرة وهي أمور بلاشك تختلف في عدة جوانب عن الظروف والمصالح والتحديات التى دعت إلى نشأة بعض الحركات الإسلامية وحددت منهج العمل فيها . لقد انتقل التحدى الاستعمارى من العمل العسكري إلى العمل الفكري ، كما انتقلت المواجهة من الشخصية الأجنبية إلى الشخصية الوطنية وذلك في معظم المواقع . لقد ارتحل الاستعمار بعساكره من بعض البلدان

لكن قوافل الصليب ومناجل الالحاد قد تكالبت على نشر الفساد في البلاد والكفر بين العباد ، ومن جهة أخرى فإن الاستقرار الذى تم في بعض البلاد الإسلامية وتطلعها إلى تحكيم شرع الله يتطلب توفير الأسس والتطورات والأساليب والاجراءات الخاصة بتطبيق تحكيم الشريعة في تلك البلدان في كافة الشؤون الاقتصادية والسياسية والتربوية والفكرية ويجب ألا يكون العاملون في مجال الدعوة إلى الله في غيبة عن هذه المواقع لأنها المحك العملي والممارسة الفعلية لتطبيق الشريعة الإسلامية في بلاد المسلمين .

أمـــل ورجـــاء :

ومن هذا التصور اتطلع إلى أن يلتقي العاملون في مجال الدعوة إلى الله وأن تكون هذه المقاييس والمتطلبات ضابطاً للجميع فيما يقولون ويعملون وأن تكون عونهم فيما يواجهون .

وما مناسبة انعقاد المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة في رحاب الجامعة الإسلامية إلا إحدى الظروف المناسبة لمناقشة مثل هذه الأمور ودراستها والتفكير فيما يمكن أن يعمل من أجلها وأسأل الله سبحانه على الا يقتصر هذا الاجتماع على اضافة اضبارة إلى خزانة الأوراق أو كسب ورقة في مجال الدعاية والاستهلاك والله سبحانه وتعالى هو المسئول أن ينشر دينه وأن يعلي كلمته وأن يوفق عباده إلى الخير والسداد والهدى والرشاد انه ولي ذلك والقادر عليه .



آيةُ العَدَدِ

للشيخ أبى بكر الجزائرى
رئيس قسم التفسير بالجامعة

قولـه تعـالى : ﴿يـاأيّهَـا الّذِين آمَنُواْ اتَّقُواْ الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تمُوتُنَّ إلاَّ وَأنتُم مُّسلِمـوُنَ . واْعْتَصِمُـواْ بِحِبْـلِ الله جَميعـاً وَلاَ تفرَّقُواْ﴾ . الآية : «١٠٢» وبعض الآية : «١٠٣» من سورة آل عمران .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، وآله وصحابته أجمعين .

وبعـد فهـذه آيـة العـدد نقـدم شرحهـا لأبنـائنا طلبة العلم على طريقتنا فى التفسير التحليلى فنبدأ بذكر مناسبة الآية لما قبلها من الآيات ، ثم نذكر الغرض الذى سيقت له الآية ثم نشرح مفرداتها ، ثم نذكر معنى الآية المراد فهمه منها ثم نختم الشرح للآية بذكر ما فيها من هداية قرآنية راجين أن يهتدى بها الطالب إلى ما يزكى نفسه ، ويكمل أخلاقه ومعارفه ، وبسم الله نبدأ ، ومنه نستمد العون والتوفيق فنقول :

مناسبة الآية لما قبلهـا :

لقـد جاء فى السيـاق قبـل هذه الآيـة قول الله تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقـا من الـذين أوتـوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين﴾** . وهو إخبار منه تعالى لعباده المؤمنين بأنهم إن أطاعوا بعض أفراد اليهود أو النصارى بأن سمعوا منهم واستجابوا لما يقولون لهم أَدَّى بِهِمْ ذَلِـكَ إلى الـردَّة والعيـاذ بالله تعـالى ، وهـو إخبـار بمعنى الإنشاء ؛ إذ مراد الله تعـالى من هذا الخـبر نهيـه عزوجـل المؤمنـين عن طاعة أهل الكتاب لما قد تُفْضى بهم تلك الطاعة إلى الكفر والعياذ بالله . ومن هنا ناسب أن يأمرهم بما يكون عصمة لهم من الوقوع فى الردَّةِ والكفر بعد الإيمان والإسلام فقال عزوجل : **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقَّ تقاته ولا تموتُنَّ إلاّ وأنتم مسلمـون﴾** . **﴿واْعتصمـوا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾** . فهذا وجه المناسبة بين الآيتين وهو ظاهر والحمد لله .

الغرض الذى سيقت له الآية :

إنّ الغرض الذى سيقت له هذه الآية هو الأمر بتقوى الله عز وجل وذلك بفعل مأمور الله عز وجل وهو الإيمان والعمل الصالح، وترك منهيه تعالى وهو الشرك والمعاصى بترك واجب أو فعل منهىّ وبذل الجهد فى تحقيق هذه التقوى، والصبر عليها مع الاعتصام بدين الله وعدم التفرّق فيه، حتى الموت على الإسلام .

مباحث الالفاظ :

من مباحث الفاظ هذه الآية مايلى :

التقاة : اتّقى يتقى اتّقاء وتُقَاةً، وهى بمعنى التقوى التى هى الاسم من اتقى .

حق تقاته : هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ إذ الأصل اتقوا الله التقاة الحقة .

ولا تفرقوا : تفرّقوا أصلها: تتفرقوا فحذفت إحدى التائين تخفيفا .

إلا وأنتم مسلمون : الجملة حالية، والاستثناء فيها مفرّغ من أعم الأحوال إذ المعنى: ولا تموتن على أيِّ حال من الأحوال إلّا على حال أنتم مسلمون .

شرح الكلمات :

آمنوا : اذعنت قلوبهم للتصديق بوجود الله تعالى ربّاً لكُلِّ شىء والهاً لكل العالمين . موصوفاً بكل كمال، منزّها عن كل نقصان، وللتصديق بمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً للعالمين، وبكل ما جاء به من الدين، وأخبر عنه من أمور القدر والغيب، وللتصديق بالبعث والجزاء فى الدار الآخرة بالنعيم المقيم، أو العذاب المهين .

اتقوا : أمر بالتقوى، والتقوى الاسم من فِعْلِ، اتّقى، ومعناه: اتخذوا الإيمان والاعتصام بالطاعة وقاية تقيكم وتحفظكم مما تخافون من العذاب المترتب على الكفر والمعاصى .

الله : اسم الجلالة الأعظم: وهو عَلَمٌ على ذاتِ الربّ المعبود بحق، واشتقاقه من اله ياله إلهة وتألّهاً. إذا عبد فاذعن وأطاع حبا وتعظيماً. فمعنى الله: المعبود الذى تتحير الافكار فى حقائق صفاته، وتطمئن القلوب إلى ذكره، وتفرح النفوس بمعرفته، وتولع الخليقة بدعائه والتضرع إليه، ولا تفزع عند الشدائد إلا إليه سبحانه لايدرك كنه ذاته، ولا تعلم حقائق صفاته .

حــق : يقال حَقّ الشيء يحق إذا ثبت ووجب .

التقـاة : مصدر بمعنى التقوى، ومعنى المتضايفين ﴿**اتقوا الله حق تقاته**﴾ : اتقوا الله التقاة الحقة الواجبة لله تعالى الثابتة له بماله من قوة لاتحد، وقدرة لا تعجز، وسلطان لا يقهر .

ولا تموتن : الـواو[1] عاطفـة للجملة على سابقتهـا وهى : اتقوا الله حق تقاته . ولا : أداة نهى وجـزم وتمـوتن : مضـارع مات يمـوت ؛ إذا فارقته الحياة، وهومسند إلى واو الجماعة دخـل عليـه الجـازم فحـذف نون الرفع، فصار ولا تموتوا، فأكد بنون التوكيد فالتقى ساكنان فحذفت الواو لوجود ما يدل عليها وهى الضمة فصارت الكلمة ولا تموتن .

إلا وأنتم مسلمـون : إلا اداة استثنـاء وهو هنا مفرغ من أعم الأحوال، والواو للحال وجملة «أنتم مسلمـون» خبريّـة مؤلفـة من مبتـدأ وخـبر فى محل نصب غلى الحـال . ومعنى الجملة : لا تموتن أيهـا المؤمنـون على أى حال من الأحـوال إلا على الحـال التى أنتم فيْهـا مسلمـون، والجملة متضمنـة النهى عن الـرّدّة بعد الإسلام، فلا يحل للمؤمن أنْ يكفر بعد إسلامه . كما يريد ذلك كفار أهل الكتاب .

وٱعتصمـوا : الاعتصـام : التمسـك بالشيْء بشـدة حتى لا يسقـط منه، مأخوذ من معصم اليد، إذ قوة التمسك بالشىء تابعة لقوة معصم الإنسان وساعده .

حبل الله : الحبل لغةً السبب، وما يتوصّل به إلى الشىء أو ما يتمسّك به طلبا للنجاة والمـراد به هنـا : القـرآن الكـريم، والـدّين، وجمـاعة المسلمين ؛ إذ التمسّك بهذه يُنجي من السقوط والهبوط فى الدنيا والآخرة .

جميعا : حال من ضمير واعتصموا، والمعنى تمسّكوا بكتاب الله ودينه وجماعة المسلمين حال كونكم مجتمعين لا يتخلف منكم أحد أبداً .

ولا تفـرقـوا : الـواو عاطفة، ولا ناهية جازمة . وتفرقوا مضارع مجزوم بحذف النون، والواو فاعل . والتفرق لا يكون إلا بعد الاجتماع، وعليه فالجملة مؤكدة لسابقتها ؛ إذ الأولى

---

(١) إن قيل : لم شرح هذه الجزئيات، والتعرض للإعراب؟ قلنا : ان المجلة مجلة طلبة العلم وهم ينتفعون بمثل هذا التحليل اللفظى والمعنوى .

فيها أمر الله تعالى للمؤمنين بالتمسك بدينهم ، وفى هذه نهيه تعالى عباده المؤمنين عن التفرق المفضى بعدم التمسك المأمور به .

معنى الآية الكريمة :

ينادى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين بوصف الإيمان : يا أيها الذين آمنوا ؛ إذ بالإيمان حياتهم فهم بإيمانهم أحياء غير أموات يقدرون على فهم الخطاب ، وعلى القول والعمل ، يناديهم ليأمرهم بما فيه سلامتهم من كل مرهوب ، وظفرهم بكل مرغوب محبوب من سعادة الدارين ألا وهو تقوى الله الحقة الواجبة له على عباده ، والمتمثلة فى امتلاء القلب بخشيته ومحبّته ، وانقياد الجوارح كل الجوارح لطاعته ، حتى يطاع فلا يُعصى ، ويذكر فلا يُنْسى ويشكر فلا يكفر . ولينهاهم عن الكفر بعد الإيمان ، والردة بعد الإسلام «ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون» . فليثبتوا على إيمانهم ، وليستمرّوا على إسلامهم لربهم مطيعة قلوبهم وجوارحهم لا يفارقون الطاعة حتى تفارقهم الحياة ، ابقاء على نور قلوبهم ، وزكاة أنفسهم ، وطهارة أرواحهم ؛ ليكونوا أهلاً لمواكبة الرفيق الأعلى والنزول فى منازل الأبرار ، والفوز بالنعيم المقيم فى جوار الربّ الرحيم .

ونـاداهم ليأمرهم بالاعتصام بكتابه ودينه ، وعهده الذى أخذه عليهم لمّا شهدوا له بالوحدانيّة ، ولنبيّه بالرسالة ، والاعتصام بكتابه يعنى العمل بما فيه فيعملون بمحكمه ، ويؤمنون بمتشابهه ، ويُحلّون حلاله ويحرمون حرامه ، ويلتزمون بآدابه ، ويتحلون بأخلاقه . والاعتصام بدينه يعنى التمسك بعقائده ، واداء فرائضه ، واقامة حدوده ، والتأدب بآدابه ، والتجمّل بأخلاقه ، مع ملازمة أهله القائمين به والداعين إليه . والاعتصام بعهده يعنى الوفاء لله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، وذلك فى المنشط والمكره ، والعسر واليسر ، وفاءً دائماً ، لا يُخلِّون به حتى تفارق الحياة أبدانهم ، وتباينهم أرواحهم ، ونـاداهم أيضاً لينهاهم عن التفرق بعد التجمع ، وعن الاختلاف بعد الائتلاف ؛ لما فى تفرقهم من فشلهم وذهاب ريحهم ، ولما فى اختلافهم من سوء أحوالهم وفساد بالهم ، والقعود بهم عن مواكبة الصالحين فى الدارين .

هداية الآيـــة :

إن من بين الهدايات القرآنية التى تضمّنتها هذه الآية الكريمة الهدايات التالية :

١ ـ تقوى الله عز وجل ، وذلك لأن الله تعالى بيده ملكوت السموات والأرض يحيى ويميت ويعطى ويمنع ويضر وينفع ، يُغنى ويفقر ، يُعزّ ويذل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ،

قدرتـه لا تُحدّ، وسلطـانـه لا يقهـر، فهـو لذلك يجب أن يتقى، ولكن لا بالحصون والأسوار العالية، ولا بالقوات الضاربة، من رجال وسلاح، على اختلافه وتطوره حتى لو كان سلاح الـذرّة والهـدروجـين، وإنـما يُتّقى الله جل جلالـه وعـزّ سلطـانـه، وهـو الذى ذلّت له رقاب الجبـابـرة، وانحنت أمـام جبر وتـه هامـات القيـاصرة والاكاسرة، يتقي بشيء واحد ألا وهو العبـوديـة الحقـة المتمثلة فى إسـلام القلوب والجـوارح له، فالقلوب تؤلّهه رهبةً ورغبةً، ومحبّةً وتعظيـماً. والجـوارح انقيـاداً لأمـره، ولنهيـه تركـاً. بهذا فقـط يتقى الله ذو الجـبر وت والملك والملكـوت، فمن طلب النجـاة من العـار والنـار، وأحب الفـوز بالجنـة دار الأبـرار فليتّق الله الـواحـد القهـار، فإن ذلـك له، ومردّه إليه، وتقواه عز وجل هى مفتاح بابه، وسلم الوصول والارتقـاء إليـه، وهـاهى آيات كتابه تنبىء عما قلناه، وتترجم للقارىء معناه، قال تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق : ٢، ٣].

﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾ [الطلاق : ٤].

﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً، ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم﴾ [الأنفال : ٢٩].

﴿تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا﴾ [مريم : ٦٣].

﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾ [القلم : ٣٤].

﴿إن للمتقين مفازاً حدائق وأعناباً وكواعب أترابا وكأسا دهاقا﴾ [النبأ : ٣١، ٣٤].

كل هذا الخير، وغيره كثيرٌ إكسير ملكه تقوى الله بطاعته والانقياد إليه.

هذه هداية وأخرى :

٢ ـ الموت على الإسـلام :

إن مما تهدى إليـه هذه الآيـة : المـوت على الإسـلام، والموت على الإسلام هو الغاية التى ما وراءهـا غايـة، والأمـل الـذى دونـه كل أمـل ولنشهد هذه الحقيقة من خلال القصة التـاليـة : جلس على عرش مصـر نبي الله ورسوله الكريـم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم ـ عليه السلام ـ ورفع أبويه فوق عرشه فأجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، وجلس اخوته الأحد عشر اخاً بين يديه وقد تم له الملك بحذافيره، وجاءته الدنيا طائعـة، وحفـل الكـون به من حولـه. هنا ابتهل يوسـف إلى ربّه قائلا : **﴿ربِّ قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويـل الأحـاديثِ فاطـر السمـوات والأرض، أنت وَلِيّي فى الـدنيـا والآخرة، توفّنى مسلماً وألحقنى بالصالحين﴾** .

إن هذه القصة تقول : ان المال والملك والسلطان واجتماع الشمل بالأهل والاخوان ليس بالغاية المطلوبة ولا بالأمل المرجو عند الأبرار الأطهار الأخيار، وإنما الغاية المرغوبة والأمل المنشود: الوفاة على الإسلام، واللّحاق بمواكب الصالحين .

وإن قيل : وهل الإنسان يملك أن يموت على الإسلام، أو على غيره من الأديان؟ .

قيل له : نعم؛ إذ عدم الردة عن الإسلام هى الموت عن الإسلام، ومن شبّ على شيء شاب عليه، ومن لازم شيئا فى حياته وآثره على غيره مات عليه، يضاف إلى هذا ان التكليف بملازمة الإسلام وعدم الارتداد عنه ليس تكليفا بما لا يطاق، لاسيما وأن الإسلام دين الفطرة فلا يوجد فى النفس البشرية من نوازع تدافع الإسلام وتأباه، والردة المحذر منها قد تأتى من خارج النفس لا من داخلها، تأتى من طريق الاستجابة للشيطان وإخوان الشيطان: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعواً الذين كفروا يردّوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين**﴾ .

هذه هداية وثالثة :

٣ ـ الاعتصام بحبل الله تعالى :

إن مما تهدى إليه هذه الآية من أسباب الكمال والسعادة الأمر بالاعتصام بحبل الله تعالى الذى هو كتابه الكريم، ودينه القويم، وجماعة عباده الصالحين .

والاعتصام بكتاب الله تعالى يكون باعتقاد الحق الذى جاء به من التوحيد والنبوة، والبعث والجزاء، وتحليل حلاله وتحريم حرامه من المقول والمفعول: كالصدق وقول الحق والمعروف، والمطاعم والمشارب والمناكح والمكاسب، كما يكون بإقامة حدوده والتزام آدابه ومحاسن أخلاقه بعد دراسته وفهمه وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار .

والاعتصام بدينه يكون بإقامة فرائضه والمحافظة على سنته، وتطبيق **شرائعه** والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه بعد معرفة أحكامه وحفظ قواعده، كما يكون بالدعوة إليه، والموالاة فيه، والمعاداة عليه .

والاعتصام بجماعة عباده الصالحين يكون بموالاتهم، وتحريم معاداتهم، وبحبِّهم، والحب لهم وصدقهم وتصديقهم، والصلاة معهم وعليهم، والجهاد مع إمامهم وحرمة الخروج عليه وعليهم ما أقيمت الصلاة فيهم .

هذه هداية ورابعة :

٤ ـ حرمة الفرقة والاختلاف :

إن هداية هذه الآية تقول : إن الفرقة والاختلاف محرمان ممقوتان ، وكونهما بعد الاجتماع والائتلاف اشدّ حرمة وأكبر مقتاً ، إن من هداية هذه الآية تحريم الفرقة والاختلاف فى الكتاب والدين والجماعة ، أما الاختلاف فى الكتاب فإنه لا يكون فى الفاظه وكلماته ؛ إذ قد تولى الله منزّله سبحانه وتعالى حفظه من الزيادة والنقصان ، والتبديل والتغيير ، حيث جمع أمة الإسلام عليه منذ نزوله فلم تختلف فيه ولن تختلف بإذن الله تعالى فيه . وإنما الاختلاف فى الكتاب يكون فى معانيه وما يدل عليه ، والعصمة من ذلك فى الأخذ بالسنة والتمسك بها ؛ إذ هى الشارحة لألفاظه ومعانيه ، والمبيّنة لمجمله ، والمخصّصة لعمومه ، والمقيدة لمطلقه . وذلك بأقوال الرسول ﷺ وأفعاله وأحكامه وأقضيته ، وسياساته ، وفى سيرة أصحابه من بعده حصن حصين ، وسياج منيع من الفرقة والاختلاف فى كتاب الله أيضا . ولهذا فالأمة المرحومة وهى أهل السنة والجماعة لم تختلف فى كتاب الله ، وإنما اختلف فيه من رد سنة رسول الله التى وردت من غير طريق من فتن بهم ، وكفر أصحاب رسول الله ، وغض من شرفهم وأهدر كرامتهم ، ولعنهم وأبغضهم . والعياذ بالله تعالى من ضلال الطوائف والفرق المنتسبة إلى الإسلام باطلا وزوراً . وكذباً وميناً .

واما الاختلاف فى الدين فإنه ذوخطورة كبيرة على أمة الإسلام ، ولذا كان من هداية هذه الآية التصريح بتحريمه والتحْذير من آثاره المدمرة ، وفى الكتاب الكريم الأمر بإقامة الدين وعدم التفرق فيه ، والتوصية بذلك قال تعالى : ﴿**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**﴾ .

ولكى تُتجنب الفرقة فى الدين يلزم اتباعُ مايأتى :

(١) اعتقاد ان الدين هوما شرع الله ورسوله ، ورفض كل تشريع يخالفهما ، أولا ينبع منهما .

(٢) تقديم الكتاب فى الاستدلال ثم السنة ، ثم الاجماع ، ثم القياس ، ولا يجوز العمل بقياس لا يشهد له كتاب ولا سنة ولا إجماع بصحة ولا اعتبار .

(٣) اعتبار المذاهب الأربعة الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى مذاهب حق ، وذلك

لاتفاقها فى أصول الدين وشرائعه، وعدم تعمد أصحابها الخروج عن الكتاب والسنة بأىّ حال من الأحوال. وعدم وجود خروج فيها عن الكتاب والسنة وإن قل.

(٤) اعتبار هذه المذاهب الأربعة مَذْهَباً واحداً موسّعاً يستعان بها على فهم الكتاب والسنة والعمل بهما، ولذا على هيئة الإفتاء فى البلد الإسلامىّ أن تنظر فيها مجتمعة ثم تصدر فتواها نابعة عنها مؤثرة فى ذلك الدليل من الكتاب والسنة وشواهد الاجماع والقياس الصحيح.

(٥) تأليف كتب فقهية على غرار «بداية المجتهد» و«منهاج المسلم» تعرض للمذاهب الأربعة وتؤيد ما يؤيّده الدليل من الكتاب والسنة والإجماع والقياس وتنشر تلك الكتب الفقهيّة الجامعة الموحدة وتعممها على سائر المسلمين.

(٦) ترويض الأفكار الخاصة والعامة على انتهاج هذا المنهج الذى يجمع أمة الإسلام ولا يفرقها، ويوحدها ولا يخالف بينها، عملا بقول الله تعالى: ﴿**أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**﴾. وأخذاً بهداية هذه الآية فى الاعتصام بالدين وعدم التفرق فيه: ﴿**وٱعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾.

وترويض الأفكار يكون بإلقاء الدروس والمحاضرات فى المعاهد والمساجد فى كل ديار المسلمين بأن الله تعالى لم يتعبدنا إلا بما شرع لنا فى كتابه وعلى لسان رسوله، **وأن التعصب** لما فى مذهب معين ولو خالف الحق لا يجوز أبداً لما يلزم عنه من ردّ الكتاب والسنة وردهما ردة أو شبهها، والعياذ بالله تعالى. **وأن العلماء** مجمعون على أن لا معصوم فى هذه الأمة إلا رسولها محمد ﷺ.

وبذلك يتقارب أهل الحق من هذه الأمة، وتتم وحدتهم، وتنتهى الفرقة بينهم ويسيرون صفاً واحداً يحيون ميّت الإسلام ويجددون بناء ما انهدم منه بعامل الفرقة والخلاف قرونا طويلة.

وأما الاختلاف فى الجماعة فإنه وإن كان أقل خطراً من الاختلاف فى الدين فإنه معوق لأمة الإسلام عن النهوض والتقدم، ومعرّض لها أيضا لأوخم العواقب، واسوأ الأحوال، ودليل ذلك أنها ما وقعت فى براثن الاستعمار الغربى ردحا من الزمن غير قليل يسومها الخسف ويصب عليها سياط العذاب والإهانة إلا بعد ان تفرقت جماعتها، وقاتل بعضها بعضاً، وإنها ـ والله ـ اليوم لعرضة لمحنة قاسية أشد من محنة الاستعمار السابقة وذلك لما تعيش عليه من الفرقة والاختلاف فى كل شىء فلذا وجب على المصلحين ان يسارعوا إلى تلافي

الموقف بجمع الأمة المحمدية تحت لواء واحد وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله فلا يعبد فى ديارها إلا الله، ولا يتابع إلا رسول الله ﷺ .

وأحسب أن ما تقدم فى الأرقام الستة السابقة كاف فى بيان الطريق الذي يتم به وحدة المسلمين وجمعهم على منهج الله ليكملوا ويسعدوا عليه دنيا وأخرى . . . والله المستعان، وعليه وحدة التكلان. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . . .



الجماعة
في ضوء الكتاب والسنة

للدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي
عميد كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد . . . فهذا بحث يتناول موضوعاً يهم المسلمين جميعاً إذ تتوقف على تحقيقه سعادتهم فى الدنيا والآخرة . كما تتوقف عليه سعادة البشر جميعا لأن الإسلام دين عالمى وقد جاءت الأوامر الالهية فيه بضرورة تكوين الجماعة الإسلامية التى تنتظم المؤمنين بهذا الدين من جميع البشر .

تمهيد :

الإسلام دين الجماعة لأن الله جلّ وعلا شرع هذا الدين ليجمع البشر جميعاً على منهج واحد للوصول إلى هدف واحد .

والجماعة من لوازم قيام هذاالدين لأنه لا يمكن تطبيقه تطبيقاً كاملاً إلّا بوجود الجماعة ، ولذلك جاءت بعض تشريعات الإسلام على اعتبار وجود الجماعة المؤمنة سواء فى مجال العبادات أو المعاملات ، كما جاءت التوجيهات الإسلامية فى الحث على لزوم الجماعة والتحذيرات الشديدة من مفارقة الجماعة .

وسيتبين لنا من هذا العرض الموجز لبعض ما جاء فى كتاب الله تعالى وسنّة رسوله (ﷺ) من الاهتمام بالجماعة كيف أن الله جل وعلا بهذا الدين العظيم كان يريد قيام الجماعة الإسلامية القوية المتماسكة التى هى على مستوى البشر جميعاً ، وحماها جل وعلا بتشريعات محكمة حتى أصبحت من القوة والرسوخ بحيث تندق دون الوصول إلى تفكيكها معاول المخربين والمفسدين فى الأرض .

وقد كان عنوان البحث المقترح ضمن الخطة التى وضعها منظموا هذا المؤتمر (الوحدة الإسلامية فى القرآن والسنّة) ولكن اللفظ الذى تكرر فى الكتاب والسنّة كثيراً هو لفظ الجماعة ولذلك آثرت أن يكون عنوان هذا البحث (الجماعة فى ضوء الكتاب والسنّة) .

الجماعة هى الأصل والفرقة أمر حادث :

كان النـاس فى أصـل وجـودهم على هذه الأرض أمّة واحدة تنحدر من نسب واحد، وكانوا على الإسلام دين أبيهم آدم ـ عليه السلام ـ فاختلفوا على هذا الدين وتفرقّوا فبعث الله النبيين عليهم السلام ليبينّوا للناس الطريق المستقيم الموصل إلى رضا الله تعالى مبشرين من اتبعـه بالسعـادة ومنـذرين من حاد عنـه بالشقـاء، قال تعالى: ﴿**كان الناس أمّة واحدة فبعث الله النبيين مبشـرين ومنـذرين وأنـزل معهم الكتـاب بالحق ليحكم بين النـاس فيـما اختلفوا فيه**﴾. (البقرة: ٢١٣).

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهّم على شريعة من الحق فاختلفـوا فبعث الله النبيـين مبشرين ومنذرين، قال: هى فى قراءة عبد الله: «كان الناس أمّة واحدة فاختلفوا»(١).

فالله سبحانه أراد للبشر أن يكونوا أمّة واحدة كلهّم على الهدى ولكنهم اختلفوا فتفرقوا.

ولو تذكر الناس دائماً أن أباهم واحد وأمهم واحدة لكان ذلك دافعا لهم إلى الاجتماع والتـآلف، ولـذلـك ذكّرهم الله تعالى بهذا حيث يقول: ﴿**يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلنـاكم شعـوبـاً وقبـائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**﴾. (الحجرات: ١٣).

فالله جل وعـلا قسمهم إلى شعـوب وقبـائل ليعرف بعضهم بعضا فيتواصلوا لما بينهم من الرحم لا ليفتخروا بأنسابهم ويختلفوا، ولذلك قال تعالى: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾.

عوامل تكوين الجماعة الإسلامية :

لقد شرع الله جل وعلا أسباباً لتكوين الجماعة الإسلامية ثم لتقويتها فمن ذلك :

١ ـ الإيمان بالإسلام عن وعى وبصيرة :

إن أول ما يشعر الإنسان بانتمائه لجماعة المسلمين هو دخوله فى الإسلام عن وعى وفهم وبصيرة، ذلك أن مجرّد فهمه للهدف الذى يسعى إلى تحقيقه هو والمسلمون جميعاً وهو عمارة الأرض بطـاعـة الله تعـالى وابتغـاء مرضاته يجعله يشعر بالرابطة التى يجتمع المسلمون جميعاً

---

(١) تفسير ابن كثير: (١/ ٢٥٩).

عليها لبلوغ هذا الهدف، وشعوره بهذه الرابطة هو أول عنصر من عناصر تكوين الجماعة الإسلامية .

فالمسلم حينما يرسخ الإيمان فى قلبه يبحث فوراً عن المؤمنين الذين يشاركونه فى السعى لبلوغ هذا الهدف، والذى أمره الله جل وعلا أن يصبر نفسه معهم على عبادة الله وابتغاء مرضاته، ثم هو يبحث دائماً عن تكاليف هذا الدين التى نظمت علاقاته مع إخوانه فى الإيمان، التى تهدف فى النهاية إلى ايجاد المجتمع المسلم .

٢ ـ الأمر بلزوم الجماعة :

علمنا أن الإيمان بهذا الدين يقتضى ضرورة الانتماء إلى جماعة المسلمين، ومع ذلك جاءت الأوامر الشرعية مؤكدة ضرورة لزوم هذه الجماعة، وذلك :

أولا : لأن النفوس تغفل كثيراً عن فهم واجباتها، كما أنها تتكاسل أحيانا عن أداء الواجب .

وثانيا : لأن التفلت من الجماعة وعدم الاهتمام بأمور المسلمين له خطره العظيم على حياة هذه الأمة فى الدنيا والآخرة .

ولذلك لما أمرنا الله جل وعلا بالالتزام بهذا الدين العظيم الذى هو حبل الله المتين كان أمره بأن نلتزم به جميعاً ونهانا عن التفرق حيث يقول تعالى : ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ . (آل عمران : ١٠٣) .

قال أبو جعفر بن جرير فى تفسير هذه الآية : يعنى بذلك جل ثناؤه : وتعلقوا بأسباب الله جميعاً، يريد بذلك تعالى ذكره : وتمسكوا بدينه الذى أمركم به وعهده إليكم فى كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله، ثم استدل على ذلك بما أخرجه عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ من طريقين أنه قال فى هذه الآية : حبل الله الجماعة .

وفى هذه الآية دليل على أن لزوم جماعة المسلمين من ضرورات هذا الدين، ومما يوضح ضرورة لزوم جماعة المسلمين مع التمسك بأصول الدين ما أخرجه الإمام مالك وأحمد من حديث أبى هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال : «إن الله يرضى لكم ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاّه الله أمركم، ويسخط لكم قيل وقال واضاعة المال، وكثرة السؤال»[1] .

---

(١) مسند أحمد : (٢/٣٧٧)، موطأ مالك، كتاب الكلام : (ص ٩٩٠)

وهـذا صريـح فى أن المسلمـين لن يحوزوا رضـا الله جل وعـلا عنهم إذا رضوا بالتفرق والانقسام ولم ينصحوا لولاة أمورهم بما ينجيهم واياهم من المسئولية أمام الله تعالى وإن كانوا قد عبدوا الله وحده ولم يشركوا به شيئاً لان ذلك من تحقيق توحيده .

وقد جاء الأمر صريحاً من رسول الله (ﷺ) بلزوم الجماعة كما جاء فى حديث عبد الله بن عمـر ـ رضى الله عنهـما ـ قال : خطبنـا عمر بالجابية . فقال : يا أيها الناس أنى قمت فيكم كما قام رسـول الله (ﷺ) فقـال أوصيكم بأصحـابى . . . إلى أن قال : عليكم بالجـماعـة واياكم والفـرقـة فإن الشيطـان مع الـواحـد وهـو من الاثنين أبعد ، من اراد بحبوحة الجنة[1] . فليلزم الجـماعـة ، من سرتـه حسنتـه وساءته سيئته فذلكم المؤمن . رواه الإمام أحمد والترمذى وعبد الرزاق الصنعانى[2] .

ولـزوم الجـماعـة من أسباب التحلى بالأمانة والبراءة من الخيانة كما جاء فى قوله ﷺ : «ثـلاث لا يُغـل عليهن قلب أمـرىء مسلم : اخـلاص العمل لله ، والنصيحة لكل مسلم ، ولزوم جماعة المسلمين فإن دعاءهم محيط من ورائهم» . (اخرجه الإمام الدارمى)[3] .

وقـولـه : «يغـل» بضم اليـاء وكسر الغين من الاغلال وهو الخيانة ، ويروى بفتح الياء وكسر الغين من الغل وهو الحقد ـ ذكره ابن الاثير فى النهاية ـ ولعل قوله : من الاغلال بمعنى الخيانة اقرب إلى معنى الحديث لأن المعنى أن هذه الخصال الثلاث لا يتصور أن تقع الخيانة فيهن من مؤمن صادق فى إيمانه إذ أن الخيانة فى خصلة من هذه الخصال تتنافى مع الإيمان .

وقد شدّد رسول الله (ﷺ) النكير على من فارق الجماعة فاعتبره مخالفاً لهدى الإسلام وطـريقـه القـويم ، فقد اخرج الإمام أحمد من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى (ﷺ) قال : الصـلاة إلى الصـلاة التى قبلهـا كفـارة والجمعـة إلى الجمعـة التى قبلها كفارة والشهـر إلى الشهـر الـذى قبله كفـارة إلّا من ثلاث قال : فعـرفنا أنه من أمر حدث : إلا من الشرك بالله ونكث الصفقة وترك السنّة قال : قلنا يا رسول الله هذا الشرك بالله قد عرفناه فما نكث الصفقـة وتـرك السنـة؟ قال : أمـا نكث الصفقـة فان تعطى رجـلاً بيعتـك ثم تقـاتله بسيفك ، وأما ترك السنة فالخروج من الجماعة[4] .

---

(١) بحبوحة الجنة يعنى وسطها ، يقال تبحبح إذا تمكن وتوسط المنزل ـ النهاية .
(٢) مسند أحمد : (١ / ٢٦) ، سنن الترمذى : كتاب الفتن باب رقم (٧) ، المصنف رقم : (٢٠٧١٠) .
(٣) سنن الدارمى : (ص ٧٦) .
(٤) مسند الإمام أحمد : (/ ٥٠٦) .

٣ ـ الالتزام بالاخوة الإيمانية :

أمر الله جل وعلا المسلمين جميعاً بالتآخى وشرع التعامل بينهم على أساس الاخوة فى الله فقال تعالى : ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**﴾ . (الحجرات : ١٠)، فجعل الله تعالى الأمر بالاصلاح بين المؤمنين مرتباً على ما بينهم من الأخوة فى الله ، ذلك لأن شعور المسلم بانه يتعامل مع أخيه يزيل ما فى نفسه من الاخلاق السيئة كالحسد والاثرة وسوء الظن ، كما أن شعوره بأنه أخوه يمنعه من الاعتداء عليه ويوجب عليه نصرته ، وفى هذا المعنى يقول رسول الله (ﷺ) : «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها هنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه» . اخرجه الإمام مسلم[١] .

وإذا وجدت الأخوة الإسلامية فإن المسلمين سيجتمعون على هدف واحد ومنهج واحد وهذه هى الجماعة التى أمر الله جل وعلا بلزومها .

ومن ابرز ما يقوى الأخوة الإسلامية التعارف بين المسلمين وقد جعل الله سبحانه التعارف حكمة لتقسيم الناس إلى شعوب وقبائل ، قال تعالى : ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا**﴾ . (الحجرات : ١٣) . يعنى ليتم التعارف بينكم فتترتب عليه الصلة والمحبة لا التفاخر بالنسب والتباغض .

وقد شرع الله جل وعلا للمسلمين ما يقرب بعضهم من بعض ويكون وسيلة للتعارف بينهم فمن ذلك :

(أ) تبادل التحيـــة :

فقد أمرنا رسول الله (ﷺ) بافشاء السلام واعتبره دافعاً إلى المحبة التى هى شرط الإيمان حيث يقول : «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا ادلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ . افشوا السلام بينكم» . اخرجه الإمام مسلم[٢] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر رقم : (٣٢) .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث رقم : (٩٣) .

والسـلام ليس على من نعـرف فقـط بل هو أول السبـل إلى التعارف ولذلك لما سئل رسول الله (ﷺ) أى الإسلام خير؟ . قال : «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» . اخرجه الإمام البخارى ومسلم[1] .

فالسـلام على من نعـرف لتـوثيق المحبـة والأخوة ، والسلام على من لا نعرف لايجاد التعارف الذى هو مدخل الاخوة الإسلامية .

ومن أجل ان تتوثق الصلة بين المؤمنين وتتقوى روابط الجماعة بينهم أمرنا الله عز وجل برد التحيـة بأحسن منهـا فقـال تعـالى : ﴿**وإذا حييتم بتحيـة فحيـوا بأحسن منهـا أو ردوهـا**﴾ . (النسـاء : ٨٦) ، لأن الـذى بدأ بالتحية قد تقدم بالفضل فينبغى لمن يرد عليه أن يبادله الفضل بالمبالغة فى التحية .

(ب) التزاور بين المؤمنين :

لقـد ارشـدنـا رسـول الله (ﷺ) إلى تبـادل الزيارات لأن ذلك يقوى الصلة ، ويثبت الأخوة فقد بين (ﷺ) الجزاء الأعظم للمتزاورين فى الله حيث يقول : «إذا عاد الرجل أخاه أو زاره قال الله له : طبت وطـاب ممشـاك وتبـوأت منـزلا فى الجنـة» . اخرجه الإمام البخارى فى الأدب المفرد[2] .

وكما فى قوله (ﷺ) : «قال الله تبارك وتعالى : وجبت محبتى للمتحابين فىَّ والمتجالسين فىَّ والمتزاورين فىّ والمتباذلين فىّ» . اخرجه الإمام مالك فى الموطأ[3] .

ففى هذه الأحـاديث وغـيرهـا حث المسلمين على مبادلة الزيارات بينهم حتى تتقوى الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع الإسلامى .

وربـما يكـون الإخوان المتحابون فى الله متفرقين فى البلاد فيصيبهم الكسل وتقعد بهم العوائق الدنيوية عن السفر من أجل زيارة إخوانهم فقد جاءت التوجيهات النبوية تبشرهم بما أعـده الله لمن تحمـل مشقـة السفـر لا لغـرض من اغراض الدنيا بل لزيارة أخ له فى الإسلام حيث اخـرج الإمـام مسلم من حديث أبى هريـرة ـ رضى الله عنـه ـ عن النبى (ﷺ) : «أن

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب الإيمان حديث رقم : (٢٨) .
صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث رقم (٦٣) .
(٢) الأدب المفرد ص (٩٦) رقم : (٣٥١٠) .
(٣) الموطأ ، كتاب الشعر رقم : (١٦) .

رجلا زار أخاً له فى قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟. قال: أريد أخاً لى فى هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟. قال: لا غير أنى أحببته فى الله عز وجل، قال: فانى رسول الله إليك: بأن الله قد أحبك كما احببته فيه»(١).

وفى هذا رفع للهمم المريضة المتقاعسة عن المزيد من توثيق عرى الروابط الاجتماعية بين المتعارفين بتوثيق المحبة المتبادلة التى يثبتها ويرسخها فى النفوس كثرة الزيارات فإنها من العوامل المهمة لبناء صرح الاخوة الإسلامية وحمايتها من التصدع والانهيار.

٤ ـ عمارة المساجد بطاعة الله تعالى:

فالمسجد هو مركز اجتماع أهل الحى بواسطته يتعارفون، وبتجدد اللقاء يتآلفون، وهو وسيلة من وسائل جمع شمل الأمة وتوثق رابطة الأخوة الإسلامية ثم هو بالتالى من دعائم تكوين الجماعة الإسلامية التى هى ضرورة من ضرورات هذا الدين.

وبواسطة المسجد يعرف المسلمون أحوال جيرانهم، فيتعرفون على أخبارهم، فمن مرض منهم عادوه وقدموا له ما يحتاج من المساعدة، ومن غاب منهم تفقدوا أحوال اسرته وقاموا بما كان يقوم به إذا حضر، ومن عليه دين فاعسر أو نزلت به نائبة واسوه باموالهم حتى يزول عنه عسره.

وبهذا يصبح الجيران فى الحى الواحد كأنهم اسرة واحدة وبغير المسجد لا يستطيع الجيران أن يتعارفوا ولا أن يتآلفوا وبالتالى تسود فى المجتمع الانانية والفردية فلا يجد الفقير والمريض من يمد إليه يد المساعدة ولا يأمن الإنسان على أهله إذا غاب عنهم لأنه ليس بينه وبين جيرانه ألفة ومودة.

وعلى هذا النحو تسير المجتمعات البعيدة عن الإسلام لأنها لا تملك المبادىء السامية التى توجد الاخاء والتكامل الاجتماعى.

وقد يضم الحى الواحد طبقات متفاوتة فى الغنى والجاه... وبالتالى تتفاوت درجاتها فى مظاهر الحياة من مسكن ومركب وملبس، وهذه المظاهر تزيد من الفجوة بين الطبقات لأن من يسكن فى القصور الشاهقة ويركب فى المراكب الفخمة قد يتكبر على من بجواره من اصحاب المساكن المتواضعة والمعيشة البسيطة، وهؤلاء فى نفس الوقت لا يحاولون التعرف

(١) صحيح مسلم: كتاب البر رقم: (٣٨).

على الكبراء لأنهم يرون أنهم طبقة أعلى منهم وبالتالى تنفصم الروابط الاجتماعية وتحصل الفجوة بين أفراد هذه الطبقات حيث تضعف الأخوة الإسلامية وتتضاءل دوافع التكامل الاجتماعى وبالتالى يختل الأمن فى المجتمع وتكثر حوادث الاعتداء وتبقى بعض طبقات المجتمع فى حالة شديدة من البؤس والشقاء .

ولكن بوجود المسجد تزول هذه الفوارق لأن الجميع يصفون صفاً واحداً خلف إمام واحد وليس لاحد أفضلية على أحد، ففى صلاة الجماعة فى المسجد فرصة كبيرة للكبراء كى يتذكروا بأنه ليس باستطاعتهم فى كل وقت أن يتعالوا على الضعفاء، وبالتالى يتضاءل ما فى نفوسهم من التكبر عن الاجتماع مع من هم دونهم منزلة فى الحياة الدنيا، كما أن فى ذلك فرصة للفقراء كى يسموا بأنفسهم ويعلموا بأن الفقر لا يحول بينهم وبين الوقوف جنباً إلى جنب مع الأغنياء .

ولذلك كانت صلاة الجماعة فى المسجد تفضل صلاة الرجل بسبع وعشرين درجة كما أخرج الإمام البخارى من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله (ﷺ) قال : «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة» . وفى رواية أخرى للبخارى : «صلاة الرجل فى الجماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمساً وعشرين ضعفاً»، وفى هذه الرواية دليل على أن صلاة الجماعة لا يعتبر لها هذا الثواب إلا إذا كانت فى المسجد[1] .

ومسجد الحى هو بداية التعارف والتآلف لأن مداومة اللقاء فى جو المسجد الروحى والصلاة جماعة فيه من أقوى الروابط التى تربط بين جماعة المسلمين اضافة إلى ما يقوم به إمام المسجد من تذكير الجماعة بواجبهم فى التآلف والتآخى وإصلاح ذات البين .

وهذا التعارف والتآخى مرحلة لتعارف أكبر وتآلف اشمل حيث يجتمع المسلمون فى القرية الواحدة أو أهل جزء من المدينة يوم الجمعة فى مسجد واحد، ومهمة خطيب الجمعة فى هذا المجال أن يكمل ما بدأه المسلمون من التآخى فى أحياء مختلفة ومساجد متعددة وذلك بالتركيز على معانى الأخوة الإيمانية ولزوم الجماعة الإسلامية . . . حتى يخرج المسلمون من المسجد وهم يشعرون بأن لهم أخوة فى الله كثير ون ويكفى أنهم يرون منهم يوم الجمعة هذا الحشد الكبير .

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الصلاة حديث رقم : (٦٤٥-٦٤٧)

إن المسلم يوم الجمعة ليس بامكانه أن يتعرف على من فى المسجد من الأمة ولكن يكفى شعوره بأن جميع من صلوا معه أخوة له فى الإيمان وان يشعر بأن هؤلاء ليسوا إلا نموذجاً واحداً لمجموعات كبيرة من اخوته فى الله فى سائر بقاع المعمورة .

إن موضوع التذكير بواجبات الأخوة الإسلامية والتركيز على لزوم الجماعة من أهم الموضوعات التى يجب على خطيب الجمعة أن يهتم بها لأنها تجسم الحكمة التى من أجلها شرعت صلاة الجمعة والجماعة .

ونظراً لما لصلاة الجمعة من الأهمية البالغة فى الإسلام فقد جاء التغليظ الشديد فى وعيد تاركها كما أخرج الإمام مسلم من حديث أبى هريرة وابن عمر - رضى الله عنهما - أنهما سمعا رسول الله (ﷺ) يقول على أعواد منبره : «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» .

وهل أعظم غفلة ممن حرم نفسه من استماع الموعظة الأسبوعية الوحيدة التى فرض عليه سماعها واداء الصلاة جماعة مع العدد الكبير من إخوانه المسلمين .

ثم تتجلى رابطة الجماعة الإسلامية بشكل آخر حيث يخرج المسلمون فى صلاة العيد مرتين فى العام خارج البلد .

ثم هناك الاجتماع السنوى الكبير حينما يفد الحجاج إلى بيت الله الحرام فإن فيه مجالاً كبيراً لتعارف المسلمين وتآلفهم وكم من تعارف واخاء كان مبدؤه اللقاء فى الحج ثم ينمو ويبقى بعد ذلك بالاتصال المتكرر .

وليت المسلمين الذين يحجون هذا البيت الحرام يدركون هذا المعنى السامى فيخططون للاستفادة الكاملة من الحج فى هذا المجال فإنه من حكم الحج واسراره .

وبهذه الاجتماعات المتكررة التى أمر الله بها جل وعلا عن طريق العبادات التى شرعت لتزكية النفوس وجمع شمل المسلمين تتكون الجماعة الإسلامية على مستوى الحى فالقرية فالأمة من جميع اقطار الإسلام ، وبملازمة هذه العبادات والادراك السليم لحكمة تشريعها تنمو جامعة الإسلام وتقوى ثم تؤتى ثمارها المطلوبة فى حماية الإسلام والمسلمين ونشر الإسلام فى ربوع هذه الأرض .

أثر الجماعة فى قوة الأمـــة

حينـما تكـون الأمة مجتمعة على هدف واحد وتسير صفاً واحداً فإن دولتها تكون قوية مهيبـة الجـانب ولا يطمـع الأعـداء فى اقتطـاع جزء منها، وحينما تتفرق إلى دويلات وتتعدد أهـدافهـا يسهـل على الأعـداء أضعـاف قوتهـا والاستيلاء على ما يريدون منها، هذا على مستوى الأمة، وكذلك على مستوى الأفراد، فالجماعة وإن كان فيهم بعض الضعفاء لهم من القوة والهيبة ما ليس للأفراد وإن كانوا اقوياء، وفى هذا المعنى يقول رسول الله (ﷺ) : «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ـ وشبك بين أصابعه ـ أخرجه الشيخان[1] فالبناء مكـون من مجمـوعـة من المـواد المتناثرة التى يسهل على اللصوص اختطاف شىء منها ولكن حينما تجتمع هذه المواد وتدخلها يد الفن والتعمير تصبح قصراً شاهقاً يصعب اقتطاع جزء منه ويصبح له كيان يدهش الناظر ويعجب المتأمل .

وحينما كانت الأمة الإسلامية دولة واحدة لم يكن الأعداء يقدمون على الاستيلاء على أراضيهـا بالـرغم من ضعف دولـة الإسـلام آنـذاك وحينـما استطاع الأعداء أن يقضوا على الخلافة الإسلامية هان عليهم الاستيلاء على أجزاء كثيرة من بلاد الإسلام .

ولقد وقف الأعداء حائرين زمناً طويلاً أمام وحدة هذه الأمة فلم يستطيعوا أن يقتطعوا منها شيئاً لأن هيبة الدولة الإسلامية واجتماع الكلمة كانت تقف سدا منيعا أمام كل محاولاتهم بالـرغم مما كان يعـتر ى وحدة الأمة الإسلامية من التصدع والضعف، ولكن اجتماع الكلمة مهما كانت نسبته من القوة والتماسك خير من الفرقة والخلاف .

أثر لزوم الجماعة فى النصر على الأعداء

إن الجماعة المؤمنة حينما تكون صفاً متماسكاً وتواجه اعدائها وهى كتلة واحدة جديرة أن تظفر بنصر الله جل وعلا وأن تحول بين أعدائها ومحاولة تفتيت شملها واضعاف قوتها .

ذلك أنه مهما قل عددها وقلت عدتها فانها قوية بتماسكها واجتماع كلمتها أمام أعدائها الـذين مهـما بلغ عددهم وقويت عدتهم فانهم ضعفاء بتفرق كلمتهم واختلاف مقاصدهم، إذ أنـه لا يمكن لجماعـة على وجـه الأرض ان يتـآلف أمـرهـا وتجتمع كلمتها بالمستوى الذى تكـون عليـه الجـماعـة الإسـلاميـة ولا بمستـوى يقرب منه، ذلك أن الذى ألف بين الجماعة

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الصلاة رقم : (٤٨١)، صحيح مسلم : كتاب البر رقم : (٦٥) .

الإسـلاميـة هو الله جل وعـلا والـذى يؤلف بين الجـماعات الأخرى هم البشر أنفسهم ، ولا يمكن بحال أن يوضع تشريع الله جل وعلا فى المقارنة مع تشريع البشر، بل إن مجرد التفكير فى ذلك يعتبر انحطاطاً فى التفكير وانقلاباً فى المفاهيم حتى رسول الله (ﷺ) الذى هو أفضل البشر وأقدرهم على جمع الكلمة ما كان باستطاعته لولا وحى الله الذى يتنزل عليه أن يؤلف بين قلوب البشـر : ﴿**وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعـاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم**﴾ . (الأنفال : ٦٣) .

أضف إلى ذلـك أن الهـدف الـذى من أجله جمع الله المؤمنـين وشرع لهم الجهاد وهو ابتغـاء رضـا الله جل وعـلا والسعـادة فى الـدار الآخرة يدفع المؤمنين إلى التضحية بالأموال والأنفس لأن هذه التضحيـة هى الطـريق الصحيح لبلوغ هذا الهدف ، وكلما بالغ المؤمن فى بذل ماله ونفسه فى سبيل الله كان أسرع إلى بلوغ هذا الهدف السامى .

امـا الجـماعـات الأخـرى فان مقـاصـدهـا قريبة وأهدافها مقصورة على الحياة الدنيا والسبيل الأمثل للوصول إلى هذه الأهداف هو استبقاء الحياة لاطول فترة ممكنة حتى يتمتع الإنسـان بثمـرات انتصاره وبالتالى يقع الفشل والتراجع أمام اقدام الجماعة الإسلامية على بذل الأموال والأنفس فى سبيل الله .

وبينـما نجـد الجماعات الدنيوية تتنافس على الوصول إلى هذه الأهداف التى تفرض عليهـا الاحجـام والـتردد وتفرق الكلمة فإننا نجد أن الجماعة الإسلامية تتنافس فى الوصول إلى هدف يفرض عليها الاقدام والتضحية واجتماع الكلمة .

ومن هنـا نعلم أن أعـداء المؤمنـين مهـما كثـروا وقـويت عدتهم فهم ضعفـاء لدنـاءة مقـاصـدهم وتفـرق كلمتهم . وان أظهروا الاجتماع على حرب المسلمين : ﴿**تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلـك بأنهم قوم لا يعقلون**﴾ . (الحشـر : ١٤) . والمسلمـون مهـما قلوا وضعف استعدادهم فهم أقوياء باتحاد هدفهم وسمو مقصدهم واجتماع كلمتهم ماداموا مؤمنين حقا بالإسلام .

وفى هذه الآية الكريمة أقوى رادع للمؤمنين عن التفرق واختلاف الكلمة لأنهم حينما يتفرقون لا يظفرون بحب الله جل وعلا والمحروم من الخير من حرم من محبة الله سبحانه وتعالى .

ولقد أثبت الله جل وعلا محبته للمؤمنين الذين يقاتلون أعداءهم صفا متماسكا : ﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص**﴾ . (الصف : ٤) .

وحينما يتفرقون تكثر الفجوات التى ينفذ منها الأعداء إلى جسم الأمة الإسلامية فيسهل عليهم القضاء عليها خصوصاً إذا بلغ المسلمون من ضعف الإيمان إلى الحد الذى يخذل فيه بعضهم بعضا ويتيحون الفرصة للأعداء كى يقضوا عليهم .

عوامل تفريق الجماعة

وبعد أن عرفنا عوامل تقوية الجماعة الإسلامية فإن هناك أسباباً تضعف الجماعة أو تفرق شملها فمن هذه الأسباب :

١ - الدعوة إلى العصبية :

علمنا مما مضى أن سر اجتماع المسلمين جميعاً فى جماعة واحدة على مختلف أجناسهم ولغاتهم والوانهم هو كونهم جميعاً ينشدون الوصول إلى هدف واحد هو طلب رضوان الله عز وجل، ومعلوم أن الوصول إلى تحقيق هذا الهدف يفرض عليهم الاجتماع والتآخى والتآلف، فإذا ما أوجدوا لأنفسهم مقاصد مخالفة وأهدافا متضاربة فإنهم تبعا لذلك يختلفون ويتناحرون وتنحل جماعتهم وبالتالى تضعف قوتهم وتذهب ريحهم .

ولقد أدرك أعداء الإسلام فعالية هذا السلاح المدمر فحاولوا اشعال نار الفتنة بين المسلمين منذ بزوغ شمس هذا الدين وقيام الجماعة الإسلامية، وأول من حاول تفريق جماعة المسلمين هم اليهود وذلك عند تكوين أول جماعة إسلامية فى المدينة المنورة حيث كانوا يذكرونهم بحروبهم الجاهلية وعصبيتهم الممقوتة فمن ذلك ما حدث من أحد كبار اليهود حيث أمر شاباً منهم أن يعمد إلى مجلس الأنصار فيذكرهم بيوم بعاث اخر أيام حروبهم فى الجاهلية وأن ينشدهم ما قيل فيه من الاشعار، فثارت بينهم حمية الجاهلية وتواعدوا للقتال فى الحرة خارج المدينة ولما خرجوا للقتال علم رسول الله (ﷺ) فخرج إليهم مع بعض الصحابة فأدركهم قبل أن يقتتلوا فقال: «يا معشر المسلمين، الله الله ابدعوى الجاهلية وأنا بين اظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم من الكفر وألف بين قلوبكم». فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله (ﷺ) سامعين مطيعين. وقد ذكر ابن إسحاق هذه الرواية مطولة(١).

---

(١) سيرة ابن هشام : (٣٩٦/٢)، تفسير الطبرى: (٥٦/٧) .

وهكذا أدركهم النبى (ﷺ) قبل أن يتفرقوا وكان لهم من إيمانهم القوى ما غطى على نزعة الجاهلية ، ولكن المسلمين بعد عصر الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ قد استجابوا اما قليلا وإما كثيراً لنداء العصبية الجاهلية فقامت بينهم بسبب ذلك الحروب الطاحنة التى اضعفتهم على مدى العصور وكان آخر ذلك الدعوة للقوميات التى شتت شمل الأمة حتى استطاع الأعداء بسبب ذلك أن يقضوا على الخلافة الإسلامية وأن يقسموا بلاد الإسلام إلى دويلات صغيرة .

٢ ـ انتشار الأخلاق السيئة فى المعاملات :

وذلك فيما يتعلق بأفراد المجتمع فى تعاملهم فيما بينهم ، فمن الأخلاق السيئة التى تدمر جماعة الأمة الكذب والغيبة والنميمة وسوء الظن ، فالكذب خلق ذميم يدل انتشاره فى المجتمع على انحطاطه وانهيار تحصيناته الواقية من الرذائل .

فالتحرز من الكذب يقى المجتمع من الأخبار المختلقة التى يقصد من وراء اختلاقها وترويجها افساد الأمة واضعاف معنويتها وقد تؤدى إلى التناحر والشقاق بين الأمة الواحدة .

والتحرز من الكذب ينتج معاملات سليمة لا غش فيها ولا خداع ولا تزوير ، والتعامل النزيه كما أنه يقى المجتمع من التفكك الذى يحدثه التباغض والاثرة فإنه يعطى الأمة سمعة جيدة تجعل الأمم الأخرى تحترمها وتحاول تقليدها .

ولهذا فإن النبى (ﷺ) نفى الإيمان عن الكذابين كما أخرج الإمام مالك عن صفوان ابن مسلم قال : قيل لرسول الله (ﷺ) : أيكون المؤمن جباناً؟ فقال : نعم ، فقيل له : أيكون المؤمن بخيلاً؟ فقال : نعم ، فقيل له : أيكون المؤمن كذاباً؟ فقال : لا[١] .

والإسلام كما حرم الكذب فقد حرم عيب المؤمنين فى حال غيبتهم وإن لم يشتمل ذلك على الكذب لأن كلام المغتاب حينما يبلغ من وقع عليه يؤثر على ما بينهما من رابطة الأخوة فيبدأ التفكك من داخل المجتمع ، وأشد من ذلك ضرراً وأبلغ أثراً فى تقطيع أوصال الأمة نقل كلام المسلمين فى إخوانهم على وجه الافساد بينهم .

ولذلك كثرت فى الكتاب والسنة التحذيرات المنفرة من الغيبة والنميمة قال تعالى : **﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾** . فاعتبر جل

(١) الموطأ : كتاب الكلام رقم : (١٩) .

وعلا الغيبة قتلاً للأمة فالذى ينتهك أعراض المسلمين إنما يقطع جسم الأمة، فليتصور أمته وهى أشلاء ممزقة فإنه فى تمزيقها سهم وافر .

كما جعل الله جل وعلا الغيبة والنميمة من أخلاق أعتى الكفار وأعنفهم حيث قال تعالى : ﴿**هماز مشّاء بنميم**﴾ .

أما سوء الظن فهو الشرارة الأولى فى إحراق حبل الأخوة الإسلامية لأن الإنسان قد يسمع من أخيه كلاما فيه احتمال الخير والشر فإذا خلا الإنسان إلى تفكيره بعد ذلك وسوس إليه الشيطان فقلل فى فكره جانب الخير وضخم جانب الشر حتى يوقع بين المؤمنين ثم قد يبنى على سوء الظن هذا تصرفات أخرى حيث ينظر إليها من زاوية الشر فتقع بعد ذلك القطيعة بين أفراد المجتمع، والمجتمع مكون من الأفراد فإذا كثر التقاطع بينهم أثر ذلك على تماسك الجماعة وقوتها، ولذلك حذرنا الله جل وعلا من سوء الظن فقال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم**﴾ . (الحجرات : ١٢) . وقال رسول الله (ﷺ) : «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» . أخرجه الإمام مسلم[١].

مظاهر الانتماء للجماعة :

إن الانتماء إلى جماعة الإسلام له مظاهر تبين صدق هذا الانتماء ومقدار قوته من ضعفه ومدى فعاليته فى المجتمع فمن ذاك :

١ ـ **طاعة الإمام** المسلم فى الحدود التى أوجبها الله تعالى وذلك لأن المجتمع لا ينتظم أبداً بغير طاعة ولى الأمر ومن يوليهم نوابا عنه .

٢ ـ **الالتزام بأنظمة المجتمع** التى تنبثق من الإسلام أو التى يرى علماء الدين أنها توافق الإسلام ولا تتنافى مع تشريعاته الحكيمة، إذ أن التمرد على هذه الأنظمة أو استغلال غفلة الرقباء على تنفيذها يحدث خللا فى المجتمع فيضعف الشعور بالمسئولية ويسود الرعاع من الناس الذين لا يحاولون فهم هذه الأنظمة ولا يراعون حرمتها، وبذلك تسود الفوضى ويعم الفساد فى الأرض .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب البر رقم : (٢٨) .

٣ ـ الاهتمام بأمور المسلمين فلا يكون المسلم ملتزماً بالجماعة حتى يهتم بأحوال اخوانه المسلمين فى جميع بقاع الأرض ويشعر بمشاعرهم فيفرح لفرحتهم ويغتم إذا حل بهم مكروه ويشاركهم فى مصائبهم فيبذل لهم من نفسه وماله ويكثر من الدعاء الخالص لهم حتى يزول كربهم وتصلح أحوالهم .

فالذين يعيشون حياتهم وليس لهم صلة باخوانهم المسلمين فى بقاع الأرض فلا يسألون عن أخبارهم ولا يهتمون بها إذا سمعوا عنها ولا يفرحون لانتصار المسلمين ولا يغتمون لهزيمتهم ولا يحاولون المشاركة فى نجدتهم بما استطاعوا . . . هؤلاء مقصرون فى لزوم جماعة المسلمين وأن كانوا ملتزمين بالإسلام فى بعض تشريعاته .

وبعـــد :

فهذه لمحات موجزة أردت فيها أن أسلط الأضواء على هذا الموضوع الهام من باب التذكير بالواجب علينا جميعاً من أجل أن نخرج من هذا الاجتماع وقد علمنا تكليفاً كلفنا به الله تعالى ورسوله (ﷺ) نحو لزوم جماعة المسلمين ولم أرد أن يكون بحثاً علمياً وافياً نحو هذا الموضوع فليس هذا المجال مما يسمح بمثل هذا البحث والله وحده المستعان فهو جل وعلا حسبنا ونعم الوكيل . . .

صلاة الجماعة

- ٢ - للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي
أستاذ مساعد بكلية الحديث الشريف

الرخصة فى اعادة الجماعة لمن صلاها منفردا :

١ ـ حديث أبي ذر الغفـاري :

قال : قال لى رسول الله ﷺ : «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يميتون الصلاة، أو قال: يؤخـرون الصـلاة عن وقتهـا. قلت: ما تأمـرنى؟. قال: صل الصـلاة لوقتهـا، فإن ادركتها معهم فصل، فإنها لك نافلة» (١).

وفى رواية مسلم : عن أبى العالية البراء قال: أخر زياد الصلاة، فأتانى عبد الله بن الصامت، فألقيت له كرسيا فجلس عليه، فذكرت له صنع زياد فعض على شفتيه، وضرب على فخذى، وقال: إنى سألت أبا ذر كما سألتنى فضرب فخذى كما ضربت فخذك، وقال: إنى سألت رسـول الله ﷺ كما سألتنى فضـرب فخـذى كما ضربت فخذك. فقال رسول الله ﷺ : «صل الصلاة لوقتها فإن أدركت معهم فصل، ولا تقل إنى قد صليت فلا أصلى».

قال النـووى : وفيـه دليـل على أن الإمـام إذا أخـر الصلاة عن أول وقتها، يستحب للمأمـوم أن يصليهـا فى أول الـوقت منفـرداً، ثم يصليهـا مع الإمـام. فيجمع فضيلتى أول الوقت والجماعة.

٢ ـ حـديث ميمون الأودى :

قال : قدم علينـا معـاذ بن جبـل اليمن رسـولُ رسـولِ الله ﷺ إلينا، قال: فسمعت تكبيره مع الفجر، رجل أجش الصوت قال: فألقيت عليه محبتى فما فارقته حتى دفنته بالشام ميتا. ثم نظرت إلى أفقه الناس بعده، فأتيت ابن مسعود فلزمته حتى مات. قال: قال لى رسـول الله ﷺ : كيف بكم إذا أتت عليكم أمـراء يصلون الصلاة لغير ميقاتها؟. قلت: فما

---

(١) رواه مسلم : (١٤٧/٥ مع النووى) وأبوداود (١/٢٤٨ مع المنذرى) والترمذى (١/٥٢٤ مع التحفة) والنسائى (٢/٧٥) وابن ماجه (١/٣٩٨) كلهم عن عبد الله بن الصامت، عن أبى ذر ـ رضى الله عنه.

تأمرني ان أدركني ذلك يارسول الله؟ قال: صل الصلاة لميقاتها، واجعل صلاتك معهم سبحة[1]. . سبحة: أى نافلة. أجش الصوت: أى غليظ الصوت بغنة.

وقد روى مثل هذا الأسود، وعلقمة، عن ابن مسعود فى سياق أطول من هذا وهو الآتى.

وعمرو بن ميمون الأودى أبو عبد الله، ويقال أبو يحي، مخضرم مشهور وثقه ابن معين، والنسائى.

وهذا الحديث لم أجد من أخرجه غير أبى داود.

٣ ـ حديث ابن مسعود :

قال : قال لى رسول الله ﷺ : «لعلكم ستدركون أقواما يصلون الصلاة لغير وقتها، فان أدركتموه فصلوا الصلاة لوقتها وصلوا معهم، واجعلوها سبحة».

رواه النسائى وابن ماجه [2] من حديث أبى بكر بن عياش عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود. ورواه مسلم [3] من حديث إبراهيم عن الأسود، وعلقمة قالا: أتينا عبد الله بن مسعود فى داره فى سياق أطول من الحديث المذكور أعلاه.

وأما قول المنذرى : أخرج البخارى ومسلم والترمذى من حديث أبى عمرو، سعد ابن اياس الشيبانى عن ابن مسعود فهو فى سياق آخر.

٤ ـ حديث محجن :

قال : أنه كان فى مجلس مع النبى ﷺ فأذن بالصلاة، فقام رسول الله ﷺ فصلى ورجع، ومحجن فى مجلسه، فقال له رسول الله ﷺ: «ما منعك أن تصلى مع الناس، ألست برجل مسلم؟». قال: بلى يارسول الله، ولكنى قد صليت فى أهلى، فقال له رسول الله ﷺ: «إذا جئت المسجد وكنت قد صليت، فأقيمت الصلاة، فصل مع الناس وان كنت قد صليت».

---

(١) رواه أبو داود : (١/٢٤٨) قال المنذرى : حسن.
(٢) النسائى : (٢/٧٥) وابن ماجة : (١/٣٩٨).
(٣) مسلم : (٥/١٥-١٦).

رواه مالك فى الموطأ، والنسائى، وأحمد فى مسنده، والحاكم فى المستدرك، [1] بطرق عن زيد بن أسلم، عن بسر بن محجن، عن أبيه .

قوله : بسر : بضم الموحدة، وسكون المهملة، كذا قال مالك فى روايته عن زيد بن أسلم . وقال الثورى عن زيد بن أسلم عن بشر ـ بكسر الموحدة، وبالشين المعجمة . والصواب ما قاله مالك . نص على ذلك أبو نعيم، وابن عبد البر، وابن حبان، وغيرهم . وهكذا رواه أحمد فى مسنده عنه أيضا .

وبسر هذا تابعى مشهور، جزم بذلك البخارى والجمهور، وذكره البغوى وغيره فى الصحابة . وأخرجوا من طريق ابن إسحاق، عن عمران بن أبى أنس، عن حنظلة بن على، عن بسر بن محجن، قال : صليت الظهر فى منزلى ثم خرجت بإبل لى لأضربها فمررت برسول الله ﷺ وهو يصلى فى مسجده . . . الخ . ذكره الحافظ فى الاصابة [2]، فى القسم الرابع وهو خاص بمن ذكر فى الصحابة على سبيل الوهم والغلط . ولذا عقب بعد ذكر الاسناد بقوله : وقد سقط من الاسناد قوله عن أبيه .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح . **وقال الذهبى** : تفرد عن محجن ابنه . ولكن عرفت ان ابن محجن وهو بسر من التابعين الثقات . فلا يضر تفرده .

٥ ـ حديث يزيد بن الأسود :

قال : شهدت مع رسول الله ﷺ حجته، فصليت معه صلاة الصبح فى مسجد الخيف، فلما قضى صلاته انحرف، فإذا هو برجلين فى آخر القوم لم يصليا معه، فجىء بهما ترعد فرائصهما، فقال : ما منعكما ان تصليا معنا؟ . فقالا : يارسول الله انا كنا قد صلينا فى رحالنا . قال : فلا تفعلا، إذا صليتما فى رحالكما، ثم أتيتما مسجد الجماعة فصليا معهم فإنها لكما نافلة .

رواه أبو داود، والترمذى، والنسائى، وأبو داود الطيالسى، وأحمد، وابن أبى شيبة، والحاكم [3] بطرق عن يعلى بن عطاء عن جابر بن يزيد بن الاسود عن أبيه . قال الترمذى حسن صحيح .

---

(١) مالك : (١/٤٠٥ مع الزرقانى) والنسائى (٢/١١٢) وأحمد (٤/٣٤) والحاكم (١/٢٤٤) .
(٢) الإصابة : (١/١٨١) .
(٣) أبو داود (١/٢٩٩) والترمذى (٢/٣) والنسائى (٢/١١٢) وأبو داود الطيالسى (١٢٤٧) وأحمد (٤/١٦٠) وابن أبى شيبة (٢/٢٧٤) والحاكم (١/٢٤٤ـ٢٤٥) .

ونسب الحافظ فى التلخيص[1]، لابن حبان والدارقطنى أيضا، ونقل تصحيحه عن ابن السكن ثم قال: قال الشافعى فى القديم: إسناده مجهول. قال البيهقى: لأن يزيد بن الاسود ليس له راوغير ابنه، وهوجابر، ولا لابنه جابر راوغير يعلى. إلا أن الحافظ استبعد هذا الطعن. فقال: يعلى بن عطاء من رجال مسلم، وجابر وثقه النسائى وغيره، وقد وجدنا لجابر بن يزيد راويا غير يعلى، أخرجه ابن مندة فى المعرفة من طريق بقية، عن إبراهيم بن ذى حماية، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر. انتهى.

أقول: بقية وهو ابن الوليد والمعروف أنه مدلس، إلا أنه صرح بالسماع فى رواية الدارقطنى[2]. عن إبراهيم.

ثم تواتر هذا الحديث عن يعلى بن عطاء. قال الحاكم[3] روى عنه شعبة، وهشام بن حسان، وغيلان بن جامع، وأبوخالد الدالانى، وأبوعوانة، وعبد الملك بن عمير، ومبارك ابن فضالة، وشريك بن عبد الله، وغيرهم، وقد احتج مسلم بيعلى بن عطاء، انتهى. ووافق على ذلك الذهبى. ويبدومن هذا أن عبد الملك بن عمير روى مرة عن جابر مباشرة، ومرة عن يعلى بن عطاء عن جابر.

وعبد الملك هذا رمى بالاختلاط لكبر سنه لأنه عاش مائة وثلاث سنين. وأخرج له الشيخان من رواية القدماء عنه فى الاحتجاج، ومن رواية بعض المتأخرين عنه فى المتابعات.

٦ ـ حديث يزيد بن عامر:

قال: جئت والنبى ﷺ فى الصلاة فجلست، ولم أدخل معهم فى الصلاة، فانصرف علينا رسول الله ﷺ فرأى يزيداً جالساً فقال: ألم تسلم يايزيد. قال: بلى يارسول الله قد أسلمت. قال: فما منعك أن تدخل مع الناس فى صلاتهم. قال: إنى كنت قد صليت فى منزلى، وأنا أحسب أن قد صليتم. فقال: إذا جئت إلى الصلاة فوجدت الناس فصل معهم، وان كنت قد صليت تكن لك نافلة، وهذه مكتوبة، رواه أبو داود [4].

---

(١) التلخيص: (٢/ ٢٩).
(٢) الدارقطنى: (١/ ٤١٢).
(٣) المستدرك: (١/ ٢٤٥).
(٤) (١/ ٣٠٠-٣٠١).

قال النووى فى الخلاصة : اسناده ضعيف ، نقل عنه الحافظ الزيلعى فى نصب الراية[1]، ولم يبين موضع الضعف. وبين ذلك الحافظ فى التهذيب، فقال: فيه نوح بن صعصعة حجازى جعله الدارقطنى مجهولا ، لأنه لم يروى عنه سوى سعيد بن السائب الطائفى ولم يوثق. وقال فى التقريب: هو مستور .

وقد ذهب البعض إلى أن يزيد بن الأسود، ويزيد بن عامر رجل واحد .

ومنهم من قال : قصة محجن شبيهة بقصة يزيد بن عامر ليتسنى له تضعيف قصة محجن، لأن فى قصة يزيد: نوح بن صعصعة ضعيف.

٧ ـ حديث أبى أيوب الأنصارى :

سأل رجل من بنى أسد بن خزيمة أبا أيوب الأنصارى، فقال: يصلى أحدنا فى منزله الصلاة، ثم يأتى المسجد، وتقام الصلاة، فأصلى معهم، فأجد فى نفسى من ذلك شيئا. فقال أبو أيوب: سألنا عن ذلك النبى ﷺ فقال: فذلك له سهم جمع. رواه أبوداود مرفوعا، ومالك موقوفا، والبيهقى بوجهين[2]، قال المنذرى: فيه رجل مجهول .

وهو الصواب فإنى لم أجد من سمى هذا الرجل من بنى أسد بن خزيمة. قوله: سهم جمع : أى يضعف له الأجر فيكون له سهمان منه قاله ابن وهب وقال غيره: جمع هنا أى الجيش كقوله تعالى : ﴿**سيهزم الجمع**﴾ . قال بن عبد البر : أى له أجر الغازى فى سبيل الله. والأول أشبه واصوب. وقد أوصى المنذر بن الزبير لفلان كذا، ولفلان كذا، ولفلان سهم جمع، فسئل عن ذلك فقال: نصيب رجلين .

هذه الأحاديث تدل على جواز إعادة الصلاة بالجماعة لمن صلاها فى منزله منفردا. وهو أمر متفق لدى جمهور العلماء على سبيل الاختيار والإيثار لإدراك فضيلة الجماعة .

وقد خالفه فى ذلك بعض من لا يعتد بقولهم. وكانت حجتهم حديث ابن عمر مرفوعا «لا تصلوا صلاة فى يوم مرتين» .

رواه أبو داود، والنسائى، وأحمد، والدارقطنى، وابن حبان، وبن أبى شيبة[3]. كلهم بطرق عن عمرو بن شعيب، عن سليمان بن يسار مولى ميمونة. وسياق الحديث:

---

(١) (٢/١٥٠) .
(٢) أبو داود مع المنذرى، الطبعة الباكستانية. (١/٣٠١) ومالك (١/٤٠٧) والبيهقى (٢/٣٠٠) .
(٣) أبو داود (١/٣٠١) والنسائى (٢ ,٢١٤) وأحمد (٢/١٩، ٤١) والدارقطنى (١/٤١٥)، وابن حبان (موارد الظمآن ١٢١) وابن أبى شيبة (٢/٢٧٦) .

يقول سليمان، أتيت على ابن عمر وهو بالبلاط، والقوم يصلون فى المسجد، قلت ما يمنعك ان تصلى مع الناس، أو القوم؟. قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تصلوا صلاة فى يوم مرتين».

قال المنذرى: وفى اسناده عمرو بن شعيب، وقد تقدم الكلام عليه، وهو محمول على صلاة الاختيار، دون ماله سبب، كالرجل يصلى ثم يدرك جماعة فيصلى معهم. وقد كان صلى ليدرك فضيلة الجماعة، جمعا بين الأحاديث.

أقول: إن النقاد اتفقوا على أن عمرو بن شعيب إذا حدث عن سعيد بن المسيب، أو سليمان بن يسار مولى ميمونة، أو عروة، فهو ثقة عن هؤلاء. نص على ذلك اسحاق بن منصور، ويحى بن معين وغيرهما.

وقال ابن حبان: عمرو بن شعيب فى نفسه ثقة يحتج بخبره إذا روى عن غير أبيه[1]. وقد صحح النووى اسناد هذا الحديث وذكروا عدة تأويلات، منها:

(١) المنع من أداء الصلاة مرتين اختيارا من غير سبب.

(٢) المنع لمن صلى الفرض مرتين بنية الفرض. وهو تأويل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، فانهما قالا: ان يصلى الرجل صلاة مكتوبة عليه، ثم يقوم بعد الفراغ منها فيعيدها على جهة الفرض، وأما من صلى الثانية مع الجماعة على أنها نافلة اقتداء بالنبى ﷺ فى أمره بذلك فليس ذلك من اعادة الصلاة فى يوم مرتين، لأن الأولى فريضة، والثانية نافلة فلا اعادة حينئذ. كذا نقل الشيخ عبيد الله المباركفورى[2].

(٣) يحمل حديث ابن عمر على من صلى بالجماعة فى المرة الأولى، والأحاديث الأخرى على من صلى منفردا. والحمل على هذا واجب لما روى مالك فى الموطأ[3] عن نافع عن ابن عمر أن رجلا سأله فقال: إنى أصلى فى بيتى ثم ادرك الصلاة مع الإمام فأصلى معه؟. قال: نعم. قال: فأيهما أجعل صلاتى؟. قال ابن عمر: ليس ذلك إليك إنما ذلك إلى الله.

---

(١) أنظر تهذيب التهذيب (٨/٤٩) ونصب الراية (٢/١٤٨).
(٢) أنظر المرعاة: (٢/١٤٠).
(٣) الموطأ: (١/٤٠٦).

قال البيهقى : فهذا يدل على أن ما رواه عنه سليمان محمول على ما إذا صليت فى جماعة[1]، **وقال السيوطى** : وإلى هذا التأويل أشار المصنف (أى النسائى) فى الترجمة (وهى سقوط الصلاة عمن صلى مع الإمام فى المسجد جماعة) وبوب أبو داود بلفظ : إذا صلى جماعة، ثم أدرك جماعة هل يعيد الصلاة ؟

فكأن ابن عمر خص النهى الوارد فى حديثه لمن صلى الأولى بالجماعة فلا يعيد، وأما من صلى الأولى منفردا فلا حرج فى إعادتها بالجماعة .

مذاهب العلماء فى الصلوات التى تجوز إعادتها :

الأول : تجوز إعادة الصلوات الخمس :

وبه قال الشافعى وأحمد، واستدلوا فى ذلك بعموم الأحاديث الواردة فى الباب، ولأن النبى ﷺ قال: إذا صلى أحدكم فى رحله، ثم أدرك الإمام فليصل معه. فلم يستثن صلاة دون صلاة. وكذلك الصلوات التى لها سبب لا يدخل فيها الكراهة .

قال النووى فى شرح مسلم[2] معلقا على حديث أبى ذر «وفى هذا الحديث أنه لا بأس بإعادة الصبح والعصر والمغرب كباقى الصلوات، لأن النبى ﷺ أطلق الأمر بإعادة الصلاة، ولم يفرق بين صلاة، وصلاة. وهذا هو الصحيح فى مذهبنا. ثم قال: ولنا وجه أنه لا يعيد الصبح والعصر لأن الثانية نفل، ولا تنفل بعدهما، ووجه أنه لا يعيد المغرب لئلا تصير شفعا وهو ضعيف» .

وقال فى شرح المهذب[3] وفى وجه شاذ يعيد الظهر والعشاء فقط «ثم قال: » والمذهب استحباب الإعادة مطلقا. ومن صرح بتصحيحه الشيخ أبو حامد، ونقل انه ظاهر نصه فى الجديد، والقديم، وصححه أيضا القاضى أبو الطيب، والبندنيجى، والماوردى، والمحاملى، وابن الصباغ، والبغوى، وخلائق كثيرون لا يحصون، ونقله الرافعى عن الجمهور: هذا هو المذهب الصحيح عند الشافعى وينبغى ذكر هذا الرأى عند الاطلاق. وأما أحمد فقد قال ابن قدامة عنه فى المغنى[4]: ان من صلى فرضه ثم أدرك تلك الصلاة فى

(١) أنظر التلخيص للحافظ (٢/٢٩)، وزهر الربى للسيوطى (١١٤/٢ مع سنن النسائى) .
(٢) شرح النووى : (١٤٨/٥) .
(٣) شرح المهذب : (١٢١/٤) .
(٤) المغنى : (٩٢/٢) .

جماعة استحب له إعادتها، أى صلاة كانت بشرط أن تقام وهو فى المسجد، أو يدخل المسجد وهم يصلون وهذا قول الحسن والشافعى وأبى ثور .

وسئل الإمام أحمد عن إعادة المغرب : فقال : نعم إلا أنه يشفع . ونقل ابن قدامة عن الشافعى مثله ودليله فى ذلك ما رواه صلة، عن حذيفة أنه لما أعاد المغرب قال : ذهبت أقوم فى الثالثة فأجلسنى . «وهذا يحتمل أنه أمره بالاقتصار على ركعتين لتكون شفعا، ويحتمل أنه أمره بالصلاة مثل صلاة الإمام» .

ثم قال ابن قدامة : «إن هذه الصلاة نافلة، ولا يشرع التنفل بوتر، فكان زيادة ركعة أولى من نقصانها لئلا يفارق إمامه قبل إتمام صلاته» انتهى .

أقول : هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق فى المصنف [1] وابن أبى شيبة [2] عن الثورى عن جابر، عن سعيد بن عبيد، عن صلة بن زفر العبسى .

وجابر هذا هو ابن يزيد بن الحارث الجعفى . وقال الحافظ : ضعيف، وصلة بن زفر من الثقات .

وروى ابن أبى شيبة أيضا عن على أنه قال : يشفع بركعة يعنى إذا أعاد المغرب [3] .

وفيه : الحارث الأعور وهو كذاب .

وذكر بعض الآثار الأخرى من التابعين وأتباعهم .

الثانى : يكره المغرب فقط وهو قول الإمام مالك :

واستدل فى ذلك بأثر ابن عمر، رواه عن نافع عنه قال : من صلى المغرب، أو الصبح، ثم أدركها مع الإمام فلايعد لهما [4] ورواه [5] عن ابن جريج عن نافع . ثم قال مالك فى الموطأ أيضا : «ولا أرى بأسا أن يصلى مع الإمام من كان يصلى فى بيته إلا صلاة المغرب فأنه إذا أعادها كانت شفعا» انتهى .

---

(١) مصنف عبد الرزاق : (٢/٤٢١) .
(٢) ابن أبى شيبة : (٢/٢٧٦) .
(٣) المصدر السابق .
(٤) الموطأ : (١/٤٠٨) .
(٥) مصنف عبد الرزاق : (٢/٤٢٢) .

وقد علل محمد بن الحسن عدم إعادة المغرب بان الإعادة نافلة، ولا تكون النافلة وترا .

قال ابن عبد البر : هذه العلة أحسن من تعليل مالك .

وكان أبو قلابة أيضا يكره إعادة المغرب. ذكره عبد الرزاق فى المصنف. وأما ابن قدامة فنقل عن مالك إعادة المغرب إن صلى وحده، وعدم الإعادة إذا صلاها بالجماعة .

وهذا يخالف ما رواه الأئمة المالكية. ففى المدونة [1] « إذا دخل الرجل المسجد، وقد صلى وحده فى بيته فليصل مع الناس إلا المغرب فإنه إن كان قد صلاها ثم دخل المسجد فأقام المؤذن صلاة المغرب فليخرج» ومثله فى حاشية الدسوقى [2] وفى شرح الزرقانى على الموطأ [3] .

الثالث : لا يعيد من الصلوات إلا الظهر والعشاء :

وهو رأى الإمام أبى حنيفة وصاحبيه. والضابط فى ذلك ما ذكره الإمام الطحاوى فى شرح معانى الآثار [4] « كل صلاة يجوز التطوع بعدها فلا بأس من إعادتها على أنها نافلة له، غير المغرب، لأنها إن أعيدت كانت تطوعا، والتطوع لا يكون وترا، إنما يكون شفعا» . ثم قال: واحتجوا فى ذلك بما تواترت به الروايات عن رسول الله ﷺ فى نهيه عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس. ثم قال: وهذه ناسخة (لأحاديث الباب) .

واستدل الشيخ ابن الهمام فى شرح فتح القدير [5] بحديث رواه الدارقطنى عن ابن عمر وهو أن النبى ﷺ قال: «إذا صليت فى أهلك، ثم أدركت الصلاة فصلها إلا الفجر والمغرب» .

قال عبد الحق : تفرد برفعه سهل بن صالح الانطاكى وكان ثقة. وإذا كان كذلك فلا يضر وقف من وقفه لأن زيادة الثقة مقبولة. وإذا ثبت هذا فلا يخفى وجه تعليل أخراجه الفجر، بما يلحق به العصر. انتهى كلامه .

---

(١) المدونة : (١/٨٧) .
(٢) حاشية الدسوقى : (١/٢٩٦) .
(٣) شرح الزرقانى : (١/٤٠٨) .
(٤) شرح معانى الآثار : (١/٣٦٤) .
(٥) شرح فتح القدير : (١/٣٣٧) .

ولم اجد هذا الحديث فى سنن الدارقطنى فى مظانه، وكذلك لم أقف على من رفعه فى الكتب، وقد سبق ذكره موقوفا على ابن عمر عند مالك .

ثم ظفرت بكلام الشيخ عبيد الله المباركفورى فى المرعاة [1] أنه نسب الوهم إلى الملا على القارى فى المرقاة لأنه أيضا ممن نسب هذا الحديث إلى الدارقطنى مرفوعا ونص المباركفورى : «لم أجد هذا الحديث فى سنن الدارقطنى لا مرفوعا، ولا موقوفا، والظاهر أنه من وهم القارى» .

وأما سهل بن صالح الانطاكى هذا فهو أبو سعيد البزار قال فيه أبو حاتم : ثقة، وقال النسائى : لابأس به، وذكره ابن حبان فى الثقات وقال : ربما اخطأ .

وأما صلاة المغرب : ففى الهداية «فى ظاهر الرواية التنفل بالثلاث مكروه، وفى جعلها أربعا مخالفا لإمامه» قال الشيخ ابن همام «احتراز عما روى عن أبى يوسف أنه يدخل معه ويتمها أربعا» .

وحديث يزيد بن الأسود متأخر عن أحاديث النهى عن الصلوات فى الاوقات المكروهة بالتأكيد، لوقوعه فى حجة الوداع، ثم فيه نص صريح بصلاة الصبح .

قال الخطابى : «وظاهر الحديث حجة على جماعة من منع عن شىء من الصلوات كلها، ألا تراه يقول : إذا صلى أحدكم فى رحله ثم أدرك الإمام فليصل معه» . ولم يستثن صلاة دون صلاة . ثم قال : فأما نهيه ﷺ بعد الصبح حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب، فقد تأولوه على وجهين :

أحدهما : ان ذلك على معنى انشاء الصلاة ابتداء من غير مناسب، فأما إذا كان لها سبب مثل ان يصادف قوما يصلون جماعة، فانه يعيدها معهم ليحرز الفضيلة .

والوجه الآخر : أنه منسوخ، وذلك ان حديث يزيد بن الأسود متأخر لأن فى قصته أنه شهد مع رسول الله ﷺ حجة الوداع . وفى قوله ﷺ «أنها نافلة» دليل على صلاة التطوع جائزة بعد الفجر قبل طلوع الشمس إذا كان لها سبب . انتهى [2] .

---

(١) المرعاة : (٢/١٢٠) .
(٢) معالم السنن مع مختصر المنذرى : (١/٣٠٠) من الطبعة الباكستانية .

وقال السندى معلقا على حديث جابر بن يزيد بن الأسود فى حاشية النسائى [1] «هذا تصريح فى عموم الحكم فى أوقات الكراهة أيضا، ومانع عن تخصيص الحكم بغير أوقات الكراهة لاتفاقهم على أنه لا يصح استثناء المورد من العموم، والمورد صلاة الفجر». وقال: «ولا يمكن ان يتوهم نسخ هذا الحكم لكون ذلك فى حجة الوداع».

وقد زعم بعض العلماء أن فى حديث يزيد بن الأسود اضطرابا لا يصلح ان يكون حجة فى الباب، وملخص قوله: أنه ورد فى كتابى الآثار لمحمد وأبى يوسف، وفى كتابى البدائع والمبسوط وغيرها ان تلك الحادثة كانت فى صلاة الظهر.

ولكن الذى يبدو من دراسة هذه الأحاديث ان القصة التى وقعت فى صلاة الظهر هى قصة بسر بن محجن الدئلى كما فى بعض الروايات. فقد روى الإمام الطحاوى فى شرح معانى الآثار [2] بطريق ابن أبى داود قال: ثنا يحى بن صالح الوحُاَظى قال: ثنا سليمان بن بلال قال ثنى زيد بن أسلم، عن بسر بن محجن الدئلى عن أبيه قال: صليت فى بيتى الظهر والعصر. الخ.

وروى أحمد فى مسنده [3] بسياق آخر قال ثنا يعقوب، ثنا أبى، عن ابن إسحاق، قال حدثنى عمران بن أبى أنس، عن حنظلة بن على الأسلمى، عن رجل من بنى الديل قال: صليت الظهر فى بيتى، ثم خرجت بأباعر لى لأصدرها، إلى الراعى، فمررت برسول الله ﷺ وهو يصلى بالناس الظهر، فمضيت فلم أصل معه، فلما أصدرت أباعرى، ورجعت ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال لى: ما منعك يافلان أن تصلى معنا حين مررت بنا. قال: فقلت يارسول الله انى كنت قد صليت فى بيتى. قال: وإن.

قال الهيثمى فى مجمع الزوائد، رواه أحمد ورجاله موثقون [4].

وأما من اعتذر عن اعادة صلاة المغرب بحجة أنها تطوع، والتطوع لا يكون وترا. فيجاب ان صلاة الوتر من باب التطوع وهو نظير فى الموضوع. والشارع لم يخصص شيئا من عموم قوله فتخصيص شىء بالقياس بدون حاجة لا يجوز والله تعالى أعلم بالصواب.

---

(١) النسائى: (٢/١١٣).
(٢) شرح معانى الآثار: (١/٣٦٣).
(٣) أحمد: (٤/٢١٥).
(٤) مجمع الزوائد: (٢/٤٤).

المسألة الثانية : أى الصلاتين تكون مكتوبة؟ .

القول الأول : ان الأولى هى المكتوبة . وبه قال الجمهور من الفقهاء وهو مذهب أبى حنيفة وأحمد ، وأظهر القولين عند الشافعى كما نص على ذلك الإمام النووى فى روضة الطالبين [1] وشرح المهذب [2] وشرح مسلم [3] وذكر أقوال العلماء الشافعية فى هذه المسألة عند شرحه لحديث أبى ذر فى صحيح مسلم [4] فبلغت أربعة وهى : ان الفرض هى الأولى للحديث ولأن الخطاب سقط بها ، والثانى : ان الفرض أكملها ، والثالث كلاهما فرض ، والرابع الفرض أحدهما على الايهام ، يحتسب الله تعالى بأيهما شاء وأما الحنفية فلا خلاف عندهم فى فرضية الأولى ولذا وقع الخلاف فى إعادة صلاتى العصر والفجر لأجل النهى عن التطوع بعدهما .

واستدل هؤلاء بالأحاديث التى مر ذكرها وهى حديث أبى ذر، وأبى مسعود، ويزيد ابن الأسود، ومحجن الدئلى وغيرها . لأنه وقع التصريح فى هذه الأحاديث بأن الثانية تكون نافلة .

قال ابن قدامة : **ولان الأولى وقعت فريضة ، واسقطت الفرض ، بدليل انها لا تجب** ثانيا ، وإذا برئت الذمة بالأولى ، استحال كون الثانية فريضة ، وجعل الأولى نافلة . قال حماد ، وقال إبراهيم : إذا نوى الرجل صلاة ، وكتبتها الملائكة فمن يستطيع أن يحولها فما صلى بعدها فهو تطوع [5] .

القول الثانى : الثانية هى مكتوبة ، إذا صلى الأولى فرادى . وهو قول الشافعى فى القديم . واستدل له بحديث يزيد بن عامر الذى وقع فيه التصريح بأن الثانية مكتوبة .

يجاب عن هذا بان حديث يزيد بن عامر ضعيف وسبق بيان ذلك والشيخ الألبانى صحح هذا الحديث فى حاشية المشكاة [6] مع وجود رجل مستور فيه ، وهو نوح بن صعصعة . وحديث يزيد بن الأسود أولى منه وأثبت .

---

(١) روضة الطالبين : (٣٤٤/١) .
(٢) شرح المهذب : (١٢٣/٤) .
(٣) شرح مسلم : (١٦/٤) .
(٤) شرح مسلم : (١٤٨/٥) .
(٥) أنظر المغنى : (٩٤/٢) .
(٦) المشكاة : (٣٦٤/١) .

وحاول الشيخ الشوكانى الجمع بين الحديثين فقال فى نيل الأوطار [(١)] : «وعلى فرض صلاحية حديث يزيد بن عامر للاحتجاج به، فالجمع بينه وبين حديث الباب ممكن، بحمل حديث الباب على من صلى الصلاة الأولى فى جماعة، وحمل هذا على من صلى منفردا كما هو الظاهر من سياق الحديثين» .

إلا أنه جمع بعيد فإن من صلى الأولى منفردا بنية الفرض كيف تنقلب إلى النافلة وقد انتهى منها .

ثم يجب ان ينتهى هذا الخلاف فان الحديث ضعيف والقول الراجح عند الشافعى هو أن الأولى هى المكتوبة .

الثالث : التفويض إلى الله سبحانه وتعالى فى قبول ما شاء من الصلاتين . وهو المشهور من مذهب المالكية . واستدل هؤلاء بأثر ابن عمر - رضى الله عنه - رواه مالك فى الموطأ [(٢)] عن نافع، ان رجلا سأل عبد الله بن عمر: فقال: انى أصلى فى بيتى، ثم أدرك الصلاة مع الإمام أفأصلى معه؟ فقال عبد الله بن عمر: نعم، فقال الرجل: أيهما أجعل صلاتى؟ . فقال له ابن عمر: أو ذاك إليك؟ . إنما ذلك إلى الله يجعل أيهما شاء .

وذكر الزرقانى : روى ابن أبى ذئب، عن نافع، ان ابن عمر قال: ان صلاته هى الأولى. وقوله هذا مخالف لرواية مالك . فكأن ابن عمر شك فى أول الأمر، ثم بان له أن الأولى هى الفرض فرجع من شكه إلى اليقين، ولا يقال عكس هذا . فمن المحال ان يرجع إنسان من اليقين إلى الشك . إلا أن المذهب المختار عندهم هو هذا . قال ابن عبد البر: حسب النظر الفقهى الدينوى الفريضة هى الصلاة الأولى، وأما باعتبار الآخرى فالأمر مفوض إلى الله تعالى - ولهذا لايجوز لمن صلى فى بيته ثم أتى المسجد، فاقيمت الصلاة أن يتقدمهم لأنه لا يدرى أيتهما صلاته .

وهذا هو مذهب المدونة وعليه العلماء المالكية راجع التفاصيل فى حاشية الدسوقى [(٣)]

---

(١) نيل الأوطار : (٣/١١٤) .
(٢) الموطأ : (١/٤٠٦) .
(٣) حاشية الدسوقى : (٢/٢٩٧-٢٩٨)

وبعد هذه الدراسة المستفيضة لا يشك أحد فى أن الفرض هو الأولى وتقع الثانية نافلة. والله تعالى أعلم بالصواب .

الخامس : حضور النساء فى الجماعة :

لا خلاف بين العلماء بأن حضور النساء وشهودهن الجماعة ليس فرضا لما صح من الآثار بأن نساء النبى ﷺ كن فى حجرهن ولا يخرجن إلى المسجد .

واختلفوا فى أى الأمرين يكون أفضل لهن أصلاتهن فى بيوتهن، أم فى المساجد فى الجماعات؟ .

القول الأول : ان الأفضل حضورهن فى الجماعات فى المساجد بناء على عموم قول النبى ﷺ : «ان صلاة الجماعة تفضل صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة» . وهو مذهب أهل الظاهر. قال الإمام ابن حزم: وهذا عموم لا يجوز ان يخص منه النساء من غيرهن[1] .

وقد قال قبل هذا: فان استأذن الحرائر، أو الإماء، بعولتهن أو ساداتهن فى حضور الصلاة فى المسجد ففرض عليهم الأذن لهن، ولا يخرجن إلا تفلات غير متطيبات ولا متزينات فان تطيبن أو تزين لذلك، فلا صلاة لهن، ومنعهن حينئذ فرض [2] .

القول الثانى : ان صلاتهن فى البيت أفضل وهو مذهب الجمهور من الفقهاء. وقد وردت فى ذلك عدة أحاديث منها :

(١) إذا استأذن نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن. (رواه الجماعة إلا ابن ماجة عن ابن عمر، وفى لفظ عند أحمد وأبى داود: لا تمنعوا النساء ان يخرجن إلى المسجد وبيوتهن خير لهن» هذه الزيادة أخرجها أيضا ابن خزيمة فى صحيحه .

(٢) عن أم سلمة ان رسول الله ﷺ قال: خير مساجد النساء قعر بيوتهن. رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير وفيه: ابن لهيعه وفيه كلام [3] .

(٣) عن أم حميد امرأة أبى حميد الساعدى أنها جاءت النبى ﷺ فقالت: يارسول الله إنى أحب الصلاة معك. قال: قد علمت انك تحبين الصلاة معى وصلاتك فى بيتك خير

---

(١) المحلى : (٤/ ٢٧٧) .
(٢) المحلى : (٤/ ٢٦٥) .
(٣) أنظر مجمع الزوائد : (٢/ ٣٣) .

من صلاتك فى حجرتك، وصلاتك فى حجرتك خير من صلاتك فى دارك وصلاتك فى دارك خير من صلاتـك فى مسجـد قومك، وصـلاتـك فى مسجـد قومك خير من صلاتـك فى مسجدى. قالت: فأمرت فبنى لها مسجد فى أقصى بيتها وأظلمه فكانت تصلى فيه حتى لقيت الله عز وجل. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن سويد الأنصارى وثقه ابن حبان.

(٤) **حديث ابن مسعود**: قال: قال رسول الله ﷺ: صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى حجرتها وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها. رواه أبو داود، وسكت عليه المنذرى. قال النووى اسناده على شرط مسلم [1]. المخدع: البيت الصغير داخل البيت الكبير.

هذه هى بعض الأحاديث التى رويت فى هذا الموضوع وقد ذكر الهيثمى فى مجمع الزوائد الأحاديث الأخرى والآثار من الصحابة.

استدل جمهور الفقهاء بهذه الأحاديث بان صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى المسجد إلا أنه لم يكره أحد العلماء حضورهن الصلوات بالجماعات لما ثبت عن النبى ﷺ انه أذن للنساء فى الحضور فى صلاة الجماعة. وكانت النساء فى عهد النبى ﷺ يحضرن الجماعة.

وقد استدل الإمام البخارى بحديث عائشة: اعتم رسول الله ﷺ فى العشاء حتى ناداه عمر: قد نام النساء والصبيان... كانوا حضورا فى المسجد وبوب على هذا الحديث بقوله: باب خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس.

وقال العلماء انهن إذا طلبن الأذن من ازواجهن للخروج إلى المسجد فعلى الأزواج ان لا يمنعوهن، وقد شدد البعض فقال يجب عليهن اذنهن للخروج وهو مخالف للنص وإلا لا معنى للأذن إذا. الا أنهم شرطوا أن لا يخرجن متطيبات فعلى الرجال أن يمنعوا النساء إذا خرجن متطيبات.

وقد قال رسول الله ﷺ: ايما امرأة أصابت بخورا فلا تشهدن معنا العشاء الآخرة. رواه مسلم وأبو داود والنسائى وأحمد [2].

---

(١) أنظر شرح المهذب: (٤/٨٣).
(٢) مسلم: طبعة فواد (١/٣٢٨) وأبو داود (٤/٤٠٢) والنسائى (٨/١٥٤) وأحمد (٢/٣٠٤).

وقـد أحـدثت النســاء فى زمن عائشــة ـ رضى الله عنها ـ ما أزعجته ، فقالت : لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدثت النساء لمنعهن كما منعت نساء بنى اسرائيل . رواه الشيخان . قال الحافظ ابن حجر: وتمسك بعضهم بقول عائشة فى منع النساء مطلقا وفيه نظر. إذ لا يترتب على ذلك تغير الحكم إنها علقته على شرط لم يوجد بناء على ظن ظنته فقالت : لو رأى لمنع فيقـال عليـه : لم ير، ولم يمنـع ، وان كلامهـا يشعـر بأنهـا كانت ترى المنـع . وقـال : وأيضـا فالأحداث إنما وقع من بعض النساء لا من جميعهن ، فان تعين المنع فليكن لمن أحدثت(١) .

قال الشوكانى : وقد حصل من الأحاديث المذكورة فى هذا الباب أن الأذن للنساء من الرجال إلى المساجد إذا لم يكن فى خروجهن ما يدعو إلى الفتنة من طيب أو حلى أو أى زينة واجب على الـرجـال ، وانـه لا يجب مع ما يدعـو إلى ذلـك ولا يجوز، ويحرم عليهن الخروج لقوله : «فلا تشهدن» وصلاتهن على كل حال فى بيوتهن أفضل من صلاتهن فى المساجد(٢) .

وقـولـه : واجب على كل الـرجـال فيـه نظـر لأن قول النبى ﷺ : «لا تمنعوا اماء الله مساجد الله» . نهى تنزيه لأن حق الزوج فى ملازمة المسكن واجب فلا تتركه للأفضلية . قال به النووى (٣) . والحمد لله رب العالمين .





---

(١) أنظر فتح البـارى : (٢ / ٣٥٠) .
(٢) أنظر نيل الأوطـار : (١٦٢/٣) .
(٣) أنظر شرح المهـذب : (٨٣/٤) .

مِنْ مَزَايَا التَّشْرِيعِ الإِسْلَامِي

محمد بن ناصر السحيباني

عميد القبول والتسجيل بالجامعة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ تسليما وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـــد :

فإن هذا الدين لازال يتعرض للهجمات من قبل أعدائه من اليهود والشيوعيين والنصارى والمنافقين وغيرهم من المبطلين، وتتفاوت هذه الهجمات من حرب ساخنة إلى حرب باردة . من تقتيل أتباع هذا الدين من المسلمين وطردهم وتشريدهم، ومن سخرية بالله سبحانه وبرسله عليهم أفضل الصلاة والسلام خاصة الرسول الخاتم محمد ﷺ، إلى استنقاص الشريعة الإسلامية فى أصولها وفروعها فى معتقداتها وأحكامها .

وكل هذا يعتبر مصداقا لقوله تعالى : ﴿**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا**﴾ . (سورة البقرة: ٢١٧) .

وتتنوع وسائل قتال هؤلاء الأعداء للمسلمين وأدواته، ولكن الهدف يظل ثابتا، أن يردوا المسلمين الصادقين عن دينهم إن استطاعوا، وكلما انكسر فى يدهم سلاح انتضوا سلاحا غيره، وكلما كلت فى أيديهم أداة شحذوا أداة غيرها . . . [١] .

ومساهمة رمزية فى صد بعض هذه الهجمات فى مجال النقد الذى يوجهه الأعداء إلى الشريعة الإسلامية . وما يحاولونه من التطاول على أحكامها باستنقاصها واخفاء مزاياها ومحاسنها، لإيقاع السذج والأغرار من المسلمين . . . فقد رأيت من باب المساهمة الرمزية وجهد المقل أن أكتب هذه المقالة عن مزايا التشريع الإسلامى، ثم أتبعها إن شاء الله ـ بمقالة أخرى عن العقوبات الإسلامية والدفاع عنها، لأنها أكثر الأحكام الإسلامية تعرضا

---

(١) فى ظلال القرآن : (ج١ ص٢٢٨) .

للنقـد والاستنقـاص . والله أسال أن يحسن مقاصدنا وغايتنا وأن يوفق الجهود ، ويسدد الخطا إنه سميع مجيب .

المقصود بالتشريع الإسلامى :

قبـل أن نتحـدث عن مزايـا التشـريـع الإسلامى ينبغى أن نحدد ما هو المقصود بهذا التشريع ، فنقول مستعينين بالله سبحانه .

لفـظ الشـريعـة فى أصـل الاستعـمال اللغوى الماء الذى يرده الشاربون ، ثـم نقل هذا اللفـظ إلى معنى الطـريقـة المستقيمـة ، التى يفيـد منهـا المتمسكـون بها هداية وتوفيقا . . . ويختص هذا اللفـظ فى عرف الفقهـاء بالأوامـر والنـواهى والإرشادات التى وجهها الله تعالى إلى عبـاده ليكـونـوا مؤ منـين عاملين صالحـين ، سواء أكانت متعلقة بالأفعال أم بالعقائد أم بالأخلاق . . . الخ [١] .

ويقـول الشيـخ محمـود شلتـوت ـ رحمـه الله ـ فى تعـريفها : والشريعة هى النظم التى شرعهـا الله أوشرع أصـولهـا ، ليأخـذ الإنسان بها نفسه فى علاقته بربه وعلاقته بأخيه المسلم وعلاقته بأخيه الإنسان وعلاقته بالكون والحياة [٢] .

ومن هذا نستطيع أن نقول إنه يقصد بالتشريع الإسلامى كل ما شرعه الله سبحانه فى القـرآن الكـريم من أمـر ونهى أوشرعـه رسـوله ﷺ ، وما سنه الخلفاء الراشدون ، وكذلك ما أجمـع عليـه علماء المسلمـين ومجتهـدوهم ، وما توصلوا إليه بالاجتهاد ، يقول جل ذكره مخاطبا الرسول ﷺ وأمته تبع له فى ذلك : ﴿**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الـذين لا يعلمـون**﴾ . (سـورة الجـاثيـة : ١٨) . ويقـول جل ذكره : ﴿**وأطيعوا الله وأطيعوا الـرسـول وأولى الأمـر منكم**﴾ . (سـورة النسـاء : ٥٩) ، ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله**﴾ . (سورة آل عمران : ٣١) . ويقول سبحانه : ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ . (سورة الحشر : ٧) . والآيات فى هذا كثيرة جدا . وفى الحديث : «إذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم» [٣] . وفى الحديث الآخر . «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى» [٤] .

---

(١) مدخل الفقه الإسلامى : الدكتور محمد سلام مدكور .
(٢) الإسلام عقيدة وشريعة : محمود شلتوت : (ص٢٢) .
(٣) متفق عليـــه .
(٤) رواه أبو داود والترمذى .

فالحاصل أن التشريع الإسلامى يقصد به كل ما شرعه الله من أصول الدين وفروعه فى العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الحدود أو القصاص أو غير ذلك مما يحتاجه الناس فى حياتهم (فتشمل الشريعة أحكام الله لكل من أعمالنا من حل وحرمة وندب وإباحة. وذلك ما نعرفه اليوم باسم الفقه) (١).

ولعل أجمع كلمة تحدد المقصود من التشريع ما قاله سماحة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى - رحمه الله - فى رسالته منهج التشريع الإسلامى وحكمته حيث قال: والتشريع هو وضع الشرع، والشرع هنا هو النظام الذى وضعه خالق السموات والأرض على لسان سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام، ليسير عليه خلقه فيحقق لهم به سعادة الدارين على أكمل الوجوه وأحسنها (٢).

إن هذا التشريع الذى يحقق السعادة فى الدارين لمن آمن به وعمل بمقتضاه يمتاز بمزايا عديدة وخصائص فريدة. ولعل أبرز خصائصه ومميزاته أنه من عند الله سبحانه، وما كان من عند الله فلابد أن يتصف بكل صفات الكمال ولابد أن يبرأ من كل صفات النقص، يقول جل ذكره فى معرض حديثه عن القرآن الكريم الذى يعتبر أحد المصدرين الأساسيين للتشريع الإسلامى: ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**﴾. (النساء: ٨١). ويقول سبحانه: ﴿**كتاب أحكمت آياته**﴾. (هود: ١).

ويقول عز ذكره: ﴿**إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم**﴾. (الاسراء: ٩). ومن هنا نستطيع أن نشير إلى بعض المميزات، فمنها :-

الأولى: شمول التشريع الإسلامى لجميع شئون الحياة وإحاطته بها:

لقد أنزل الله سبحانه هذه الشريعة وجعلها منهاجاً لهذه الأمة وطريقاً تسلكها فى جميع شئونها. فهذه الشريعة شاملة لجميع شئون الحياة ومرافقها، فانتظمتها جميعاً بأحكامها العادلة وتوجيهاتها الحكيمة.

وعندما ننظر فى أحكام الشريعة وموقفها من شئون الناس وأحوالهم نجدها على ثلاث أضرب :-

الضرب الأول: من شئون الناس والحياة، أمرت به الشريعة ودعت إليه، وقد يكون هذا الأمر على وجه الالزام أو على غير وجه الالزام.

(١) المدخل لدراسة الفقه الإسلامى: الدكتور محمد يوسف موسى.

(٢) منهج التشريع الإسلامى وحكمته: (ص٢٣).

الضـرب الثـانى : من شئـون النـاس والحياة نهى عنه الشارع وحذر منه ، وقد يكون هذا النهى كذلك على وجه الالزام أو على غير وجه الالزام .

الضرب الثالث : ما سكت عنه الشارع ، وهذا السكوت ليس عن غفلة ولا نسيان ، وإنـما بقصـد التخفيف ، ويـوضـح ذلـك حديث رسول الله ﷺ : «**إن الله فرض فرائض فلا** تضيعوها وحدد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها» . رواه الدارقطنى .

ونحن نستدل لعموم الشريعة وشمولها جميع شئون الحياة بدليلين :

الـدليـل الأول : النص من الكتاب والسنة وواقع الأمة الإسلامية خاصة فى عصرها الزاهر عصر النبوة والخلافة الراشدة ، فقد وردت عدة آيات وأحاديث تدل على أن الشريعة عامــة فى كل شىء يقــول جل ذكــره : ﴿**ونــزلنـا عليـك الكتـاب تبيـانـاً لكـل شىء**﴾ . (النحل : **٨٩**) وفى الآية الأخرى : ﴿**ما فرطنا فى الكتاب من شىء**﴾ . (الأنعام : **٣٨**) . قال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره للآية الأولى : قال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قد بين لنا فى هذا القـرآن كل علم وكـل شىء ، وقـال مجاهـد ـ رحمـه الله ـ كل حلال وكل حرام وقول ابن مسعود أعم وأشمل ، فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتى وكل حلال وحرام وما الناس إليه محتاجون فى أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم(١) .

وقريبا من هذا القول ما ذكره الفخر الرازى ـ رحمه الله ـ عند تفسيره الآية الثانية (٢) ، ومن الآيــات الــدالــة على ذلـك قوله تعـالى : ﴿**وأن احكم بينهم بما انـزل الله ولا تتبـع أهواءهم**﴾ . (المائدة : **٥٠**) ، فالأمر قد ورد فيها مطلقا من كل قيد ، وكذلك قوله سبحانه : ﴿**إنـما كان قول المؤمنـين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا**﴾ . (النور : **٥٢**) . وكذلك قوله جل ذكره : ﴿**ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيـل كل شىء**﴾ . (يـوسف : **١١١**) . وقـال سبحـانـه حكـايـة عن الجن : ﴿**وأنـا منـا المسلمـون ومنـا القـاسطـون**﴾ . (الجن : **١٤**) . ولـو تتبعنـا هذه الآيات الواردة بهذا الصدد والإشـارة إلى دلالتهـا المبـاشـرة وغـير المبـاشـرة على عمـوم الشريعة وشمولها لاحتجنا إلى صفحات كثيرة ، وأما الأحاديث ، فقد وردت عدة أحاديث بهذا المعنى . فقد ورد أن سلمان

---

(١) تفسير ابن كثير : (ج٢ ص٥٨٢) .

(٢) تفسير الفخر الرازى : (ج٢ ص٢١١) . وراجع تفسير القرطبى : (ج٦ ص٤٢٠) . وأضواء البيان للشنقيطى فقد تكلم على هذه الآية باسهاب ونقل كلاما للسيوطى من كتابه الاكليل فى استنباط التنزيل حول هذا المعنى : (ج٣ ص٣٠٦) .

الفارسي - رضى الله عنه - قيل له : علمكم نبيكم كل شيء حتى الخرآءة . فقال سلمان : أجل نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول . . . الحديث[1] .

وعن حذيفة - رضى الله عنه - قال : لقد خطبنا النبى ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئا إلى قيام الساعة إلا ذكره علمه من علمه وجهله من جهله . . . الحديث[2] .

وفى الحديث : «تركتم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» .

وفى الحديث : «اعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى ومنها . . . وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» . متفق عليه .

وفى بعض الروايات : «وبعثت إلى الجن والانس» .

قال ابن الجوزى فى كتابه الوفاء : فإن قال قائل كيف قال : «وبعثت إلى الخلق كافة» . ومعلوم أن موسى لما بعث إلى بنى اسرائيل لو جاءه غيره من الأمم يسألونه تبليغ ما جاء به لم يجز له كتمه بل يجب عليه إظهار ذلك لهم .

ثم قد أهلك الخلق فى زمن نوح ، وما كان ذلك إلا لعموم رسالته فقد أجاب عن هذا ابن عقيل فقال : إن شريعة نبينا جاءت ناسخة لكل شريعة قبلها ، وقد كان يجتمع فى العصر الواحد نبيان وثلاثة يدعو كل واحد إلى شريعة تخصه ، ولا يدعو غيره من الأنبياء إليها ولا ينسخها .

بخلاف نبينا محمد ﷺ فإنه دعا الكل ونسخ وقال : «لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعى» . وما كان يمكن عيسى أن يقول هذا فى حق موسى ، وأما نوح فلم يكن فى زمنه نبى يدعو إلى ملته[3] .

أما واقع الأمة الإسلامية فبالنسبة للعهد النبوى فتعتبر أفعاله عليه الصلاة والسلام من سنته ، وقد كان عليه الصلاة والسلام يرعى جميع أحوال المسلمين ، ويتولى جميع شئونهم الدينية والدنيوية فيفتي ويقضى فى الحقوق والحدود ، ويقود الجيوش ويقسم الغنائم ويؤم المسلمين فى الجمع والجماعات ، ويكاتب الملوك ويدعوهم إلى الإسلام ، ويصالح الأعداء إذا رأى مصلحة المسلمين فى ذلك ، ويتفقد أحوال المسلمين فى تعاملهم بالبيوع والاجارات وأنواع المزارعة وفى النكاح والطلاق والرجعة وفى الاستطباب وتجهيز الأموات وقسمة المواريث فلا يمكن أن يتم أمر فى المدينة من أحوال الناس وشئونهم إلا وله عليه الصلاة والسلام

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

(٢) الوفا بأحوال المصطفى : (ج١ ص٣٧١) .

(٣) أخرجه البخارى . انظر فتح البارى : (ج١١ ص٤٩٤) .

حكمـة فى ذلـك من إقـرار أو إنكار، وبالنسبة لعهد الخلفاء الراشدين ـ رضى الله عنهم وعن الصحابة أجمعين ـ فكذلك، ما كان يبت فى أمر من الأمور الدقيقة أو الجليلة إلا بالرجوع إلى كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، أو بالاجتهاد وفق أصول الشرع وقواعده .

ومـا نقـل عن أحـد من الخلفـاء الـراشـدين ـ رضى الله عنهم ـ أنه اعتذر عن أمر من الأمور بأنه غير داخل فى اختصاصه، بل إنهم ينظرون إليه باعتباره حقا فيقرونه وينفذونه، أو باطـلا فيفنـدونـه ويقمعـونـه، كمحاربة المرتدين وجمع القرآن وتدوين الدواوين وقمع البدع ومحاربتها . . . الخ .

ومن يطالع تاريخ الخلفاء الراشدين وسيرتهم يجد الأمر فى غاية الوضوح . . .

وعلى كل حال فمسألـة شمـول الإسلام وإحاطته بجميع شئون المسلمين كما أمر الله كانت واضحة تماما فى هذا العصر الزاهر الذى يعتبر امتداداً لعصر النبوة ولازال الأمر كذلك فى العصـور الإسـلاميـة التـاليـة، مع شىء من الضعف الـذى أصبـح شديـداً فى القـرون المتأخـرة، حيث غلبت العـادات القبليـة والتقـاليد الواردة من الأمم الأخرى على الأحكام الشـرعيـة، نتيجـة لعـوامل متعددة لعل أهمها بعد كثير من المسلمين عن الإسلام، وضعف الإيـمان فى نفـوس كثـير منهم، حتى وصلنـا إلى هذه المـرحلة التاريخية التى نعيشها، حيث ابتعـد النـاس أفـرادا وجمـاعـات وحكـومـات عن الشـريعـة الإسـلامية والالتزام بأحكامها وتـوجيهـاتهـا إلا من عصم الله، حتى صار العلماء والمفكـرون من المسلمـين يبـذلون الجهود الكبيرة لاقناع الناس والمنفذين منهم خاصة بشمول الإسلام وعمومه واحاطته بكل شىء، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

الـدليـل الثـانى : وهـو دليل العقل والاستنتاج حيث لا يتصور أن الله سبحانه يترك خلقـه مهملين دون ما رعـايـة ترعـاهم وعناية تحوطهم فى كل ما يحتاجون إليه من أمور دينهم ودنياهم، لأن هذا لو حصل لاعتبر تقصيرا وتفريطا لا يليق بالله سبحانه وحاشاه من ذلك، خاصة وأن هذه الشريعة هى خاتمة الشرائع بنبيها وكتابها، فنبينا محمد ﷺ هو خاتم النبيين وكتابنا القرآن هو خاتم الكتب الناسخ لها المهيمن عليها فهى شريعة لا تحد بزمان ولا مكان ولا بجنس فهى عامة لكل البشر صغيرهم والكبير ذكرهم وأنثاهم عرباً وعجماً فى أى مكان كانوا وأى زمان وجدوا .

ونجـد من الآيـات ما يسنـد هذا الاستـدلال كقوله تعالى : ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون**﴾ . (المؤمنون : ١١٥) . أى أننا لم نخلقكم عبثا بل لغاية وقصد

وهـذا يقتضى وجـود الأحكـام التى تنظم شئون الآدميين . وكذلك قوله سبحانه : ﴿**أيحسب الإنسان أن يترك سدى**﴾ . (القيامة : ٣٧) . أى هملا دون ما عناية أو رعاية أى لا يمكن أن يكون ذلك لأنه عبث ينزه الله عنه .

فالتشريع الإسلامى يشمل أحوال الناس وينظمها فى كل الأحوال ينظم أحوال الفرد والأسـرة، وينظم شئـون الـدولـة فى الثقـافة والاجتماع والسياسة والاقتصاد، يحدد السياسة الداخلية والخارجية وصلة الدولة بالأعداء والأصدقاء فى حالة السلم والحرب، ويحدد العلاقة بين الحـاكم والمحكـوم والعـلاقة بين العامل ورب العمل وبين الابن وأبويه والزوج وزوجه، إذن فنحن نخرج من هذا بأن عموم الرسالة وشمولها يقتضى ما يلى :-

أولا : عمـومهـا الـزمانى : فهى الشريعة الواجبة الاتباع من حين ما بعث محمد ﷺ إلى قيام الساعة لا يجوز أن تزاحمها أو تنافسها شريعة أو مذهب أو نظام .

ثانيـا : عمـومهـا المكـانى : فهى شريعـة الأرض دون منافس أومزاحم فهى شريعة الأرض بسهـولهـا وجبـالها ووديانها وبحارها وأنهارها وأعماقها وأجوائها بل هى شريعة الكون بكل أجرامه : ﴿**إن كل من فى السماوات والأرض إلا آت الرحمن عبداً**﴾ . (مريم : ٩٣) .

ثالثا : عمومها البشرى : فهى الشريعة الواجبة الاتباع من كل البشر على اختلاف الأجنـاس والأعـراق وحتى الجن، فهى شريعـة كل إنسـان كيفما وجد وإينما وجد، مكث فى الأرض أو صعد فى السماء أو نزل الأجرام الأخرى. «إن استطاع إلى ذلك سبيلا» .

فهى شريعتـه التى لا يجوز له أن ينفـك عنهـا أو يفلت منها أو يفر: ﴿**وما خلقت الجن والانس إلا ليعبـدون**﴾ . (الـذاريـات : ٥٦) . ﴿**قـل يا أيهـا النـاس انى رسـول الله إليكم جميعا**﴾ . (الأعراف : ١٥٨) .

رابعا : عمومها وشمولها الموضوعى : فهى لكل شىء ولكل شأن من شئون الأحياء والأشيـاء، بل وحتى الأمـوات رعت مالهم من حقوق وحرمة بعد موتهم، وعنيت بالحيوانات رفقـا وعنـايـة وعطفـا، وبالدول والمجتمعات والكون والكائنات : ﴿**ما فرطنا فى الكتاب من شىء**﴾ . (الأنعام : ٣٨) .

يقول الدكتور : محمد سلام مدكور فى كتابه مدخل الفقه الإسلامى :-

وقد تضافرت النصوص الإسلامية وعلم من الدين بالضرورة عموم رسالة الإسلام : ﴿**ومـا ارسلنـاك إلا كافـة للنـاس بشيرا ونذيرا**﴾ . (سبأ : ٢٨) . ﴿**تبارك الذى نزل الفرقان**

على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ . (الفرقان : ١) . ﴿قل يا أيها الناس انى رسول الله إليكم جميعا﴾ . (الأعراف : ٥٨) .

لهذا قام محمد رسول الله ﷺ بتبليغ هذه الرسالة إلى من استطاع تبليغهم من الأمم متمثلين بالحكام كهرقل إمبراطور الروم وكسرى ملك الفرس والمقوقس حاكم مصر والحارث الغسانى ملك الحيرة، والحارث الحميرى ملك اليمن والنجاشى ملك الحبشة، تاركا لخلفائه من بعده القيام بتبليغ الدعوة إلى بقية الأمم وقد اهتدى بعض تلك الأمم فآمن بدعوته إنصافاً للحق، كما انصفه من اتبعه من قومه، وقد اعترف توماس فى كتابه الدعوة إلى الإسلام، بأن الكتب التى ارسلها محمد بن عبد الله إلى حكام الأمم المختلفة، يدعوهم فيها إلى الإسلام، تدل بوضوح على ما تردد ذكره فى القرآن من مطالبة الناس جميعا بقبول الإسلام [1] .

هذا وقد اعتبر العلماء أن من ينكر شيئا من ذلك ـ أى عموم الرسالة وشمولها ـ فهو كافر مرتد عن الإسلام، فمن ينكر عموم الرسالة أويرى أن أحداً مهما كان يسعه الخروج منها فرداً أو جماعة أو دولة فهو كافر، أوزعم أنها خاصة بجنس من الأجناس أوعصر من العصور، وأنها لا تعنى بتنظيم شئون الناس فى الاقتصاد والاجتماع والسياسة من اعتقد ذلك فهو مرتد عن الإسلام يستتاب فإن تاب وإلا قتل [2]

الثانية : العدالة :

إن وجوه العدالة فى التشريع الإسلامى كثيرة متعددة، يدركها من يمعن النظر فى أحكامه ويتدبرها بتجرد واخلاص، فاحكامه الخاصة بالأسرة وتكوينها وتنظيمها وحقوق الأفراد وواجباتهم فى الأسرة لا تماثلها أحكام مما تواضع عليه البشر واعتادوه، فالأب له حقوقه وعليه التزاماته، والأم كذلك، والأبناء المكلفون كذلك، ونجد هذه القاعدة الفريدة فى التعامل بين الزوجين المتمثلة فى قوله تعالى : ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾ . (البقرة: ٢٩٩) .

واحكامه الخاصة بالميراث وتوزيعه على الورثة تعتبر كذلك من العدالة بمكان، فللأب نصيبه وللأم نصيبها، وللزوج نصيبه وللزوجة نصيبها، بحسب الحال من وجود أولاد أو عدم وجود أولاد، ووجود أخوة أوعدم وجود أخوة، وللأبناء نصيبهم والبنات وللأخوة

(١) مدخل الفقه الإسلامى : الدكتور محمد سلام مدكور: (ص١٣) .
(٢) انظر رسالة البرهان والدليل على كفر من حكم بغير التنزيل : أحمد بن ناصر المعمر: (ص٤٨) .

والأخوات، والأعمام والعمات، وهكذا تتدرج الحقوق حتى تصل إلى أصحابها مهما بعدوا، وفى الأحكام الخاصة بمعاملة الأعداء، نجد العدالة فى أرقى صورها وأعلى درجاتها يقول جل ذكره: ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾. (المائدة: ٨). أى لا يحملنكم بغض قوم على ألا تعدلوا فى حقهم، ويقول سبحانه: ﴿**فاعدلوا ولو كان ذا القربى**﴾. (الأنعام: **٢٥٢**).

أما فى مجال العقوبات فعندما نلاحظ أن القصاص هو العقوبة الرئيسية لأكثر الجرائم الشخصية التى تقع على الأشخاص مباشرة، فإن هذا يعتبر منتهى العدالة وغاية الانصاف، وكذلك الحدود فإنها عقوبات عادلة إذا أدركنا فداحة الجرائم التى فرضت من أجلها، والله تعالى يقول: ﴿**وجزاء سيئة سيئة مثلها**﴾. (الشورى: **٤٠**). ويقول: ﴿**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به**﴾. (النحل: **١٢٦**).

وباختصار، فمادمنا نسلم ونعتقد بأن الأحكام الشرعية منزلة من عند الله سبحانه، الذى يعتبر العدل صفة من صفاته، فلابد أن تكون هذه الأحكام عادلة متقنة.

وإذا كانت العدالة هي من أبرز خصائص الأحكام الشرعية الواردة بالنص فى القرآن والسنة، فإن هناك أحكاماً اجتهادية، وهناك أيضا تطبيق الأحكام إن كانت نصية أو اجتهادية، فنجد بالنسبة لهذين الأمرين أن الإسلام حض المسلمين والعلماء منهم خاصة وولاة الأمر على تحرى العدل فى تطبيق الأحكام، أوعند استنباطها، فوضع قوالب عامة ومعايير دقيقة ومقاييس عادلة لاستنباط الأحكام، فالأحكام الاجتهادية ليست عشوائية فى استنباطها ولا ارتجالية فى وضعها، ولكنها محكومة بقواعد وأصول فلابد أن تكون منسجمة مع الأصول العامة للشريعة، والقواعد الأساسية، والغايات والأهداف الكبرى، ويمكن الرجوع إلى هذا الموضوع فى كتب أصول الفقه.

وفى مجال التطبيق كذلك فقد حث الله سبحانه المسلمين عامة وولاة الأمر بصفة خاصة على العدل، وحث على ذلك رسول الله ﷺ فى أحاديث كثيرة، بل إن الله سبحانه أمر به أمراً صريحاً، يقول جل ذكره: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**﴾. (النساء: ٥٨). أى ويأمركم إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل، والأمر كما هو معروف عند علماء الأصول يقتضى الوجوب إلا أن يصرفه صارف عن ذلك، وفى الآية الأخرى: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى**﴾.

(النحل : ٩) . ويقول سبحانه فيما خاطب به رسوله ﷺ : ﴿**وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم**﴾ . (الشورى : ١٥) .

وإلى جانب الآيات فهناك الأحاديث الكثيرة والوقائع المشهورة التي حصلت في عهد رسول الله ﷺ أوفي عهد الخلفاء الراشدين ، ففي الحديث المتفق عليه : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»- وعد منهم الإمام العادل - وفي الحديث الآخر : «إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوّ» . رواه مسلم . وجاءه عليه الصلاة والسلام زيد بن سعنة قبل إسلامه يتقاضاه دينا عليه ، فجبذ ثوبه عن منكبه ، وأخذ بمجامع ثيابه ، وأغلظ له ثم قال : إنكم يا بني عبد المطلب مطل ، فانتهره عمر وشدد له في القول ، والنبي ﷺ يبتسم ، فقال رسول الله ﷺ : «أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج ياعمر ، تأمرني بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التقاضي . . . الحديث [1] .

ومكن عكاشة أن يقتص منه ، وكذلك الأعرابي الذي تعلق في زمام ناقته فانتهره مرارا فلما لم ينتهر ضربه [2] . وغير ذلك من الحالات والوقائع المماثلة كثيرة وليس هذا مجال سردها فليرجع إليها في كتب التاريخ والسير ، لتجد الصفحات البيضاء من صفحات العدل ، ومن هذا نخرج بنتيجة وهي أن العدالة صفة رئيسية من صفات التشريع الإسلامي ، خاصة فيما ورد فيه نص صريح من القرآن ، أونص صحيح صريح من سنة ، كما يجب أن تراعى العدالة في جانبين .

أولاً : في الجانب التشريعي الاجتهادي : أي الأحكام الاجتهادية فيما لم يرد به النص كما في حالة سن الأنظمة اللازمة للناس ، كأنظمة البلديات والمرور ، وأنظمة العمال والموظفين والشركات وأصحاب المهن المختلفة ، وغير ذلك مما يستجد من أمور الناس وشئون الحياة ، فيجب على كل من يضعون هذه الأنظمة ويسنونها أن يراعوا جانب العدالة فيها ، فلا يغلبوا مصلحة فئة على فئة أخرى ، ولا جانباً على جانب ، إلا بحق واضح تقتضيه مصلحة عامة راجحة ، ويجب أن تكون هذه الأنظمة وأمثالها متمشية مع أصول الشريعة منسجمة مع قواعدها الكلية ، غير متعارضة مع أحكامها الثابتة ولا متباينة مع الأهداف والغايات والمقاصد التي توخاها الشارع واعتبرها .

---

(١) ذكره القاضي عياض في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى : (ج١ ص١٠٩) . وانظر كذلك الوفي بأحوال المصطفى لابن الجوزي : (ج٣ ص٤٢٥) .
(٢) الشفا : (ج٢ ص١٩٩) .

ثانيا : فى الجانب التطبيقى : فيجب على الحاكم أن يتقى الله فى حكمه، ويتحرى العدالة فى تطبيق الأحكام التى أنزلها الله، فلاشك أنها عادلة، ولكن التطبيق قد يكون جائراً، فعليه أن يتقى الله فلا يحكم بأى حكم اجتهادى تبين له ظلمه واجحافه، وعليه أن يعترض عليه ويبدى رأيه فيه .

الثالثة : الرحمـــة :

إن الرحمة تعتبر أمراً زائداً على العدالة، فالعدالة رحمة ولاشك، ولكن الرحمة عدالة وزيادة، أما العدل فإن فيه رحمة للكافة وللمجتمع بصفة عامة، ولكن قد لا يكون فيه رحمة للمحكوم عليه فى ظاهر الأمر، مع انه فى الحقيقة رحمة، إذا نظرنا إلى المسألة نظرة ثاقبه تنفذ من الدنيا إلى الآخرة .

ويـرى الأستـاذ محمـد أبو زهره - رحمه الله - خلاف ذلك، فهويرى أن الرحمة والعدل مترادفان، فهويقول: ولذلك كانت رحمة النبوة الأولى هى العدل، فالعدل فى ذاته هو الرحمة الشاملة، ويقول: فالعدالة الحقيقية هى الرحمة الحقيقية [1] .

ولكنى أقـول ليس الأمـر كذلـك، لأن الـرحمـة أوسـع وأشمـل، فهى كما قلت عدل وزيادة، وكل الأطراف ترضى بالرحمة، ولكن ليس كلها يرضى بالعدل، مع أن العدل يعتبر رحمة عامـة ولكنـه قد لا يكون كذلك فى ظاهره ومما يدل على ذلك حديث رسول الله ﷺ فى قصة الـزبـير مع الأنصارى فانه فى أول الأمر قال: «إسق يازبير ثم أرسل الماء إلى جارك» . فلما غضب الأنصارى واتهم رسـول الله ﷺ بالتحيـز لابن عمته. قال ﷺ: «يازبير إسق ثم احبس المـاء حتى يرجـع إلى الجـدر» . فإن الحكم الأول لرسول الله ﷺ مبنى على الرحمة، فقد أمر الزبير بأن يسقي أرضه شيئا يسيرا ثم يرسل الماء، ولم يعطى الزبير كامل حقه، فانه قريبـه ويـدل عليـه فلما تبـين هذا الموقف من هذا المنافق، حكم بالعدل وأعطى كل ذى حق حقه، وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام النووى - رحمه الله - فى شرح مسلم [2] .

وكـذلـك حديث الـرجل الذى كان منقطعا لعبادة الله مدة طويلة، فلما مات سأله الله تعـالى هل أُدخلك الجنـة بعملك أم برحمتى؟ . فقـال: بل بعملى، فلما حاسبـه الله بالعدل استوجب النار، لكن الله سبحانه عامله بالرحمة التى هى أوسع من العدل فأدخله الجنة .

---

(١) الجريمة والعقوبة فى الفقه الإسلامى: القسم العام. (ص٦-٧). محمد أبوزهره .

(٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووى : (ج١٥ ص١٠٨) .

وقد جاءت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة كلها تصف هذه الشريعة بالرحمة، وتصف رسول الله ﷺ بها، وتصف المسلمين بالتراحم بينهم وتأمرهم به، يقول جل ذكره فى معرض وصفه لرسول الله ﷺ: ﴿**وكان بالمؤمنين رحيما**﴾. (الأحزاب: **٤٣**). وعن المؤمنين: ﴿**أشداء على الكفار رحماء بينهم**). (الفتح: **٢٩**). وكان رسول الله ﷺ ينهى عن قتل المرأة الكافرة، والطفل والشيخ الكبير والمنقطعين للعبادة من الرهبان وغيرهم، مالم يشتركوا فى الحرب، وفى الحديث: «من لا يرحم لا يرحم». والآيات والأحاديث والوقائع فى هذه كثيرة لا تنحصر.

الرابعة: اليسر:

من مزايا التشريع الإسلامى الاتجاه إلى التيسير على الناس وعدم إيقاعهم فى الحرج والضيق والمشقة وهذا واضح من الآيات والأحاديث الكثيرة يقول جل ذكره: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾. (البقرة: ١٨٥). ويقول سبحانه: ﴿**يريد الله أن يخفف عنكم**﴾. (النساء: ٢٨).

ويقول عز وجل: ﴿**وما جعل عليكم فى الدين من حرج**﴾. (الحج: ٧٨). وفى الحديث: «يسروا ولا تعسروا» [1]. وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين الا أخذ ايسرهما مالم يكن اثما» [2].

وفى حديث الأعرابى الذى بال فى المسجد قال لهم عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين». أخرجه البخارى عن أبى هريرة.

وهذا واضح فى العبادات من صلاة وصوم وحج، وكذلك فى المعاملات فإنها مبنية على التيسير على الناس وعدم ايقاعهم فى المشقة والحرج، أما فيما يتصل بحقوق الناس إن كانت فى الأموال أو الدماء أو الأعراض، فهذه ينبغى أن يمكن صاحب الحق من حقه، ولكن برفق كما قال جل ذكره: ﴿**فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان**﴾. (البقرة: ١٧٨). لذلك فإن أى نظام يسن ينبغى أن يراعى فيه التيسير والرفق بمن وضع لهم والرحمة بهم.

الخامسة: الحكمة:

تعرف الحكمة بأنها وضع الشىء فى موضعه المناسب، وعرفها العلامة محمد الأمين

---

(١) الحديث متفق عليه. انظر رياض الصالحين للنووى بتحقيق الألبانى: (ص٧٥).

(٢) الحديث متفق عليه، انظر رياض الصالحين للنووى بتحقيق الألبانى: (ص٧٦).

الشنقيطى ـ رحمه الله ـ بقوله : والحكمة فى الاصطلاح هى وضع الأمور فى مواضعها وإيقاعها فى مواقعها [1] .

وتلاحظ الحكمة فى التشريع الإسلامى فى عدة مواضع ، فمنها فيما يختص بالإرث وتقسيمه بنسب معينة ، نلاحظ أنها فى منتهى الحكمة ، فعندما نقارن بين أنصبة البنين والبنات والأخوة والأخوات والأبوين والزوجين ، نجدها تتناسب مع مسئولياتهم ومع واجباتهم وصلتهم بالميت ، وعندما نلاحظ العقوبات وتفاوتها من حد إلى حد ومن جناية إلى جناية نجد التناسب التام والانسجام الدقيق بين العقوبة والجريمة ، وكذلك نجد الحكمة فى تفاوت أنصبة الزكاة ومقاديرها من مال إلى مال ، كذلك العبادات فاحكامها فى غاية الحكمة ، وهذا شأن التشريع الإسلامى وصفته المميزة له الحكمة ، فهو من لدن عليم حكيم ، وقد تكلم ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى كتابه المشهور أعلام الموقعين ، عن هذا الموضوع بالتفصيل ، وأورد كثيراً من الشبه وردها ، وبين الحكمة فى تفاوت العقوبات من ذنب إلى ذنب ومن جناية إلى أخرى ، كما بين الحكمة فيما شرع من التماثل بين الجناية والجزاء ، والحكمة فيما لم يشرع فيه التماثل ، كما تطرق إلى كثير من الأحكام وبين وجه الحكمة فى الاختلاف والاتفاق فى كثير من صورها وفروعها ، وذلك فى حديثه عن القياس وهو كلام جيد نفيس [2] .

السادسة : الخلود والديمومة :

كما المحت آنفاً أن هذا التشريع يمتاز بأنه خالد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لا يتطرق إليه التعديل أو التبديل ، لذلك فإننا نلاحظ هذه الشريعة مرنة فى أحكامها ، ولكنها راسخة الأصول ، أو كما وصفها أحد الكتاب شجرة ثابتة الأصول متحركة الفروع ، ومما يدل على خلود الشريعة وديمومتها واستمرارها وشمولها قوله تعالى : ﴿**هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾ . (الصف : ٩) . فهذا نص مطلق غير مقيد بزمن وكذلك قوله جل ذكره : ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**﴾ . (الحجر: ٩) . وفى الحديث : «ولا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم» . رواه مسلم .

---

(١) منهج التشريع الإسلامى وحكمته .

(٢) انظر أعلام الموقعين : (الجزء الثانى من أوله إلى ص١٨٧) .

السابعة : العناية بالدنيا والآخرة :

إن من المميزات الرئيسية للتشريع الإسلامى بصفة عامة، انه شامل للدنيا والآخرة، علاج للظاهر والباطن، فهو لا يكتفى بعلاج الظاهر دون الباطن، ولا يكتفى بالحديث عن الدنيا دون الحديث عن الآخرة .

ولذلك فإن النظم الإسلامية كلها يجب أن تكون مبنية على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر وبالبعث بعد الموت والمجازات بالعمل إن خيراً فخيرا وإن شراً فشراً، ولاشك أن النظم التى ترتكز على هذه القواعد العظيمة، وتعتبر مستمدة من المنهج الالهى، لاشك أنه سوف يكون لها قدسية فى نفوس الناس وأثر كبير وهيبة عظيمة، وإن المسلم الذى يعتقد أنه ان افلت فى الدنيا من قبضة الحاكم فلن يفلت فى الآخرة من قبضة الله سبحانه وأنه له بالمرصاد، وأن اعماله وحركاته وسائر تصرفاته مرصودة وأن أنفاسه محسوبة معدودة .

لاشك أن مثل هذا الاعتقاد وهذا التصور له دور كبير فى تهذيب النفوس وصقلها وردعها عن الشرور وزجرها عن الجريمة، ولذلك نلاحظ أن النصوص الإسلامية لم ترد مجرد أوامر جافة، بل نجدها تخاطب فى الإنسان قلبه ولبه وضميره وأحاسيسه، وتحرك كوامن الإيمان فيه وتوقظ ضميره، إن كنتم مؤمنين، لعلكم تتقون، لعلكم تذكرون، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر. . . الخ .

فمثل هذا الخطاب يحرك جذوة الإيمان فى نفس المسلم، فيكون أدعى للاستجابة وأقرب للالتزام والانضباط .

وهذا بخلاف القوانين الوضعية التى لا ترتكز على دعائم من الإيمان فى جوهرها، ولا تراعى احاسيس الإنسان ومشاعره فى اسلوبها، فهى مجرد أوامر ونواه جافة، تكتفى بعلاج الظاهر والحديث عن الدنيا على ضعف فى العلاج وقصور فى الحديث وركاكة فى الاسلوب .

الثامنة : العصمة والصدق :

يعتبر هذا التشريع معصوما عن الخطأ، معصوما عن التحريف والتبديل والتغيير، كما يعتبر مصيباً فى أحكامه لأنه من عند الله، صادقا فى أخباره ووعده ووعيده. يقول جل ذكره فى حق الرسول ﷺ : ﴿**ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين**﴾. (الحاقة : ٤٤-٤٧). ويقول سبحانه حكاية عن

المشركين : ﴿ايت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن ابدله من تلقاء نفسى إن اتبع إلا ما يوحى إلىّ﴾ . (يونس : ١٥) .

ويقول الشاطبى ـ رحمه الله ـ فى كتابه الموافقات : إن هذه الشريعة معصومة كما أن صاحبها ﷺ معصوم، وكما كانت أمته فيما اجتمعت عليه معصومة ثم أورد دليلين :

أحدهما :

من القرآن فاستدل بقوله سبحانه : ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ . وقوله : ﴿**كتاب احكمت آياته**﴾ .

والثانى :

دليل الاعتبار الوجودى الواقع من زمن رسول الله ﷺ إلى الآن [١] .

وكما يعتبر معصوما فانه يعتبر صادقا مصيبا يقول جل ذكره : ﴿**ومن أصدق من الله حديثا**﴾ . (سورة النساء : ٨٧) . ﴿**ومن أصدق من الله قيلا**﴾ . (النساء : ١٢٢) . ﴿**ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم**﴾ . (الأسراء : ٩) . ويقول جل ذكره متحدثا عن القرآن : ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**﴾ . (النساء : ٨٢) . وفى الحديث : «ان أصدق الحديث كلام الله وخير الهدى هدى محمد» .

والتشريع الذى يتميز بالعصمة والصدق والاتقان وعدم التفاوت والاختلاف ، لاشك أنه التشريع الواجب الاتباع .

التاسعة : السلطة التشريعية فى التشريع الإسلامى : جعلها الله فى أهل الذكر من العلماء ، وهم المجتهدون الذين يكلفهم الشارع استنباط الأحكام للوقائع من النصوص أو الامارات ، على وفق نظم الإسلام وقواعده من غير جور ولا تحيف ، بخلاف السلطة التشريعية فى القوانين ، فانها تتولاها هيئة معينة يحددها دستور الدولة ، وقد يكون الخطأ أقرب إليها من الصواب [٢] .

هذه بعض المزايا التى وقفت عليها أو وفقت إليها ، وقد يكون فيها شىء من التداخل أو الازدواج وقد يكون بعضها مستلزما للبعض الآخر، ولكن زيادة فى الايضاح وحرصا على التبليغ أفردتها فى فقرات ليسهل استيعابها والرجوع إليها .

---

(١) الموافقات : (ج٢ ص٤٠) .

(٢) مدخل الفقه الإسلامى : محمد سلام مدكور : (ص٢٣) .

وبهــذه المنــاسبـة فقـد لاحظت أن بعض الكتـاب فى حديثهم عن مزايـا التشـريـع الإسلامى ، يتكلمون عن مزايا التشريع الجنائى ، فبعض الباحثين يرى أن التشريع الجنائى الإسلامى له خصائص معينة تميزه عن أقسام التشريع الأخرى فمن ذلك فيما يرى هؤلاء :

أولا : التدرج :

يقول الاستاذ أحمد فتحى بهنسى فى كتابه السياسة الجنائية فى الشريعة الإسلامية : أن سياسة التجريم التى ينهجها أى مشرع وضعى تأتى تدريجا ، وخاصة إذا كانت الافعال التى يخضعها للتجريم مباحة فى الأصل .

وهـذه السيـاسـة هى التى سبقت بها الشـريعـة الإسـلاميـة منذ القدم ، ونذكر أمثلة التجـريم التى يظهـر فيهـا هذا التـدرج التشـريعى فى الشـريعة الإسلامية . ثم اورد بعض الأمثلةمنها حد الزنا [1] .

والـزنـا باعتبـاره جريمـة حرم دفعـة واحـدة ، ولم يتـدرج فيه ولكن التدرج حصل فى العقوبة فقد كانت الحبس والايذاء ، ثم صارت الجلد والتغريب أو الرجم .

ثم ذكر حد شرب الخمر [2] . وفعلا فقد حصل ـ التدرج فى تحريمها بوضوح حيث أن ـ المجتمع فى ذلك الوقت قد ابتلى بعادة الشرب وارتكس فيها .

ولكن ينبغى أن يلاحظ أن هذه المحرمات التى حرمت بالتدرج ، أو فرضت عقوباتها بالتدرج ، أن هذا أمراً خاصا بها ، وفى ذلك الوقت خاصة . فانه بعد تحريمها بصفة نهائية لا يجوز التـدرج فى تحريمهـا ، فى حق المجتمـع الآخـر ولا يقاس عليها غيرها من الجرائم ، ولو توافرت فى هذا المجتمع مثل هذه الظروف .

والحكمة فى التدرج والله أعلم هو أن المجتمع الإسلامى فى أول أمره كان ضعيفاً قليل العـدد ، ولم تكن له القـاعدة الشعبية التى تحميه وتؤ ازره ، فى حالة الرفض وعدم الاستجابة من قبـل الآخـرين ، فلما قوى المجتمـع الإسـلامى وازداد عدد المسلمين لم تكن هناك حاجة للتدرج ، يدل لذلك أنه فى عهد رسول الله ﷺ وفى آخر أيام حياته وكذلك فى عهد الخلفاء الراشدين لما فتحوا بلاد الكفار من النصارى والمجوس وغيرهم لم يتدرجوا معهم فى التحريم والتجريم والعقوبة ، مع أن هذه المجتمعات كانت قد ابتليت بالزنا والربا وشرب الخمر ، ومع

---

(١) السياسة الجنائية فى الشريعة الإسلامية : (ص١٠) .
(٢) السياسة الجنائية فى الشريعة الإسلامية : (ص١٠) .

ذلك فقد ابلغوا بالإسلام كاملا، وطولبوا بالالتزام به جملة واحدة، ويدل لذلك موقف الرسول ﷺ مع بعض الوفود، كوفد عبد القيس، ووفود اليمن وثقيف، فانهم عندما أسلموا استأذن بعضهم رسول الله ﷺ فى شرب الخمر لأنهم يحتاجون إليها للتدفئة فلم يأذن لهم رسول الله ﷺ وعندما قال أحدهم: إن الناس ليسوا بتاركى هذا الشراب أمره رسول الله ﷺ بمقاتلتهم، ومنهم من استأذن فى الزنا أوفى ترك الصلاة فكلهم لم يأذن لهم رسول الله بذلك، فلو أن هناك تدرجاً لاستجاب لهم رسول الله ولتدرج معهم.

ولكن لا مانع أن تستخدم سياسة التدرج فى التجريم والعقوبة فى الجرائم التعزيرية، فعندما يبتلى الناس بعادة سيئة، أو ينتشر بينهم خلق دميم، فلا مانع من التدرج فى تحريم ذلك بتتبع مصادره أولا، وإيجاد البديل عنه، ثم تحريمه ثانيا، والمعاقبة على فعله بالعقوبة المناسبة.

ثانيا: عدم رجعية التشريع الجنائى على الماضى:
وينبنى على هذا التدرج التشريعى أن المذنب لا يعاقب إلا بمقتضى النص الذى يكون ساريا وقت ارتكابه جريمته، أى أن النص لا ينسحب على ما مضى من الوقائع، ثم أورد بعض الأدلة من القرآن.

ثالثا: الاقتصار على الكليات دون الجزئيات والعموميات دون الخصوصيات: ثم تكلم عن النسخ. والواقع أن ما اشير إليه من هذه الأمور على أنها خصائص التشريع الجنائى لا يبدوا ذلك واضحا، بل الذى يظهر ان هذه الأمور ليست خاصة بالتشريع الجنائى دون غيره من أقسام التشريع الإسلامى، إن كانت فى العبادات، أو الشئون المالية أو الأسرية أو شئون الحرب.

فكثير من التشريعات نلاحظ فيها التدرج كالزكاة والصلاة والصيام والجهاد، فليس التدرج مقتصرا على التجريم والعقوبة، بل نستطيع أن نقول أن التدرج يعتبر صفة عامة للتشريع الإسلامى.

كذلك عدم رجعية التشريع الجنائى على الماضى ليست مقتصرة على الجنايات بل هى صفة عامة للتشريع الإسلامى بجميع أقسامه، والآية التى يستدلون بها وهى قوله تعالى: ﴿**قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف**﴾. (الأنفال: ٣٨). وردت عامة مطلقه فى كل شىء من الجنايات وغيرها.

أمـا الاقتصـار على الكليات دون الجزئيات والعموميات دون الخصوصيات ، والنسخ فهذه المسائل من الوضوح بحيث لا يحتاج الأمر إلى الكتابة عنها ، فهذه من المسائل الخاصة بكثـير من الأحكـام كالمعاملات ، والشئون الإقتصادية ونظام الحكم ، وليست مقتصرة على قسم دون آخر ، وليس من المناسب الاشارة إليها فى معرض الحديث عن خصائص التشريع الجنائى لأنها عامة تشمل كثيراً من الأحكام كما ذكرت .

ومن هذا يتضح لنا أن التشريع الجنائى الإسلامى ليست له خصائص تميزه عن بقية أقسام التشريع ، هذا إذا نظرنا إلى التشريع الجنائى بمفهومه العام الذى يدخل فيه الاعتداء على حقوق الله سبحانه وحقوق الناس والاعتداء على الاموال والاعراض والأبدان .

إنـما نلاحـظ فى التشـريع الجنائى الخصائص المشار إليها فى التشريع الإسلامى بصفة عامة من عدالة وحكمة ورحمة ويسر وغير ذلك من المزايا التى اشرنا إليها .

وجوب تطبيق التشريع الإسلامى والالتزام به وتنفيذه :

إن التشريع الإسلامى على اختلاف أقسامه إن كان جنائيا أو مالياً أو فى العبادات أو فى الحـرب وشئـونهـا ، يعتـبر روح الأمـة الإسـلاميـة ، فبـدون هذا التشـريع لا يعتبر للأمة الإسلامية كيان ولا وجود ، إلا وجودا شكلياً وكياناً صوريا ، أى كالجسد الميت الذى لا روح فيه ولا حياة .

وما لم ينفذ المسلمون حكاما ومحكومين التشريع الإسلامى فى كل مجالات الحياة ، فإنه فى هذه الحـالـة لا يعتـبر لهم وجـود شرعى ، ولا كيـان حقيقى ، فالمسلمـون ملزمون بتطبيق الشريعة الإسلامية خاصة ولاة الأمر ، يقول جل ذكره : ﴿**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون**﴾ . (الجاثية : ١٨) . فاتباع الشريعة واجب فى كل ما جاءت به من كليـات أو جزئيـات وأصـول أو فروع ، والحكم بما أنزل الله واجب لا بد منه فى حق الحكـام والمحكـومـين : ﴿**ومن لم يحكم بما أنـزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾ . (المائدة : ٤٤) . ﴿**وأولئـك هم الظـالمـون**﴾ . (المائدة : ٤٥) . ﴿**وأولئك هم الفاسقون**﴾ . (المائدة : ٤٧) . ويقول سبحانه : ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجـا مما قضيت ويسلمـوا تسليما**﴾ (النساء : ٦٥) . ويقول عليه الصلاة والسلام : «والله لا يؤمن أحـدكم حتى يكـون هواه تبعـا لما جئت به» . وفى الحـديث : «ومـا لم يحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم» .

إن هذه المسألة من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى زيادة تفصيل، يدركها كل مسلم يتلو كتاب الله ويتدبره، ويقرأ أحاديث رسول الله ﷺ ويفقهها .

وينبغى أن نلاحظ أنه لابد من تطبيق الشريعة عامة بكل أحكامها، وإلا فلا يعتبر المجتمع ملتزما بشريعة الله ولا مطبقا لها، يقول جل ذكره : ﴿**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون**﴾. (البقرة : ٨٥) .

ويقول سبحانه : ﴿**إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذاباً مهينا**﴾. (النساء : ١٥٠-١٥١). فلاشك أن الذى يطبق الإسلام فى جانب ويحول بينه وبين التطبيق فى جانب آخر، لاشك أن هذه الآيات تنطبق عليه وهو على خطر عظيم من الكفر والنفاق. والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

نعيم الإيمـــان

إن اللذة والفرحة والسرور وطيب الوقت والنعيم الذى لا يمكن التعبير عنه إنما هو فى معرفة الله سبحانه وتعالى، وتوحيده، والإيمان به وانفتاح الحقائق الإيمانية والمعارف القرآنية . . .

وقد قال بعضهم :

لتمر على القلب أوقات يرقص فيها طرباً، وليس فى الدنيا ما يشبه نعيم الآخرة إلا نعيم الإيمان والمعرفة . . .

(شيخ الإسلام: ابن تيمية)

مَنْهَجُ ٱلسَّلَفِ فِى ٱلْعَقِيدَةِ وَأَثَرُهُ فِى :

وَحْدَةِ المُسْلِمِين

الدكتور صالح سعد السحيمي
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً .

وبعـــــــد

فهذا جهد متواضع أساهم به لبيان المنهج الذى كان عليه السلف الصالح فى العقيدة ومدى مخالفة الناس لذلك المنهج مما فرق كلمة المسلمين وأضعف وحدتهم .

وجعلت عنوان البحث : منهج السلف فى العقيدة وأثره فى وحدة المسلمين وقد حملنى على ذلك إهمال كثير من الباحثين لهذا الجانب ، أعنى جانب العقيدة ، والذى هو العامل الأول والركيزة الأساسية التى ينبنى عليها كيان المجتمع الإسلامى ، وتنضوى تحت لوائها صفوف المسلمين . منها يستلهمون طريق وحدتهم ، وعلى ضوئها يشقون طريقهم إلى أعلى قمم المجد والعلى ، وبهداها ومبادئها القيمة يفتحون القلوب قبل أن يفتحوا الأمصار والأقطار ، ولقد كثرت المؤلفات والخطب والمحاضرات والمواعظ والندوات التى تنادى بوحدة المسلمين وجمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم بالأساليب المتعددة ، وطرح الحلول الكثيرة ، لكن هذه الأساليب والحلول ، ناقصة وغير تامة نظراً لاهتمامها بالجوانب الفرعية فقط . فنجد ان جماعة ممن يهتمون بعوامل التضامن الإسلامى يركزون جل اهتمامهم على الجانب السياسى . ونجد جماعة أخرى تركز على الجانب الأخلاقى ، ونجد جماعة ثالثة تركز على جوانب الترغيب والترهيب والزهد والورع . وقل أن تجد بين هؤلاء من يهتم بالجانب الأساسى والركن العظيم ، والذى هو الحصن الحصين ، والمنطلق المتين لجمع كلمة

المسلمين ، الا وهو عقيدة التوحيد الذى جمعنا الله به بعد الفرقة ، وألف بين قلوبنا بعد التمزق ، حتى أصبحنا به أمة واحدة ذات هدف واحد ومنطلق واحد ، وعقيدة واحدة ، هى مصدر عزتنا ، وعنوان سعادتنا ، ومناط وجودنا فى هذه الحياة . إنها عبادة الله الذى لا إله غيره ، ولا رب سواه إنه الهدف الأسمى ، والمقصد الأعلى الذى خلقنا الله له ، وأوجدنا من أجله ، كما قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فاعبد الله مخلصاً له الدين** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾ .

إذا تأملنا هذه الآيات الكريمة وما جاء فى معناها ، وما أكثره فى كتاب الله ، وجدنا أن أساس كل عمل فى الإسلام إنما ينطلق من العقيدة ، ويرتكز عليها ، كما يرتكز البناء على أركانه .

والبيت لا يبتنى إلا له عَمدٌ ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

إذا عرفنا ذلك فإن أية دعوة إلى التضامن الإسلامى ، إذا لم ينطلق أصحابها من هذا المبدأ الأساسى ، ولم تؤسس على هذا البناء الراسخ ، ولم تقم على تحقيق التوحيد ، وتخليصه من شوائب الشرك ، والبدع ، والمعاصى ، فإنها دعوة سيكتب لها الفشل لا محالة . عاجلاً أم آجلاً لأن البناء ، لا يقوم فى الهواء ولا يمكن تشييده إلا على أرض صلبة حتى لا يتعرض للانهيار يوماً من الأيام .

قال تعالى : ﴿ **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾ .

وحينما نقول إن مبنى التضامن الإسلامى على عقيدة التوحيد وعندما ندعوا إلى وجوب الانطلاق من هذا المبدأ ، فإن ذلك لا يعنى إهمال الجوانب الأخرى التى أشرنا إليها أو إلى بعضها فى ما مضى ، وإنما نعنى وجوب التأسيس وذلك بأن نبدأ أعمالنا كلها من هذا المنطلق .

فعلى ضوئه تكون السياسة ، وعلى منهجه تبنى الآداب ، والأخلاق ، وفى حذوده ندعو إلى الترغيب ، والترهيب ، وعلى مبادئه يوجد بإذن الله المجتمع الإسلامى الصالح المنشود ، وتوجد السعادة البشرية فى الدنيا والآخرة ، ويعود الناس إلى دين الله أفواجاً

فينعمـون بالخـير ، والأمن ، والطمأنينـة وفق هدى العقيـدة الخـالصـة الـوارفـة الظلال ، فيتخلصـون بذلـك من أدران الـوثنية ، وأوضار الجهل ، وحينئذ تصفو قلوبهم ، وتخلص لله وتخلع ربقـة الشـرك الـذى ران عليهـا سنين طويلة ، والذى هو أعظم ذنب عصى به الله عز وجل ، منذ أن انحرف الناس عن الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها حتى وقعوا فيما وقعـوا فيـه من الإفـراط والتفـريـط والغلو والتقصير ، فلقد كان الإنسان فى أول خلقه على المنهج الربانى الصحيح ، عقيدة وسلوكا ، وأخلاقاً ، وعبادة ، ومعاملة ، حقبة من الزمن .

يذكـر علماء التـاريـخ ، والسـير بأنهـا تقـدر بعشرة قرون ، إلى أن بدأ الانحراف فى العقيـدة ، فى أولئـك القـوم الذين بعث الله فيهم نوحاً عليه الصلاة والسلام ، بعد أن زين لهم الشيطـان عبـادة الأصنـام ، والأوثان ، بسبب الغلو فى الصالحين . فقد روى البخارى رحمه الله فى صحيحه عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعـاً ولا يغـوث ويعـوق ونسراً** ﴾ . قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح . فلما هلكـوا أوحى الشيطـان إلى قومهم أن انصبـوا إلى مجالسهم التى كانـوا يجلسون فيها أنصابا وسمـوهـا بأسـمائهم ففعلوا ، ولم تعبـد حتى إذا هلك أولئـك ونسى العلم عبدت » . فانظر كيف بدأ الانحراف عن الصراط السوى نتيجة للغلو ، بطريق التدريج ، وذلك أنهم كانوا يتـبركـون بدعـائهم ، وكلما مات منهم أحـد مثلوا صورتـه وتمسحـوا بها زمنـاً طويلاً إلى أن عبـدوهـا باستـدراج الشيطـان لهم . ثم صارت سنـة فى الناس يهرم عليها الكبير ، ويشب عليهـا الصغـير إلى أن بعث الله فيهم نوحـاً عليـه الصلاة والسلام فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسـين عامـاً يدعـوهم إلى توحيـد الله ونبذ عبادة ما سواه فأصروا واستكبروا استكباراً ، ولم يؤمن منهم إلا النزر اليسير .

ومـا كان عليـه حال قوم نوح هى نفس الحـال التى ارتكس فيهـا الناس بعد ذلك من الغلو ، ومجاوزة الحد ، واتباع الهوى الذى أدى بالناس إلى عبادة غير الله سبحانه وتعالى .

وأخطر هذه الأسباب هو الغلو الذى حذر الله منه فى غير ما آية .

والغلو هو مجاوزة الحـد فى مدح الشىء أو ذمـه ، وضـابطـه تعـدى ما أمـر الله به وهـو الطغيان الذى نهى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ **ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى** ﴾ . وكذا قال تعالى : ﴿ **ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم** ﴾ . أى لا تتعدوا ما حد الله لكم .

وأهل الكتاب هنا ، هم اليهود ، والنصارى ، فنهاهم عن الغلو فى الدين ، ونحن كذلك ، كما قال تعالى : ﴿ **فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير** ﴾ .

والغلو كثير فى النصارى فإنهم غلوا فى عيسى عليه الصلاة والسلام ، فنقلوه من حيز النبوة إلى أنْ اتخذوه إلهاً من دون الله ، يعبدونه كما يعبدون الله ، بل غلو فيمن زعم انه على دينه من اتباعه ، فادعوا لهم العصمة ، واتبعوهم فى كل ما قالوه سواء كان حقاً أم باطلاً ، وناقضتهم اليهود فى أمر عيسى عليه الصلاة والسلام ، فحطوا من منزلته حتى جعلوه ولد بغي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى ، وغلا فى الدين بافراط أو تفريط ، وضاهاهم فى ذلك ، فقد شابههم ، كالخوارج المارقين من الإسلام الذين خرجوا فى خلافة علي بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقاتلوهم حين خرجوا على المسلمين بأمر النبى ﷺ ، كما ثبت ذلك من عشرة أوجه فى الصحاح ، والمسانيد وغير ذلك ، وكذلك من غلا فى دينه من الرافضة والقدرية والجهمية ، والمعتزلة . وقال أيضا : فإذا كان على عهد النبى ﷺ من انتسب إلى الإسلام وقد مرق منه مع عبادته العظيمة ، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة فى هذه الأزمان ، قد يمرق أيضاً من الإسلام ، وذلك بأسباب منها الغلو الذى ذمه الله فى كتابه ، حيث قال : ﴿ **ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم** ﴾ . أهـ

وهذا الكلام يدل دلالة واضحة على أن أعظم فتنة ابتليت بها البشرية إنما هى فتنة الغلو الذى جاء التحذير منه فى غير ما آية وحديث ، وقد تقدم من الآيات ما يوضح ذلك .

أما الأحاديث فمنها ما ثبت فى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبى ﷺ ، قال : « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » . وثبت فى سنن أبى داود والترمذى ، وابن ماجه ، من حديث ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « إياكم والغلو فإن ما أهلك من كان قبلكم الغلو » .

وهذه نصوص صريحة ، وواضحة فى أن سبب الانحراف عن العقيدة الصحيحة والفطرة السليمة إنما هو ذلك الغلو ومجاوزة الحد الذى أدى بالتالى الى صرف العبادة لغير الله سبحانه وتعالى ، الأمر الذى من أجله بعث الله الرسل لإعادة الناس من عبادة العباد إلى

عبادة رب العباد . ذلكم هو الهدف الأسمى الذى أوجد الله من أجله الثقلين ، الجن ، والإنس . فكل عاقل فى هذا الوجود يعرف أنه مخلوق لخالق ، ومربوب لرب أوجده بعد العدم .

لو طرح سؤال مفاده : لماذا خلقت فى هذه الحياة ؟ ولماذا فضلت على سائر الكائنات الأخرى ؟ وما هى مهمتك فى هذه الحياة ؟ . . فإن الجواب عند المؤمن حاضر بكل بساطة : إن كل صانع يعرف سر صنعته ، لماذا صنعها . . ولماذا صنعها على نحو معين دون غيره . . .

والله تعالى هو صانع الإنسان وخالقه ، ومدبر أمره فلنسأله : يارب لماذا خلقت هذا الإنسان ؟ هل خلقته لمجرد الطعام والشراب ؟ هل خلقته للهو واللعب ؟ هل خلقته لمجرد أن يمشى على التراب ، ويأكل مما خرج من التراب ، ثم يعود كما كان إلى التراب ، فإذا لم يكن الأمر كذلك فما سر هذه القوى والملكات التى أودعها الله الإنسان من عقل وإرادة وروح .

لقد جاء جواب ذلك بما يشفى ، ويكفى فى الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، حيث نص تبارك وتعالى على أنه خلق هذا الإنسان ليكون خليفة فى الأرض .

قال تعالى : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة . قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ؟ قال إنى أعلم ما لا تعلمون** ﴾ . وهذه الخلافه معناها أن يعرف الإنسان ربه حق معرفته ، ويعبده حق عبادته .

قال تعالى : ﴿ **الله الذى خلق سبع سموات ، ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن ، لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً** ﴾ .

ويقول الله تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق ، وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ .

وإذن ، فالجواب البدهى الذى تنطق به الفطرة فى هذا الكون ، أن الإنسان عبد لله خلق لذلك ، وسخر الله له ما فى السموات ، وما فى الأرض ، من أجل تحقيق الغرض .

ومن هنا يعلم كل ذى فطرة سليمة ، وعقل متجرد ، أن عبادة الإنسان ، لقوى الطبيعة ومظاهرها من فوقه ، ومن تحته كالشمس ، والقمر ، والنجوم ، والأنهار ، والأبقار ، والأشجار ، ونحوها قلب للوضع الطبيعى ، وانتكاسٌ بالإنسان أى انتكاس !!

والإنسان إذن ، بحكم فطرته ، ومنطق الكون ، إنما هو مربوب لله سبحانه لا لغيره ، لعبادته وحده ، لا لعبادة بشر ، ولا حجر ، ولا بقر ، ولا شجر ، ولا شمس ، ولا قمر ، وكل عبادة لغير الله إنما هى من تزيين الشيطان عدو الإنسان .

ولذا نرى أول نداء يوجهه الله لرسله هو الأمر بعبادته ، وبيان أنه لا إله غيره ، ولا رب سواه ، اقرأ مثلا : قوله تعالى : ﴿ **اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** ﴾ .

هذه العبادة لله وحده هى العهد القديم الذى أخذه الله على بنى الإنسان ، ورسخه فى فطرهم البشرية ، وغرسه فى طبائعهم الأصيلة ، منذ خلقهم ، وصورهم ، وجعلهم فى أحسن تقويم ، وأوجد فيهم العقل الواعى ، الذى يتميزون به على سائر الكائنات ، وجعل كل ما حولهم من الآيات البينات دليلاً قاطعاً على وحدانيته سبحانه ، وافراده بكامل العبودية ، وأخذ العهد عليهم حيث قال تعالى : ﴿ **ألم أعهد إليكم يابنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وان اعبدونى هذا صراط مستقيم** ﴾ .

ومن هنا نعلم أن كل عبادة لغير الله ، وإن ظهرت فى صورة عبادة حجر ، أو شجر ، أو مدر ، أو هوى ، إنما هو من إيحاء الشيطان ، وتزيينه ، ووسوسته بشكل مباشر أو غير مباشر ، بغض النظر عن القالب الذى ظهرت فيه تلك العبادة ، ولذا نرى أنَّ الله تبارك وتعالى قد أخذ العهد على بنى آدم منذ أن كانوا فى صلب أبيهم آدم .

هذا العهد بين الله وعباده ، هو الذى صوره القرآن فى أروع صورة ، وبلاغة ، حين قال : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ، ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا . ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون** ﴾ .

فلا عجب أن يكون المقصود الأعظم من بعثة النبيين وإرسال المرسلين ، وإنزال الكتب المقدسة ، هو تذكير الناس بهذا العهد القديم ، وإزالة ما تراكم على معدن الفطرة من غبار الغفلة أو الوثنية ، أو التقليد الأعمى .

ولا عجب أن يكون النداء الأول لكل رسول : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » .

بهذا دعا قومه ، نوح ، وهود ، وصالح ، وإبراهيم ، ولوط ، وشعيب وكل رسول بعث إلى قوم مكذبين . قال تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ . وقال تعالى بعد أن ذكر قصص طائفة كبيرة من الأنبياء : ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ . وكما قال تعالى : ﴿ **ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إنى بما تعملون عليم . وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** ﴾ .

وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ : ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ أى الموت . كما قال تعالى على لسان قوم : ﴿ **وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين** ﴾ . وهو الموت . فالتكليف بالعبادة لازم له حتى يلقى ربه .

ولم تسقط عنه بسمو الروح ، ولا بالاتصال القوى بالله كما يدعي غلاة الصوفية .

وقال تعالى فى شأن عيسى بن مريم الذى رفعه قومه إلى مرتبة الألوهية ﴿ **لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون . ومن يستنكف عن عبادته ، ويستكبر ، فسيحشرهم إليه جميعا . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فيوفيهم أجورهم ، ويزيدهم من فضله ، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ، ولا يجدون لهم من دون الله وليا ، ولا نصيراً** ﴾ .

ويعرض لنا القرآن مشهداً من مشاهد يوم الحشر . يسأل الله فيه المسيح عليه السلام عما نسبوه إليه ، وافتروه عليه ، فيجيب فى أدب العبودية متبرئا مما صنعوا : ﴿ **وإذ قال الله : ياعيسى بن مريم : أأنت قلت للناس : اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟ قال : سبحانك : ما يكون لى ان أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك . إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد** ﴾ .

فالأديان كلها دعوة إلى عبادة الله وحده . والأنبياء جميعاً أول العابدين لله . وعبادة الله وحده هى ـ إذن مهمة الإنسان الأولى فى الوجود كما بينت ذلك كل الرسالات .

قال تعالى : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم ، وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ . فقد دلت الآية

الكريمة وما فى معناها على وحدة الهدف والعقيدة التى هى محور دعوة جميع الرسل من لدن نوح عليه السلام إلى خاتمهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ ، الذى بعثه الله رحمة للعالمين ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ولينقذهم من أوحال الشرك ، وأدران الوثنية ، فكان بذلك نبراساً للأمة ينير لها الطريق ، ومشعلاً يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم .

وقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يترسمون تلك الخطا النبوية ، ويستلهمون سر وحدتهم من صفاء العقيدة الخالصة التى لم تشبها شائبة ، فأصبحوا بذلك سادة الدنيا ، وفتح الله لهم أبواب الخير من كل مكان ورفعوا راية التوحيد فى مشارق الأرض ومغاربها . وكل عاقل يدرك ان هذا النصر المؤزر الذى حققه الله على أيديهم لم يكن وليد الصدفة ، ولم يكن بسبب العدد والعدة ، وإنما تحقق ذلك ، بسبب اعتمادهم على الله ، والتوكل عليه مع الأخذ بالأسباب المشروعة ، وبدئهم بالأهم قبل المهم ، وانطلاقهم فى دعوتهم من تحقيق كلمتي التوحيد « **لا إله إلا الله محمد رسول الله** » ، لأن ذلك هو الأساس الذى أمروا أن يبدأوا به ، قال تعالى : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألاَّ تعبدوا إلا إياه** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلى ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ .

ومن السنة ما ثبت فى الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس قال : « لما بعث رسول الله ﷺ معاذاً إلى اليمن قال : انك تأتى قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ان لا إله إلا الله . . . . الحديث » .

ومما يدل على أهمية العقيدة ، وكونها أساس كل عمل ، تكفيرها للذنوب والكبائر ، إذا صدرت عن اخلاص وقوة إيمان ، يدل لذلك ما رواه الترمذى وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص من حديث صاحب البطاقة حيث ينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر ، ثم يؤتى ببطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ، فتوضع السجلات فى كفه ، والبطاقة فى كفه فتطيش السجلات ، وتثقل البطاقة .

وإذاً فتوحيد الله تعالى ، هو رأس الأمر كله ، والجسد لا يستقيم بلا رأس ، كما قال ﷺ رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله .

وهـذه نصـوص صريحـة دالـة على وجوب البدء بالدعوة إلى توحيد الله تعالى ، قبل جميع التكاليف ، لأن قبول جميع التكاليف مرهون بتحقيق ذلك ، وهذا ما سار عليه السلف الصـالـح فى دعـوتهم ، مما حقق لهم النجـاح فى برهـة وجيـزة ، أذهلت العقول ، وتحطمت أمامها عروش الكفر والطغيان .

وقـد استمـر الأمـر على هذا الحال ثم بدأ الانحراف بعد ذلك عن هذه الجادة بسبب الانصـراف عن الكتـاب والسنـة اللذين يجب أن نأخـذ العقيـدة منهـما والاشتغال بالفلسفة والمنطق ، اللذين لم يستفد منهما المسلمون غير تخريب العقيدة ، والقيل ، والقال ، والجدل الذى لا طائل تحته ولا جدوى من ورائه حتى قال قائلهم :

ولم نستـفـد من بحـثـنـا طول عمـرنـا ... سوى أن جمعـنـا فيـه قيـل وقـالـوا

الأمر الذى حدا بكثير من الناس إلى تعطيل صفات الله عز وجل ، أو تفويضها ، أو تأويلهـا ، أو تمثيلهـا ، وكـذلك الحال فى عبادة الله عز وجل حيث لم يقتصر الأمر على التقيد بالكتـاب والسنـة ومنهـج السلف الصـالـح فى ذلـك ، حتى أصبـح الناس فى العبادة نتيجة لجهلهم بما كان عليه السلف الصالح من صحة الاعتقاد ، أصبحوا ما بين مُفْرِطٍ ومُفَرِّطٍ ، فالمفرطون أسرفوا فى دعوى المحبة حتى أخرجهم ذلك إلى نوع من الرعونة والدعاوى التى تنـافي العبـوديـة ، وتثبت الـربـوبيـة أو شيئـاً منها لغير الله ، ومعلوم أن الرب والمعبود هو الله وحـده ، ومـع ذلـك يدعي هؤلاء دعاوى تتجاوز حدود الأنبياء والمرسلين ـ فضلاً عن عامة الناس ، أو يطلب من غير الله ما لا يصلح بكل وجه إلا لله ، لا يصلح للأنبياء ولا للمرسلين .

قال شيـخ الإسـلام ابن تيميـة رحمه الله : وهذا باب وقع فيه كثير من الشيوخ (يعنى شيوخ المتصوفة) وسببه : ضعف تحقيق العبودية التى بينها الرسل ، وحددها الأمر والنهى ، الذى جاءوا به ، بل ضَعْفُ العقل الذى به يعرف العبد حقيقته .

وإذا ضعف العقل ، وقل العلم بالدين ، وفى النفس محبة طائشة جاهلة ، انبسطت النفس بحمقها فى ذلك ، كما ينبسط الإنسان فى محبة الإنسان مع حمقه وجهله ، ويكون سببا لبغض المحبوب له ، ونفوره منه ، بل سببا لعقوبته .

وكثير من السالكين سلكوا فى دعوى حب الله أنواعاً من أمور الجهل بالدين ، إما من تعـدي حدود الله ، وإمـا من تضييـع حقـوق الله ، وإما من ادعاء الدعاوى الباطلة التى لا

حقيقة لها ، كقول بعضهم : « أيُّ مريدٍ لي ترك في النار أحداً فأنا بريء منه ، وقال الآخر : أى مريد لى ترك أحداً من المؤمنين يدخل النار فأنا منه بريء » .

فالأول : جعل مريده يخرج كل من فى النار .
والثانى : جعل مريده يمنع أهل الكبائر من دخول النار .

ويقول بعضهم : إذا كان يوم القيامة نصبت خيمتي على جهنم ، حتى لا يدخلها أحد ، وأمثال ذلك من الأقوال التى تؤثر عن بعض المشايخ المشهورين ـ وهى إما كذب عليهم ، وإما غلط منهم . أهـ .

وإذا كانت هذه المقالات الإلحادية قد وجدت فى عهد شيخ الإسلام ابن تيمية ، وقبله ، فإن فى عصرنا من الدعاوى التى تبلغ حد التأليه ، ما هو أدهى وأمر .

من ذلك قول أحد زعماء الطرق الصوفية المعاصرين :

قد خصني بالفضل والتشريف ... إن قلت كن يكن بلا تسويف

ويدعى هذا الكذاب الأشر أن رجلا نصرانيا دخل الجنة بسبب انه عاشر امرأة من اتباع ذلك الشيخ ، معاشرة غير شرعية مع ان المرأة التى عاشرها كما يقول ليست ملتزمة بالطريقة ، ولكنه دخل الجنة ببركة شيخ الطريقة التى تنتمى إليها هذه المرأة ، ويقول أحد الأفّاكين من هؤلاء إن من ضرورات مذهبهم أن لأئمتهم درجة لا يبلغها ملك مقرب ، ولا نبى مرسل إلى غير ذلك من المقالات الكفرية والالحادية ، القديمة والحديثة ، والتى لا تكاد تعد ولا تحصى .

تُرى ماذا ترك هؤلاء الملاحدة لله من العبودية ، إذا ادعوا بلوغ مثل هذه المراتب ، وإذا سئلوا عن تفسير هذه التراهات ، ادعوا انهم كانوا فى حالة سكر بحب الإله .

قال الشاعر فى التهكم بهم ووصف أحوالهم التى يزعمون أنها عبادة :

ألا قل لهم قول عبد نصوح ... وحق النصيحة أن تستمع
متى علم الناس فى ديننا ... بأن الغناسُنّةٌ تتبع ؟
وان يأكل المرء أكل الحمار ... ويرقص فى الجمع حتى يقع
وقالوا سكرنا بحب الإله ... وما أسكر القوم إلا القِصَع
كذاك البهائمُ إن أُشْبِعت ... يُرَقّصُها رِيُّها والشِّبَعْ
ويسكره النايُ ثم الغنا ... ويس لو تليت ما انصدع

فيـا للعـقـول ويـا للنهـى ... ألا منـكـر منـكـمـو للبـدع
تهان مسـاجـدنـا بالسـماع ... وتـكـرم عن مثـل ذاك الـبـيـع

وقال آخـر :

تُلى الـكـتـاب فأطـرقـوا، لاخيـفـةً ... لكـنـه إطـراق ساهٍ لاهـي
وأتـى الـغـنـاء، فكـالحمـير تنـاهقـوا ... والله ما رقـصـوا لأجـل الله
دفٌ ومـزمـار، ونـغـمـةُ شادن ... فمـتـى رأيـت عبـادة بمـلاهـي
ثَقُـلَ الـكـتـاب عليـهـمُ لمّا رأوا ... تقـيـيـده بأوامـر ونـواهـي
سمـعـوا له رعـداً وبـرقـا، إذ حوى ... زجـراً وتخـويـفـاً بفـعـل منـاهـي
ورأوه أعظـم قاطـع للنـفس عن ... شهـواتهـا، ياذبـحـهـا المـتـنـاهـي
وأتـى الـسـماعُ موافـقـاً أغـراضـهـا ... فلأجـل ذاك غدا عظـيـم الجـاه
أيـن المـسـاعـد للهـوى من قاطـع ... أسـبَـابَـه، عنـد الجَهـول السـاهى؟
إن لم يكـن خمر الجـسـوم فإنـه ... خمر الـعـقـول مماثـل ومـضـاهـي
فانظـر إلـى الـنـشـوان عنـد شرابـه ... وانظـر الـى الـنـسـوان عنـد ملاهـى
وانظـر الـى تمزيـق ذا أثـوابـه ... من بعـد تمزيـق الـفـؤاد الـلاهـي
واحـكـم فأي الخـمـرتـين أحـق بالـ ... ـتـحـريـم والـتـأثـيـم عنـد الله؟

وما وصفه الشاعر من أحوال هؤلاء الناس يعطى صورة حقيقية عن مدى الانحراف الذى وقعوا فيه حيث بلغ بهم الحال الى اعتبار الرقص والغناء عبادة تقربهم إلى الله بدعوى ان تلك الـرقصـات والأنغـام الصوفية إنما هى نابعة من قلب مفعم بالمحبة ، فجعلوا محبتهم للخالق مشابهة لمحبة المخلوق للمخلوق من وجود العتاب ، والعذل واللوم والغرام ، ونحو ذلك مما يجب ان ينزه الله عنه . لأنه لا يليق بجلال الله وعظمته .

ولكن الـدليـل والـبرهـان على محبة القلب لله وخضوعه له إنما يتجسد فى اتباع رسوله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ . فلا يكون محبا لله إلا من اتبع رسوله .

وطاعة الرسول ، ومتابعته لا تكون إلا بتحقيق العبودية .

وكثير ممن يدعى المحبة يخرج عن شريعته وسنته ﷺ ويدعى من الحالات ما لا يتسع هذا الموضع لذكره ، حتى قد يظن أحدهم سقوط الأمر . وتحليل الحرام له ، وغير ذلك مما فيه مخالفة لشريعة الرسول وسنته وطاعته .

بل قد جعل الله أساس محبته ومحبة رسوله ، الجهاد فى سبيله . والجهاد يتضمن كمال محبـة ما أمـر الله به . وكمال بغض ما نهى الله عنـه . ولهذا قال فى صفة من يحبهم ويحبونه : ﴿ **أذلـة على المؤمنين أعـزة على الكـافـرين ، يجاهـدون فى سبيـل الله ، ولا يخافون لومة لائم** ﴾ . ولهـذا كانت محبـة هذه الأمـة لله أكمـل من محبة من قبلها وعبوديتهم لله أكمل من عبـوديـة من قبلهم . وأكمـل هذه الأمة فى ذلك هم أصحاب محمد ﷺ ، ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل .

« هذا صنف » .

والصنف الثانى وهم المُفَرطّون الذين غلطوا فى فهم حقيقة العبادة وهم الذين ظنوا ان المحبة تنافى أدب العبودية ، ولا تصاحب خشية الله ومخافته التى يجب ان يتصف بها كل عبد لله . كما ظن ان المحبة لا تتحقق من المخلوق للخالق ، إنما المطلوب منه الطاعة والخضوع فقط .

ولذا نجد بعضهم يقول اللهم إنى أعبدك لا طمعاً فى ثوابك ولا خوفاً من عقابك ، فانظر ياأخى المسلم ، كيف فصلوا بين العبادة وبين الخوف والخشية ، والمحبة ، والرجاء .

والحقيقة أن المحبة لا تنافى الخشية ، والمخافة بل الخوف لازم للمحبة ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، إذ ليس عند القلب السليم أحلى ، ولا ألذ ، ولا أطيب ، ولا أسر ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ، ومحبته له ، واخلاص الدين له .

وذلـك يقتضى انجـذاب القلب إلى الله ، فيصـير القلب منيبـاً إلى الله خائفا منه ، راغباً راهباً ، كما قال تعالى : ﴿ **من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب** ﴾ . إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه أوعدم حصول مرغوبه ، فلا يكون عبدا لله ، ومحبه ، إلا بين خوف ورجـاء . كما قال تعـالى : ﴿ **أولئـك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، إن عذاب ربك كان محذورا** ﴾ .

فقـد دلت الآيـة الكـريمـة على أن كل عبـد مخلص لله لابد أن يكون مع عبادته بين الخـوف والـرجـاء ، وقـد نص العلماء رحمهم الله على أنـه ينبغى للمسلم أن يُغلّب جانب الخـوف فى الصحـة حتى لا يأمن من مكـر الله ، وان يُغلَّب جانب الرجاء فى المرض حتى لا ييأس من رَوح الله ، والآية الكريمة نزلت فى أناس من الإنس كانوا يعبدون نفراً من الجن ،

فأسلم الجن ، وبقى الإنس على عبادتهم إياهم ، فأخبر الله تعالى ، إن هؤلاء المدعوين يطلبون القربة إلى الله ، عزوجل ، بالعمل بما يرضيه ، خوفاً من عقابه وطمعاً فى ثوابه ، وهذا ينطبق على كل من يدعو غير الله فى الوقت الذى يكون المدعو أحوج ما يكون إلى عبادة الله . كما يقال « فاقد الشىء لا يعطيه » ومع ذلك نجد كثيراً ممن انتكست فطرتهم ، يعكف عند ميت فى قبره ، يطلب منه قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، ويزعم انه يعلم الغيب ، ويعطى الولد ، وغير ذلك ، مما لا يقدر عليه إلا الله .

ولا نكاد نجد بلداً من بلاد الإسلام ، إلا وفيه أنماط من هذه الطقوس التى حالت بين الناس ، وبين فهم العقيدة الصحيحة . ومن هنا تبدو الحاجة ملحة إلى بيان تلك العقيدة الصافية ، الخالصة ، التى ترتكز على نصوص الوحيين الكتاب والسنة .

فالإنسان فى كل زمان ، ومكان ، فى حاجة ماسة إلى عقيدة تحدد له غايته ، وتوضح له منهجه الذى يسير عليه لتحقيق هذه الغاية ، ولكنه عندما تنتكس فطرته ، وتطول غفلته ، وينقلب فهمه ، حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن ، عندها تتحول عقيدته إلى حجر يقدسه ،. أو شجر يعظمه ، أو شمس تضىء نهاره ، أو قمر ينير ليله ، أو بحر تتلاطم أمواجه ، أو نار تتلظى ، أو حيوان يهابه ، أو إنسان يكبر فى نفسه ، أو أى مخلوق يرى له فضلا عليه من ملك ، أو جنى ، أو نبى ، أو ولى ، ميت أو حى ، فيتعلق من ذلك كله بما هو أوهى من خيوط بيت العنكبوت .

قال تعالى : ﴿ **مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون** ﴾ .

وقد يكون ذلك منه لمجرد التقليد من غير وعي ، أو تفكير : ﴿ **وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون . أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون . بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** ﴾ .

وقد يكون الانحراف فى العقيدة ، باتباع الهوى الذى ذمه الله فى غير ما آية ، قال تعالى : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون . وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم أن هم إلا يظنون** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى** ﴾ .

وفى هذا العصر الذى ادلهمت فيه الظلمات ، وانقلبت فيه الحقائق ، وتغيرت فيه المفاهيم ، يتساءل الفرد المسلم عن طريق الخلاص ، يتساءل وهو حائر بين هذه الجماعات المتصارعة ، والأحزاب المتناحرة ، والدعوات المتفرقة ذات المناهج المختلفة التى تدعي لنفسها السير على المنهج الصحيح .

وكل يدعي وصلاً لليلى وليلى لا تقر لهم بذاك

وهذه الدعوات لا يخلو أمرها من حالين :

احداهما : الخطأ فى المنهج والسلوك :

كمناهج الطرق الصوفية التى ذكرنا فيما سبق بعض مقالاتهم الالحادية التى لا تَمتُ الى الدين بصلة بل صرفت اتباعها عن الاعتماد على الكتاب والسنة اللذين هما مصدر شريعة الإسلام .

والحال الثانية : الخطأ فى الفكر :

كمثل جماعات الدعوة الاسلامية المعاصرة ، والتى تنطلق فى دعواتها من منطلق حزبى ضيق .

الأمر الذى بعد بهم عن منهج السلف الصالح ، إذ أن هذه الجماعات لم تؤسس بناء دعوتها على توحيد البارى جل وعلا . والعقيدة السلفية الصافية من الشوائب .

فإن من تأثر بتلك الدعوات ان كان من أهل العقيدة أصلاً لا يكون ولاؤه لها ، ولا يكون فكره متفقا معها ، بسبب سيطرة هذه المناهج على أفكاره ، حتى ماتت العقيدة فى نفسه ، فأصبح لا يدعو لها وان كان يعتقدها ، لكنه بعد عنها تحت تأثير المنهج الحزبى ، لأنه يوالى ، ويعادى على ذلك الفكر الضيق ، الذى بنى على غير أسس سليمة ، فلا يكون للعقيدة مكان ولا مجال فى التطبيق العملى ، ولا تعطي ثمراتها الطيبة اليانعة ، فهى لا تفيد معتقدها ، لأنها قد فقدت روحها ، فأصبحت ، بلا روح كالجذوة التى استترت وانغمرت تحت الرماد .

وخطورة هذا الأمر لا تقل خطورة عن الجهل بالعقيدة ، فإن من يعرف العقيدة ولا يدعو إليها ، هو كالجاهل بها سواء بسواء . وهؤلاء إنما أصيبوا بالخرس عن الدعوة الى

العقيدة بدعوى ان ذلك يفرق الأمة ، ويمزق كيانها . لأنهم يريدون ان يجمعوا تحت لوائهم من هب ودب . لا فرق فى ذلك عندهم بين ملتزم بالعقيدة الصحيحة وغيره . إذ ان الهدف الذى يقصدونه هو مجرد الجمع دون تمييز .

وهذا منهج بلا شك سينتهى بأصحابه الى الفشل الذريع ، نظراً لكونه قد بنى على غير أسس سليمة . وذلك ان أصحاب هذا المسلك أتوا من عدم الفهم ، والادراك الصحيح حيث لم يفرقوا فى الدعوة ، بين الأصول ، والفروع ، فتراهم يبدأون بالدعوة الى بعض الفروع ، ويزعمون انه متى أقيم هذا الفرع ، فإنه سوف يوجد الأصل تلقائيا ، ولذا نرى كثيراً منهم يهتمون بالجانب السياسى ، بدعوى انه متى وجدت الدولة التى ينشدونها عند ذلك تصلح العقيدة ، وغيرها ، مما فسد من أحوال المسلمين ، وهذا تصور غير صحيح ، لأن صاحب هذا التصور ذكر شيئاً ، وغابت عنه أشياء .

نعم الإسلام دين ، ودولة ، وعقيدة ، وشريعة ، ولكن يجب أن نأخذه كوحدة متكاملة بحيث ينطلق فى سياسته ، وجميع أموره من العقيدة الاسلامية المستمدة من الكتاب والسنة ، وهما كفيلان ببيان منهج الدعوة الاسلامية . كما فصلنا ذلك فيما تقدم .

لا بمجرد الدعاية والأناشيد الحماسية واهتافات ، والشعارات الجوفاء التى لم يستفد منها المسلمون سوى القضاء على الدعوة وأهلها فى كثير من البلاد ، حيث يهيجون الشباب المسلم ، ويلهبون حماسه ، ويستثيرونه ، إلى أن يثور ، ويتحرك ، فيقع فى أيدى الطغاة الظلمة ، أعداء الإسلام ، والمسلمين ، فيقضون على هؤلاء الشباب ، ويهدرون هذه الطاقة نتيجة لذلك المسلك الخاطىء ، الذى تسلكه تلك الجماعات فى دعوتها . وإذا أردنا ، أن يتحقق للمسلمين ، ما يصبون إليه ، وما يتطلعون إليه ، من العودة بالمسلمين الى الاسلام الصحيح ، فعلينا أن نسلك بهم طريق التعليم ، والتربية ، وتفقيه الشباب المسلم فى دينه ، وتبصيرهم فى ذلك حتى تزول بإذن الله تلك الشوائب التى علقت بالدين ، ودعوته ، وتلك الرواسب التى أكل عليها الدهر ، وشرب ، والتى انحرفت بالمسلمين عن الجادة الصحيحة التى رسمها لهم الله عز وجل ، فى كتابه المبين ، وبينها رسول الهدى ﷺ فى سنته المطهرة ، ولنا أسوة حسنة فى أولئك الدعاة المصلحين الذين أسسوا دعوتهم على عقيدة الإسلام ، وبدأوا بتطهيرها من شوائب الشرك والخرافات .

الأمر الذى تحقق بسببه رفع راية التوحيد ، خفاقة فى ربوع الجزيرة العربية ، بعد ان ران عليها الجهل ، وخيم عليها الظلام ، عدة قرون ، وعاد كثير من الناس الى الشرك ،

والخرافات ، فانقشع ذلك الجهل ، وتحول ذلك الظلام إلى نور ، على يد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، الذى بدأ بتعليم الناس ، العقيدة الصحيحة ، وقامت بفضل هذه العقيدة ، دولة التوحيد ، منذ أن قام الإمام محمد بن سعود رحمه الله ، مؤسس هذه الدولة المباركة بتبني ، هذه الدعوة ، فكتب الله لها بذلك النصر ، والبقاء ، وزالت مظاهر الشرك ، والوثنية فى برهة وجيزة ، وهى لم تكن لتزول ، لو لم تنطلق هذه الدعوة من روح العقيدة .

ولست مبالغاً حينما أذكر هذه الحقيقة ، فإنها حقيقة يسلم بها الأعداء ، فضلا عن الأصدقاء ، والحق ما شهدت به الأعداء .

وخلاصة القول أنه لا صلاح لنا ، ولا فلاح ، ولا نجاح لدعوتنا ، إلا إذا بدأنا بالأهم ، قبل المهم ، وذلك بأن ننطلق فى دعوتنا من عقيدة التوحيد ، نبنى عليها سياستنا ، وأحكامنا ، وأخلاقنا ، وآدابنا ، ننطلق فى كل ذلك من هدى الكتاب ، والسنة ، بلا افراط ، ولا تفريط ، ذلكم هو الصراط المستقيم ، والمنهج القويم ، الذى أمرنا الله تعالى ، بسلوكه ، فقال : ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** ﴾ . وقال رسول الهدى ﷺ : « تركت فيكم أمرين ، لن تضلوا بعدى ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنتي » .

ويقول الإمام مالك بن أنس رحمه الله : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

اللهم إنا نسألك أن ترد المسلمين إلى دينهم رداً جميلا ، ونسألك أن ترينا الحق حقاً ، وترزقنا اتباعه ، والباطل باطلاً ، وترزقنا اجتنابه وأن لا تجعله ملتبساً علينا فنضل . انك ولى ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه واتباعهم باحسان الى يوم الدين .

أثر العقيدة الإسلامية

في تضامن ووحدة الأمة الإسلامية

الدكتور أحمد سعد الغامدي

أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله الأمين وبعـــد :

فإن احســاس الأمـة المسلمـه بحـاجتها إلى اللقاء . . . وإلى التعاون . . . احساس منطقي وواقعي . . . ذلك لانها قد اضرت بها الخلافات . . . وانهكتها النزاعات . . . والتى كانت سبباً لضعفها وضياع حقوقها فى عصر لم يعد يسمع فيه لصوت الضعفاء ولا لأنين الجرحى .

قال تعالى : **﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾** . (الانفال : ٤٦) .

فارتفاع الأصوات المسلمة من هنا وهناك تنادى بضرورة وحدة الأمة واجتماع كلمتها . أصوات صادقة ينبغى أن تتجاوب لها الأقطار الإسلامية لتنقذ نفسها وتحمي حقها .

قال تعالى : **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾** . (آل عمران : ١٠٣) .

ولكنـه لابـد للأمـة المسلمـة ـ وهى تلم شعثهـا وتـوحـد صفوفها ـ لابد لها من ادراك صحيـح للأسبـاب التى كانت وراء هذا الـواقـع وللأسس التى ينبغى عليها والوسائل التى يمكن ان تتحقق بها تلك الأسس . وذلك لئلا تنتقل من واقع منحرف إلى واقع آخر منحرف .

وان المـؤتمـر العـالمى الثانى لتوجيه الدعوة والدعاة . الذى ستعقده الجامعة الإسلامية بالمـدينـة المنـورة فى شهـر ربيـع الأول لهذا العـام ١٤٠٤هـ والـذى سيكون موضوعه «**سبيل الـدعـوة الإسـلاميـة إلى تحقيق التضـامن الإسلامي ووحدة المسلمين**» . لهو استجابة موفقة لمدارسة السبل التى تؤدي إلى وحدة الأمة .

وهـذا بحث موجـز بعنـوان «**أثـر العقيدة الإسلامية فى تضامن المسلمين ووحدة الأمة الإسلامية**» . أحببت أن أشارك به فى هذا المؤتمر راجياً من الله أن ينفع به .

ويتضمن هذا البحث أربعــة أقســام تحت كل قسم منهـا عدة قضـايـا شارحـة له ثم ألحقت بها خاتمة موجزة بينت فيها أهم ما اشتمل عليه هذا البحث .

أقسام البحث :

القسم الأول : واقع الأمة الإسلامية :

أولاً : فى العقيدة .

ثانياً : فى العبادة .

ثالثاً : فى الشريعة .

القسم الثانى : أسباب هذا الواقع :

أولاً : الجهل بدين الله .

ثانياً : تمزيق الاستعمار لبلدان المسلمين .

ثالثاً : الغزو الفكرى .

القسم الثالث : أسس وحدة الأمة الإسلامية :

أولاً : وحدة العقيدة .

ثانياً : وحدة الغاية .

ثالثاً : وحدة القيادة .

رابعاً : وحدة المنهج .

القسم الرابع : وسائل تحقيق أسس الوحدة :

أولاً : التعليم الموجه .

ثانياً : الإعلام الملتزم .

ثالثاً : الاقتصاد المستقل .

رابعاً : ايجاد مراكز علمية .

الخاتمـــة .

وأخـيراً اسأل الله عز وجـل أن يهىء أسبـاب الوحدة الصحيحة وأن يجمع كلمة الأمة على الحق إنه سميع مجيب .

القسم الأول : واقع الأمة الإسلامية :

واقع الأمة الإسلامية واقع مكشوف لا يكاد يجهله أحد . فقد تعرض لأمراض متعددة

وانحرافات متنوعة بحيث لا يكاد يسلم منه شىء . . . لا فى العقيدة . . . ولا فى العبادة : . . ولا فى الشريعة . . . وسنحاول هنا الإشارة إلى ذلك الواقع بشىء من الايجاز :

أولاً : فى العقيدة :

إن أخطر الانحرافات التى تعرضت لها الأمة المسلمة هى الانحرافات فى العقيدة ولا نستطيع هنا استيعابها وتفصيلها ولكننا سنكتفى بالتنبيه على بعضها .

(١) **انحرافات الحادية** : هدف أصحابها استبدال المبادىء الكافرة بعقيدة الإسلام . . . وهم طوائف متعددة : منهم من يعلن عقيدته الالحادية ويظهر كفره بالله ورسله واليوم الآخر ومنهم من يخفى ذلك وراء شعارات ظاهرها الدعوة إلى الإصلاح وباطنها الكفر والالحاد .

(٢) **انحرافات طائفية** : تتمثل فى طوائف مستقلة ـ كالقاديانية والبهائية ونحوها من الطوائف التى خرجت على عقيدة الإسلام بدعوى النبوة لزعمائها ونزول الوحى عليهم وهى تتستر فى كثير من البلدان باسم الإسلام وهى خارجة عليه لمخالفتها لعقيدة ختم النبوة التى هى جزء من عقيدة المسلمين .

(٣) **انحرافات طائفية قديمة** : لازالت قوية ونشطة فى دعواتها رغم انحرافها وفساد معتقداتها ومن تلك الطوائف .

طائفتا الشيعة والصوفية :

فالأولى تقوم على عقيدة تخالف عقيدة الإسلام التى جاء بها رسول الله ﷺ ومن ذلك إسباغ صفات الألوهية على أئمتهم وادعاؤهم أنهم يعلمون الغيب ثم تدعى كذلك أنهم يتلقون الوحى من السماء وفى كلا الأمرين إساءة إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ .

واخيراً فإنها تقع فى أصحاب رسول الله ﷺ وتتهمهم بالخيانة والردة .

وهذاجميعه ينتهى إلى الغاء الإسلام الذى جاء به رسول الله ﷺ .

فالأئمة يعلمون الغيب وإذا أراد الله عز وجل ان يحدث أمراً استشارهم ـ كما فى أصول الكافى لهم ـ وهذا اساءة إلى الله .

والأئمة يوحى إليهم مع العلم أن رسول الله ﷺ قد أخبر بانقطاع الوحى . . . وهذا يصادم خبره . . .

والصحابة خانوا في دين الله . . . فالإسلام الذى نقلوه غير موثوق فيه . . . وبهذا فالإسلام غير موثوق به . . .

إذن فليعد الناس إلى المجوسية الفارسية . . . وهذا هو المطلوب للحركة الشيعية .

وأما الصوفية فقد ابتدعت تقديس الأفراد ودعوى رفع التكاليف عن بعض الناس كما أعادت إلى الأذهان تلك الطقوس الكنسية التى أفسدت الدين النصرانى حيث اتخذت من البشر وسائط عند الله بها تقضى الحاجات وتغفر الزلات إلى عشرات أخرى من الانحرافات .

كما أنها تدعى الاستقلال فى معرفة الشريعة إذ أن الأولياء يأخذون حاجتهم من اللوح المحفوظ مباشرة وهذا كلام يخرج صاحبه من الإسلام .

وقد كان التصوف من الأسباب المباشرة بظهور الشرك فى الأمة بتقديس الأموات وطلب حاجاتهم منهم باتخاذ قبورهم مزارات وأماكن للعبادة وزاحم تعظيم الأموات توحيد الله عز وجل فى القلوب . فكثرت الأضرحة وتعددت الفرق والأحزاب لكل حزب ضريح به يستغيثون وعنده ينيخون وإليه عند نزول الحوادث يلجأون .

انحرافات فى الجانب النظرى : «العلمى» من العقيدة وهو ما يتعلق بأسماء الله وصفاته وأفعاله فقد وجدت الاتجاهات المنحرفة التى تتنكر لهذا الجانب أو لبعضه فأولت الآيات القرآنية والأحاديث المتواتره وردت الأحاديث الأخرى والتى تعرف الناس بربهم عز وجل وأنه عليم حكيم سميع بصير يقول ما يريد ويفعل ما يشاء يأمر وينهى وأنه استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله وعظمته .

فكان من ثمرات ذلك الرد والتأويل أنها حالت بين الناس ومعرفة ربهم فانتهى بهم هذا إلى الالحاد والتعطيل .

وقد أتى القوم من ضلال عقولهم القاصرة وظنهم أن اثبات تلك الصفات الواردة فى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ يقتضى التشبيه بالمخلوق .

وهذا إساءة إلى الله ورسوله حيث أن فى هذا الكلام اتهام لله ورسوله بالعجز عن البيان . . . لأنهم لم يفهموا من تلك الآيات والأحاديث إلا التشبيه . . . والله عز وجل يقول : ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ . وقد فروا من تشبيه إلى تشبيه .

فإنكار كلام الله عز وجل لئلا يشبه الإنسان المتكلم ـ كما زعموا ـ تشبيه لله عز وجل

بالجهاد فلم يسلموا من التشبيه على مذهبهم .

ولكن الاعتقاد الصحيح اثبات ما أثبته الله عز وجل واثبته رسوله ﷺ على ما يليق بجلاله .

ثانيا : فى العبادة :

لم تسلم العبادات - كذلك - من الشوائب حيث تعرضت لأنواع متعددة من الانحرافات والبدع نورد طرفاً منها .

(١) **الغلو المفرط فى أدائها** والذى كان يمثله فيما سبق طائفتا الخوارج والصوفية حيث كان لكل منهما غلو مفرط فى جانب أوْ جوانب من الإسلام .

فالخوارج كانوا يصومون النهار ويقومون الليل حتى أصبحت أجسادهم شاحبة نحيلة من طول القيام وشدة الجوع والعطش .

والصوفية بالغوا فى الذكر والزهد حتى كان أحدهم يعيش على الصدقات والهبات ويخلو بنفسه فى الزوايا المظلمة ليصل بزعمه إلى درجة اليقين فتسقط عنه التكاليف .

(٢) **الاهمال المطلق للعبادات** والاكتفاء بلفظ الشهادتين وهذا الانحراف كان من ثمرات الإرجاء الذى لا يعطى للعمل اهتماماً إذ أن الإيمان يثبت عند المرجئة بالقول فقط أو به وبالاعتقاد فقط .

وقد أصبح فى الآونة الأخيره ترك العبادات ظاهرة بارزة فى أغلب المجتمعات الإسلامية ولاشك أن هذا لا يتفق مع أصول الدين .

(٣) **عدم التزام كثير من المسلمين بالأداء الصحيح للعبادات** فهو يؤديها بصورة ناقصة أو محرفة وهو لا يشعر بذلك وقد يظن أنه يؤديها بالصورة الصحيحة فكان من نتائج ذلك حرمانهم من لذة العبادة وثمراتها .

ثالثاً : فى الشريعة :

لم تقتصر الانحرافات على الجانبين السابقين بل شملت - كذلك - الشريعة حيث تعرضت فى الآونة الأخيرة التى تمزقت فيها الأمة وتحطمت فيها الخلافة الإسلامية - تعرضت إلى انحراف وفساد بل إلى حرب وعداء فى كثير من البلدان الإسلامية نذكر طرفاً من ذلك :

(١) **محاربـة الشـريعـة واستبـدال القـوانـين الـوضعيـه** بها وذلـك من آثار الاستعمار العسكرى والفكرى الذى مزق الأمة وأفسد عقليتها بحضارته وصناعته وكفره وجحوده . . . توجد فى المسلمين من يتحمس لتلك القوانين ويتبنى ذلك الكفر والضلال . هذا إلى جانب ما خلفه الاستعمار فى بلدان المسلمين من أنظمة كافرة لازالت تسيطر على كثير منها إلى اليوم بعد أن كانت تحكمها الشريعة الإسلامية .

(٢) **محاولـة التـوفيق بين الشـريعه الإسلامية والأنظمة** الوضعية فيؤخذ من الشريعة الإسلامية ما يتعلق بالأمور الشخصية وبعض الجوانب الأخرى ثم تكمل من القوانين لوضعية .

وهذا وإن كان أصحابه أخف من المتقدمين ولكنه كذلك طعن فى الشريعة الإسلامية واعتقاد نقصها وحاجتها إلى أنظمة أخرى مشاركة .

هذا عرض مجمـل لواقـع المسلمـين الذي قد أصيب فى كل من جوانبه مما كان له أسوأ الأثـر على وحـدة الأمـة واجتـماع كلمتهـا . . . فقد أصيبت فى عقائدها . . . وعباداتها . . . وشريعتها . . . وما لم يصحح هذا الواقع على ضوء الكتاب والسنة فلن تقوم للأمة قائمة ولن تجتمع لها كلمة . . .

القسم الثانى : أسباب هذا الواقع :

لقد كانت هناك أسباب متعددة وراء ذلك الواقع نذكر طرفاً منها ـ أو أهمهـا ـ وهى :

أولا : جهل الأمة بدينهـا :

إذ لولا الجهل بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ لما وجدت تلك الضلالات طريقاً إلى المسلمـين لا فى عقيـدتهم ولا فى عبـادتهم ولا فى شريعتهم فقـد قال النبى عليـه الصلاة والسلام : «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله» [١] . فلو لم تصاب الأمة بداء الجهل بهما لما وصلت إلى حيث ما وصلت إليه .

ونحن نلمس أصابع الغزو الاستعماري فى مناهج التعليم فى كثير من بلدان المسلمين والتى قد خلت أو قلصت منها المواد الدينية حتى أن المتخرج من تلك المدارس لا يكاد يحسن

---

(١) رواه مالك فى الموطأ فى القدر رقم (٣) باب النهى عن القول بالقدر. والحاكم : (١ : ٩٣) عن ابن عباس وعن أبى هريرة .

فهم دينه . . . بل لا يفهم من دينه إلا أنه مجموعة من العبادات المحدده فقط .

وهذا الجهل هو الذى يمهد الطريق لكل وارد غريب يتسلل إلى البلدان الإسلامية .

ثانياً : تمزيق الاستعمار لبلدان المسلمين :

كانت الأمة الإسلامية أمة واحدة تستظل براية واحدة وتخضع لقيادة واحدة فكانت ذات شوكة ومنعة ثم لم تلبث أن سرت فيها أمراض فتاكه خلخلت بناءها وأفسدت أبناءها فضعفت قوتها وذلت عزتها فسهل على أعدائها القضاء عليها وتمزيقها إلى دويلات وامارات واستولت على كثير منها فترات طويلة ثم خرجت منها مخلفة وراءها آثارها الاستعمارية التى لا تزال إلى اليوم .

وقد ركز الاستعمار أثناء وجوده على إحياء القوميات الجاهلية التى كانت عليها قبل الإسلام فاستجاب لها بعض المسلمين فحملوا لواءها ودعوا إليها فكان من ثمار ذلك تعميق الاختلاف واضعاف الروابط بين أفراد الأمة .

ثالثاً : الغزو الفكرى المنظم :

هناك عدة جبهات اشتركت فى غزو البلذان الإسلامية أهمها ثلاث جبهات :

أولاها : الصليبيه الحاقدة والتى قد دخلت البلاد الإسلامية مستعمرة مخربة وبقيت فيها فترة طويلة تحارب الإسلام بشتى الوسائل وتبشر بالنصرانية ثم رحلت مخلفة وراءها بقايا الفساد بعد أن ربت جيلاً يرعى ذلك الفساد وينشره ولا زالت جيوش الغزو الصليبي **تعيث** فى الأرض فساداً .

والجبهة الثانية : هى «اليهودية» الآثمة التى يتمثل دورها فى تصنيع المذاهب المنحرفة والافكار المضلة وتصديرها إلى بلدان المسلمين .

والجبهة الثالثة : هى « الشيوعية الملحدة» والتى هى من ثمرات اليهودية وقد أصبح لها كيان ودولة وهى تنشر أفكارها والحادها بشتى الوسائل إبتداءً بالدعوة السلمية وانتهاءً بقوة الحديد والنار .

وقد أصبح لها فى بلاد المسلمين أتباع وأنصار يفرقون الأمة ويمزقون وحدتها .

فهذه الجبهات الثلاث قد اشتركت فى غزو المسلمين ومحاربة دينهم وتمزيق صفوفهم

فانقسمت الأمة الإسلامية وتعدد ولاؤها بحسب الجبهة التى تقودها وتسير على خطاها ولا يكد يسلم من الأمة أحداً إلا من رحم ربك وقليل ماهم .

القسم الثالث : أسس الوحدة الإسلامية :

إن الأمة الإسلامية تملك أسساً مشتركة تستطيع بها أن تجمع شتاتها وتوحد كلمتها . . . فهى أمة واحدة . . . ذات دين واحد . . . وكتاب واحد . . . ورسول واحد . . . هذه هى الأصول الثابتة التى تشترك فيها الأمة . فإذا ما أدركتها جيداً والتزمت بمقتضياتها فإن ذلك يجعل منهم أمة واحدة تلتقى على :

وحدة الغاية .

وحدة العقيدة .

وحدة القيادة .

وحدة المنهج .

فهذه الأسس التى تجتمع عليها الأمة وتكون عليها الوحدة الإسلامية الشاملة . . . وأي خلل أو نقص فيها فإن ذلك يؤدى إلى استمرار الواقع المؤلم . . . واقع التفرق والتمزق . وفيما يلى نبين بإيجاز تلك الأسس .

أولاً : وحدة الغاية :

إن لهذا الإنسان الذى يعيش على ظهر هذه الأرض «غاية» يؤديها فى وجوده فإذا عرفها وتمثلها فى حياته فإنه يسعد فى الدنيا والآخرة وإذا جهلها وأعرض عنها فإنه يشقى فى الدنيا والآخرة .

هذه الغاية هى «العبادة» لله عز وجل والقيام بدور الخلافة الصحيح فى الأرض كما قال تعالى : ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ . (الذاريات : ٥٦) . فهذه هى الغاية .

والمسلمون ولله الحمد قد أدركوا هذه الغاية التى حرمها كثير من الشعوب فضلوا وشقوا وذلك ظاهر لكل متأمل فى أحوالهم وشئونهم وإن ملكوا وسائل الانتاج واكتشفوا كثيراً من قوانين المادة فإن ذلك لم يخفف من وطأة الشقاء النفسى لتلك المجتمعات .

ولكن المسلمين رغم إدراكهم لهذه الحقيقه فإنهم قد فرطوا فيها وأعرضوا عن تحقيقها فكان ذلك سبباً فى شقائهم وضعفهم وتسلط عدوهم عليهم .

فلابد من العودة الصادقة إلى تحقيق هذه الغاية والالتزام بمقتضياتها لنحقق لأنفسنا السعادة فى الدنيا والآخرة .

وتحقيق هذه الغاية « العبودية لله عز وجل» سيكون سبباً من أسباب الوحدة للأمة فإنه إذا توحدت غايات الشعوب المسلمة وغايات القيادات المسلمة فإنه ولاشك ستتحد الآمال والأهداف التى تجمع الأمة .

ولكنه إذا تعددت الغايات وكان لكل بلد من البلدان الإسلامية غاية أو غايات أخرى كلها من صنع البشر. . . فارتبطت بشهواتها وأطماعها العاجلة فإن ذلك لا يقطعها عن العالم الإسلامى فحسب بل يقطع صلتها بالله عز وجل وانتسابها إلى الإسلام . . . لأن الإسلام يحدد للإنسان غايته فى هذه الحياة فإن التزمها الإنسان فى حياته صحت نسبته إلى الإسلام وان أعرض عنها فقد قطع صلته بهذا الدين .

ولو لم تضعف هذه الحقيقة فى نفوس المسلمين لما حدثت الانقسامات بينهم ولما استطاع أعداء الإسلام أن يجدوا رواجاً لأفكارهم الضالة فى بلدان المسلمين لأن الإسلام نور وغيره ظلام ومن كان فى النور فإنه لا يرضى بالظلام بديلا قال تعالى : ﴿**أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور**﴾ .

ثانيا : وحدة العقيدة :

لقد تعرضت العقيدة الإسلامية فى كثير من البلدان الإسلامية وعلى مدار التاريخ إلى انحرافات خطيرة وتصورات خاطئة شوهت جمال العقيدة وأوجدت فى الأمة الواحدة مذاهب متعددة وطوائف متفرقة لكل منها أتباع وأنصار. . . وما ذلك إلا لانتشار الجهل فى صفوفهم .

لهذا فإنه لابد من إعادة النظر فى ذلك الانحراف وتصحيحه بما يوافق الكتاب والسنة وتجريد العقيدة من الآراء البشرية التى لحقت بها ليتيسر للأمة الاجتماع واللقاء .

فإن العقيدة هى الأساس الذى يرتفع عليه بناء الدين فإذا قوى الأساس وخلص من الانحراف سهل على الأمة تصحيح بقية الانحرافات الأخرى وأمكن لها الاجتماع واللقاء. . . وإلا فلا اجتماع ولا لقاء .

فالله عز وجل هو رب العالمين ومدبر الكون ومالكه وما عداه مخلوق مربوب محتاج فقير .

والله هو وحده المستحق للعبادة لا رب غيره ولا إله، وغيره عبد ذليل .

ولله عز وجل الأسماء الحسنى والصفات العليا لا نحرف ولا نعطل ولا نشبه ولا نمثل ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ . ولا ننسى بقية اركان الإيمان من الإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

هذا مجمل عقائد الإسلام فإذا ما رسخت هذه الحقيقة فى نفوس الأمة وأصبحت واضحة فى القلوب بلا غش ولا خفاء أمكن للأمة أن تلتقى وتتحد . . . إذ صفاء الاعتقاد وسلامته من الآراء الدخيلة عليه يعنى إزالة الحواجز التى قامت بين الأمة وفرقتها إلى شيع وأحزاب .

ثالثاً : وحدة القيادة :

لقد شاء الله عز وجل أن يكون الإسلام آخر الرسالات السماوية إلى الأرض . . . وأن يكون محمد ﷺ آخر الرسل فيه أكمل الله الدين وبه ختم المرسلين فلا دين بعد دينه ولا نبى بعده .

فالإسلام هو الدين الذى رضيه الله لنا ديناً نتعبده به ونلتزم بشريعته .

والرسول محمد ﷺ هو القائد الذى يجب أن نسير خلفه ونقتفى أثره .

وكل قيادة أخرى تحاول أن تلغى هذه القيادة أو تقلل منها فإنها قيادة خارجة عن الإسلام محاربة له . . . بل كل قيادة تتمرد هى فى ذات نفسها عن هذه القيادة أو تنحرف عن متابعتها فهى قيادة منحرفة .

هذه حقيقه ينبغى أن تتضح فى أذهان المسلمين إذ بقدر وضوحها والتزامهم بها بقدر ما يتيسر للأمة الاجتماع والاتحاد . . . وبقدر جهلها أو تجاهلها بقدر ما تبتعد الشقة ويتعذر اللقاء .

فإن إدراك الأمة لهذه الحقيقة يعنى «توحيد القيادة» فالجميع يلتقون على قيادة واحدة بها يتأسون وعلى خطاها يسيرون فمنها يتلقون التوجيهات ومنها يعرفون الأحكام والعبادات . . . فالحلال ما أخبر بحله والحرام ما نهى عنه . . . والخير ما دل عليه . . . والشر ما حذر منه ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ .

فليس هناك قيادة أخرى لها هذا الحق ولا بعضه وإنما تأتى لها الحقوق بمقدار متابعتها لهذه القيادة .

رابعاً : وحدة المنهج :

من الأسباب الرئيسة لتمزيق الأمة الإسلامية تعدد المناهج التى تتبعها فى مجتمعاتها . . . تلك المناهج التى لا صلة لها بها ولا علاقه لها بدينها . . . بل هى مضادة لدينها محاربة لعقيدتها . . . فكان من نتائج ذلك أن اختلفت الأمة وتعددت مناهجها . . . فوقعت الفجوة بين المناهج والواقع . . . وبين القيادات والشعوب . . . بل بين القيادات نفسها . . . فانعكست تلك الخلافات على الأمة الإسلامية .

وما لم يتحد المنهج للأمة الإسلامية فيكون منهجها واحداً كما يقتضيه دينها فإن كل محاولة لوحدة الأمة أو لجمع شتاتها فإنها محاولة خاسرة .

وهذا المنهج الذى يجب اتباعه ليس له إلا مصدر واحد وهو الله سبحانه وتعالى فهو الذى يضعه لخلقه ويحدده والبشر عبيده وخلقه لا يجوز لهم أن يختاروا أو يرفضوا وإلا فإن ذلك يعرضهم لمقته وسخطه : ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾ .

هذا هو حال المسلم مع شريعة ربه ومنهاجه ، فإذا اتضحت هذه الحقيقه فى أذهان المسلمين تمثلوها فى واقعهم فإنه يتيسر لهم اللقاء والاتحاد .

القسم الرابع : وسائل تحقيق الوحدة :

عرضنا فى المبحث السابق الأسس التى لابد منها لتوحيد الأمة الإسلامية وهى وان كانت شرطاً فى تحقيق إيمان المسلم فلا يكون مسلماً بدونها . . . فإنها شرط فى تحقيق وحدة الأمة واجتماع كلمتها .

ولكن هذه الأسس ـ كما رأينا من قبل ـ قد تعرضت للفساد والانحراف واختفت أو تشوهت فى كثير من المجتمعات الإسلامية فكان لابد من إظهار ما اختفى منها وتصحيح ما تشوه .

وهذا أمر يحتاج إلى وسائل متعددة للقيام بذلك الدور ورعايته فى المجتمعات الإسلامية . ومن تلك الوسائل مايأتى :

التعليم الموجه :

فإن المؤسسات التعليمية من أهم الوسائل الموجهة فى المجتمع . . . وكثيراً ما ينعكس أثرها على المجتمع . . . سواء كان ذلك الأثر خيراً أم شراً .

والمدرسة هى منهج ومعلم . . . فإذا صلحا صلحت الأجيال وإذا فسدا فسدت الأجيال - إذا شاء الله ذلك .

لذا فإنه لابد من إعادة صياغة المناهج فى مدارس المسلمين وجامعاتهم بحيث يراعى فى وضعها تلك الأسس التى تمثل قاعدة الوحدة الإسلامية فتشتمل المناهج على بيان العقيدة والغاية والقيادة والمنهج وتعمق هذه المعانى فى نفوس أبناء الأمة ويبين لهم أن هذه أسس الإيمان التى يكون بها الإنسان مسلماً . . . ويكون بها المجتمع جزءً من الأمة الإسلامية .

وبهذا تتهيأ للمسلمين أسباب الاجتماع والاتحاد .

وإلى جانب هذا البناء الإيمانى للفرد المسلم يبين كذلك فساد المذاهب البشرية التى تسود كثيراً من المجتمعات البشرية اليوم وأنها مذاهب ضالة باطلة لا حق لها فى الوجود ولا فى البقاء .

كما يبين كذلك انتهاء دور الديانات السماوية الأخرى التى كانت قبل الإسلام وأنها قد نسخت بالإسلام كما أنها قد تعرضت للفساد والتحريف . . . فهى لا تمثل الدين الذى أنزله الله عز وجل .

وهذا البيان هو بمثابة الصيانة والحماية لتلك الأسس الإسلامية .

ثانيا : الإعلام الملتزم :

لقد أصبح للإعلام فى العصر الحاضر - بكل وسائله المسموعة والمرئية والمقروءة - دور خطير فى الحياة الإنسانية . . . فهو يقتحم كل بيت ويصل إلى كل إنسان .

ووسائل الإعلام اليوم فى كثير من البلدان الإسلامية غير ملتزمة بالمنهج الإسلامى الذى يبث الخير وينشر الفضيلة ويحذر من الشر والأخلاق الرذيلة . . . بل إن بعض تلك الوسائل تحارب الإسلام وتسىء إلى أهله بما تنشره من البرامج السيئة والحلقات المنحرفة . . . وهذا كله مضاد لدين الأمة ومفرقة لجمعها وهادم لأسس الوحدة التى تقوم عليها .

ولن يكون هناك لقاء أو اتحاد واعلام المسلمين أو بعضه بهذه الصورة .

فلابد إذن من إعادة البناء الإعلامى بناءً صحيحاً بحيث يكون قادراً على توجيه الأمة وتعميق العقيدة فى نفوسها وتذكيرها بخاصيتها فى هذه الحياة والنهج الذى اختاره الله عز

وجل لها كما تبين إلى جانب ذلك وحدة القيادة للأمة الإسلامية وأنه لم يعد هناك مجال لظهور قيادات أخرى تنازع القيادة المحمدية أو تزاحمها .

فإذا استطاع الإعلام فى البلدان الإسلامية أن يثبت هذه القضايا الأساسية فى نفوس الأمة فإنه عندئذ يكون قد أدى دوره الصحيح فى المجتمع وساهم فى وحدة الأمة . . . وإلا فلا وحدة ولا اجتماع .

ويتحقق ذلك بالاختيار الأمين للعاملين بالإعلام فتختار الكفاءات المؤمنة التى تدرك أهداف الأمة وغايتها .

ثالثاً : الاقتصاد المستقل :

إن التشابك المعقد فى العلاقات الدولية ـ اليوم ـ واختلاف الأنظمة الاقتصادية فى العالم والذى انعكس أثره على أكثر المجتمعات الإسلامية فتعددت فيها الأنظمة الاقتصادية تبعاً للاتجاه الذى يغلب على كل بلد ـ كان له آثاره السلبية على وحدة الأمة الإسلامية .

ومحاولة عودة الأمة إلى دينها يلزم منه التحرر من تلك الأنظمة الدخيلة على المجتمعات الإسلامية بالعودة إلى النظام الإقتصادى الإسلامى الذى هو جزء من ذلك المنهج الشامل الكامل الذى هو جزء من دين الأمة لا يتم بل لا يوجد بدونه والذى هو أحد الأسس التى تلتقى عليها الأمة .

ولابد من إيجاد اقتصاد إسلامى مستقل ليس مرتبطاً بأى نظام آخر لئلا يبقى بين الأمة فجوات تحول دون وحدتهم .

ويتم ذلك بإيجاد أسواق مشتركة وعملة موحدة وهيئة اقتصادية مشتركة تشرف على ذلك الاقتصاد الإسلامى المستقل .

وبهذا تستقل عن التبعية الاقتصادية الضارة وتقيم لها وحدة اقتصادية قوية على أسس إسلامية . . .

والاقتصاد فى الحقيقة هو ضمن المنهج الإسلامى الذى يعتبر أحد الأسس للوحدة الإسلامية . . . والذى أريده هنا هو التعاون العام وتوحيد الأسواق والعملات الذى يعطى للأمة شخصيتها المستقلة ويمهد السبيل للوحدة واللقاء .

رابعاً : إيجاد مراكز علمية :

لما كانت هذه الوسائل المتقدم ذكرها لابد لها من إعداد وتخطيط بحيث تظهر بالصورة الصحيحة كان لابد من مراكز علمية مختلفة تكون مهمتها التخطيط الدقيق لتلك الجوانب إلى جوانب أخرى تتعلق بحياة الأمة .

فتلك المراكز متعددة الأغراض تمثل الهيئة الاستشارية والمخططة لتوحيد الأمة وتكاملها ونموها فى جميع الجوانب بحيث تتحد الأمة فى كل المظاهر إلى جانب اتحادها فى القواعد .

الخاتمة :

فى نهاية هذا البحث الموجز نذكر أهم القضايا التى اشتمل عليها هذا البحث وهى :

إن واقع الأمة واقع مؤلم قد تخلله الفساد وسرى فيه الانحراف .

وأن هذا الواقع المنحرف لا يمكن معه اللقاء والاتحاد .

وأن وحدة الأمة لا تتم إلا بتصحيح هذا الواقع على ضوء الكتاب والسنة .

والله وحده عز وجل هو المسؤول أن يصلح الأمة الإسلامية وأن يجمع كلمتها على الحق إنه سميع مجيب . . .

ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

«ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» .

(رواه مسلم)

العِبَادَاتُ فى الإسْلام وَأثرُهَا فى :
تَضَامُن المسْلِمين

للدكتور علي عبد اللطيف منصور
أستاذ مشارك بكلية الدعوة وأصول الدين

العبادة فى اللغة :

أصل العبادة فى اللغة : التذليل من قولهم طريق معبد أى بكثرة الوطء عليه ، ومنه أخذ العبد لذله لمولاه .

« والعبادة والخضوع والتذلل والاستكانة قرائب فى المعانى يقال تعبد فلان لفلان ، أى تذلل له .

وكل خضوع ليس فوقه خضوع : فهو عبادة ، طاعة كان للمعبود أوغير طاعة وكل طاعة لله على وجه الخضوع والتذلل فهى عبادة .

والعبادة : نوع من الخضوع لا يستحقه إلا المنعم بأعلى أجناس النعم كالحياة والفهم والسمع والبصر »[1] .

والعبدية ، والعبودية ، والعبودة ، والعبادة : الطاعة .

والاعتباد ، والاستعباد : التعبيد .

وتعبد أستنسك ، وتعبد فلانا : اتخذه عبدا[2] .

العبد : الانسان حرا كان أورقيقا ، يذهب بذلك الىٰ أنه مربوب لباريه عز وجل .

والعبد المملوك خلاف الحر . قال سيبويه : هو فى الأصل صفة . قالوا : رجل عبد ، ولكنه استعمل استعمال الأسماء والجمع أعبد وعبيد . مثل أكلب وكليب . وهو جمع عزيز وعباد وعبد ، مثل : سقف وسقاف وسقف .

وأنشد الأخفش :

---

(١) المخصص لابن سيدة : ١٣/٩٦ .
(٢) القاموس المحيط : ١/٣١١ .

انسب العبد إلى آبائه أسود الجلدة من قوم عبد

وقال الليث : فى قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد ﴾ أى نطيع الطاعة التى يخضع معها ، وقيل إياك نوحد .

قال : ومعنى العبادة فى اللغة : الطاعة مع الخضوع . ومنه طريق معبد . إذا كان مذللا بكثرة الوطء . وقوله تعالى : ﴿ وقومهما لنا عابدون ﴾ أى دائنون وكل من دان لملك فهو عابد له .

قال ابن الأنبارى : فلان عابد ، وهو الخاضع لربه المنقاد لأمره .

وقوله تعالى : ﴿ اعبدوا ربكم ﴾ أى أطيعوا ربكم .

والمتعبد : المنفرد بالعبادة .

والمعبد : المكرم المعظم . كأنه يعبد . قال :

تقول : ألا تمسك عليك فأننى أرى المال عند الباخلين معبدا

والتعبيد : التذليل . وبعير معبد : مذلل . وطريق معبد : مسلوك مذلل[1] .

والمتأمل فى هذه النقول التى أوردتها عن فقهاء اللغة يجد أن المعانى التى ذكروها بيانا لهذه الكلمة ، أعنى العبادة لا تتجاوز هذه المعانى :

الخضوع ، الطاعة ، التذلل ، التنسك .

العبادة فى الشرع :

عبارة عما يجمع كمال الخضوع والمحبة ، والخشية لله تعالى .

يقول ابن تيمية رحمه الله (والعبادة : أصل معناها الذل . يقال طريق معبد ، إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام . لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ، ومعنى الحب فهى تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له ، فإن آخر مراتب الحب : هو التتيم ، وأوله : العلاقة لتعلق القلب بالمحبوب ، ثم الصبابة لانصباب القلب إليه ، ثم الغرام : وهو الحب الملازم للقلب ، ثم العشق ، وآخرها التتيم .

يقال : تيم الله . أى عبد الله ، فالمتيم : المعبد المحبوب ، ومن خضع لانسان مع بغضه له لا يكون عابدا له . ولو أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا له . كما قد يحب الرجل ولده وصديقه .

---

(١) لسان العرب لابن منظور: ٤/ ٢٦٤ .

ولهذا لا يكفى أحدهما فى عبادة الله ، بل يجب أن يكون الله أحب الى العبد من كل شىء ، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شىء بل لا يستحق المحبة ، والخضوع التام إلا الله تعالى .

وكل ما أحب لغير الله فمحبته فاسدة ، وما عظم بغير تعظيم أمر الله فتعظيمه باطل ، قال الله تعالى : ﴿ **قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم ، وإخوانكم ، وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله ، وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين** ﴾ [التوبة : ٢٤] .

فجنس المحبة تكون لله ولرسوله ، كالطاعة ، فان الطاعة لله ولرسوله ولارضاء الله ورسوله ﴿ **والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين** ﴾ [التوبة : ٦٢] .

والايتاء لله ولرسوله ﴿ **ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون** ﴾ [التوبة : ٥٩](1) .

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى : (العبادة : تجمع أصلين : غاية الحب بغاية الذل والخضوع ، والعرب تقول : طريق معبد ، أى مذلل والتعبد : التذلل والخضوع ، فمن أحببته ، ولم تكن خاضعا له لم تكن عابدا له ، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدا له ، حتى تكون محبا خاضعا)(2) .

ويقول ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ (والعبادة فى اللغة : من الذلة . يقال طريق معبد أى : مذلل ، وفى الشرع : عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع ، والخوف ، وقدم المفعول ، وهو أياك وكرره للاهتمام والحصر ، أى لا نعبد إلاَّ إياك ، ولا نتوكل إلا عليك ، وهذا هو كمال الطاعة ، والدين يرجع إلى هذين المعنيين .

وهذا كما قال بعض السلف : الفاتحة سر القرآن ، وسرها هذه الكلمة ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فالأول : تبرؤ من الشرك ، والثانى : تبرؤ من الحول والقوة . والتفويض الى الله عز وجل ، وهذا المعنى فى غير ما موضع من القرآن الكريم كما قال تعالى ﴿ **فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون** ﴾ [هود : ٢٣] ﴿ **قل هو الرحمن آمنا به وعليه**

---

(١) العبودية لابن تيمية : ٤٤-٥٥ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم : ١/ ٢٤ .

توكلنا ﴾ [الملك : ٣٩] ﴿ رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا ﴾ [المزمل : ٩] وكذلك هذه الآية الكريمة ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٤][1] .

ومن هنا نستطيع أن ندرك أن العبادة التى قصد إليها الشارع ، والتى تعلى الانسان وتشرفه ، وترفع من قدره ومكانته ، وتجعله يحس بأنسانيته وكرامته ، هى تلك التى تجمع بين الخضوع لله تعالى ، والمحبة له ، والخشية منه .

وكلما اكتملت هذه المعانى فى عبد كان أقرب الى ربه ، وأكرم عليه من غيره ، وأحق بالأمانة فى الدين ، وقيادة المتقين ، والحديث عن رب العالمين .

وأساس الخضوع لله تعالى هو : الإحساس الصادق بهيبته وعظمته ، وسلطانه وقدرته ، وأنه المعطى المانع ، الضار النافع ، المحى المميت ، الخافض الرافع ، المعز لمذل ، السميع البصير ، الغنى عن كل ما سواه ، والمحتاج اليه جميع ما عداه .

والانسان يكون فى قمة التواضع ، إذا سجد لخالقه ومولاه ، وقام بحق مَنْ خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره ، وهو فى ذلك يكون فى أسمى حالات القرب ، وأرجى أسباب القبول . يقول رسول الله ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء »[2] .

وفى معناه قول الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ فاسجد واقترب ﴾ [العلق : ١٩] وفى السجود : كمال الخضوع والانقياد لمن بيده ملكوت كل شيء ، وهو الله رب العالمين وكمال الخضوع انما يتم اذا استجاب العبد لربه ، وآثره على ما سواه ، وقدم شريعته على كل الشرائع ، وأمره على كل الأمور ، وعرف معرفة الشاكرين عظيم حقه عليه ، ورحمته به ، وجميل إحسانه اليه .

والانسان الذى يحس بعظيم فضل ربه عليه وإحسانه الدائم ، وعفوه وستره . ورحمته ومغفرته ، فانه يحب ربه أعظم الحب ، ويتفانى فى ارضائه أشد التفانى ومعنى حبه لله ، أن يحب ما أحبه الله ، ويبغض ما أبغضه الله ، مسارعا إلى مرضاته ، فارا من سخطه الى رضاه ومن معصيته الى طاعته ، ومنه إليه .

والله سبحانه يحب من عباده صادق الايمان به وكامل الاخلاص له ، وعظيم التوكل

(١) تفسير ابن كثير : جـ١ ص٢٥ .

(٢) رواه أحمد ومسلم .

عليه ، وجميل الثقة بوعده ثم هو يحب المتقين ، ويحب المحسنين ، ويحب الصابرين فهو يحب من الأعمال والناس ما أحبه الله . فيبادله الله تعالى حبا بحب ، وودا بود ، قال تعالى : ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ [مريم : ٩٦]. والذين عرفوا ربهم وأحبوه ، أحبوا رسوله محمدا ﷺ الذى عرفهم به ، ودلهم عليه ، بل لا يتم الإيمان حتى يكون الرسول ﷺ أحب الى الانسان من نفسه التى بين جنبيه يقول عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده ، والناس أجمعين »[1] .

ومحبة الله ورسوله هى : غاية الغايات ، ونهاية النهايات ومطلب الأخيار الأبرار ، اذ هى لذة القلب نعيمه وراحته ورحمته ، وجماله وأنسه وما من خلق قبل المحبة إلا هو طريقها ودليلها ، والموصل إليها كالتوبة والصبر ، إن محبة الله ورسوله إذا حلت فى القلب آثرت المحبوب على كل ما عداه ، وقدمته على جميع مَنْ سواه ، وكل محبة بعد ذلك فهى تابعة كمحبة المؤمن لأخيه المؤمن ، وإيثاره على نفسه ، وتنفيس كربته وستر عورته .

وأما الخوف الذى أضافه ابن كثير إلى تعريف العبادة فهو يعطى أن عباد الله الذين عرفوا ربهم ، وخضعوا له واستجابوا لأمره ، وأثمرت لهم هذه المعرفة حبا وشوقا ، يخشون ربهم ، ويخافونه ، وهم دائما بين خوف ورجاء ، وقد امتدح الله عباده ، الذين يخشونه ويخافون حسابه ، قال تعالى : ﴿ إنَّ الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ، والذين هم بربهم لا يشركون ، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ، أنهم الى ربهم راجعون ، أولئك يسارعون الى الخيرات وهم لها سابقون ﴾ [المؤمنون : ٥٧-٦١] .

وكلما قويت معرفة العبد بربه ، كلما اشتدت خشيته منه وتعظيمه له يقول عليه الصلاة والسلام : « من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إنَّ سلعة الله غالية ، ألا إنَّ سلعة الله الجنة »[2]. وأدلج : سار من أول الليل . والمعنى : التشمير فى الطاعة .

والعبادة بعناصرها المتقدمة لا تكون صحيحة ومقبولة إلا إذا وقعت على الوجه المشروع ، وقصد بها صاحبها وجه الله وحده ، قال تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

وقال سبحانه : ﴿ **بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ [البقرة: ١١٢].

ويقول عليه الصلاة والسلام : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر اليه »[1].

ويقول ابن الجوزي رحمه الله : (واعلم أن الطريق الموصلة إلى الحق سبحانه ، ليست مما يقطع بالأقدام ، وانما يقطع بالقلوب ، والشهوات العاجلة قطاع الطريق ، والسبيل كالليل المدلهم ، غير أن عين الموفق بصر فرس ، لانه يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء ، والصدق فى الطلب منار أين وجد يدل على الجادة ، وانما يتعثر من لم يخلص ، وإنما يمتنع الاخلاص ممن لا يراد فلا حول ولا قوة إلا بالله)[2].

أثر العبادات الاسلامية فى تضامن المسلمين إجمالا :

والعبادات التى تترك آثارها الطيبة ، ونتائجها العظيمة ، فى وحدة المسلمين وتضامنهم ، ليست انطواء أو انزواء ، أو عزلة عن الحياة ، والأحياء ، للقيام ببعض الشعائر كالصلاة والذكر كما يتصور بعض الناس ، ويظنون أنهم اذا قاموا بذلك منقطعين عن الحياة والأحياء ، فهم العباد .

هذا مفهوم خاطىء ، وقاصر .

فمفهوم العبادة فى الإسلام أرحب وأشمل ، وأدق واعمق من هذا التصور المحدود .

ان العبادة فى الاسلام تشمل كيان الانسان كله كما تشمل الحياة بأسرها . ولذا فان العبادات إذا فهمت فهما صحيحا وطبقت تطبيقا دقيقا أعطت مجتمعا قويا متينا كالبنيان المرصوص ، يسعى بذمته ادناه ، ويكون يدا على من سواه .

والعبادات التى جاءت فى حديث جبريل المشهور من صلاة وزكاة وصيام وحج ، أرسيت دعائمه عليها .

سئل الامام ابن تيمية ، عن قول الله عز وجل : ﴿ يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ .

---

(١) متفق عليه .

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزى: ٣٥٥ .

١ ــ ما العبادة ؟
٢ ــ وما فروعها ؟
٣ ــ وهل مجموع الدين داخل فيها أم لا ؟
٤ ــ وما حقيقة العبودية ؟
٥ ــ وهل هى أعلى المقامات فى الدنيا والآخرة أم فوقها شىء من المقامات ؟
وليبسط لنا القول فى ذلك .
فأجاب رحمه الله إجابة مسهبة تضمنتها رسالته : العبودية .

قال رحمه الله : « العبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان للجار واليتيم ، والمسكين وابن السبيل ، والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله ، وخشيته والإنابة إليه ، واخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك هى من العبادة ، وذلك أن العبادة هى : الغاية المحبوبة والمرضية له التى خلق الخلق لها كما قال الله تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلَّا ليعبدون** ﴾ [الذاريات : ٦٥] .

وبها أرسل الله جميع الرسل كما قال نوح لقومه : ﴿ **اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** ﴾ [النحل : ٣٦] .

وكذلك قال هود وصالح وشعيب لقومهم ، وقال تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أنِ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة** ﴾ [الاعراف : ٧٣] .

وقال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنَا فاعبدون** ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ **إنَّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ [الأنبياء : ٩٢] .

كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ **يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم ، وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** ﴾ [المؤمنون : ٥١-٥٢] .

وجعل ذلك لازما لرسوله ﷺ إلى الموت كما قال ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ [الحجر : ٩٩] .

وبـذلـك وصف ملائكتـه وأنبياءه فقال تعالى : ﴿ **وله ما في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون** ﴾ [الأنبياء : ١٩].

وقال تعالى : ﴿ **ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون** ﴾ [الاعراف : ٢٠٦].

وذم المستكبرين عنها بقوله : ﴿ **وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ [غافر: ٦٠].

ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى : ﴿ **عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا** ﴾ [الانسان : ٦].

وقال سبحانه : ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** ﴾ [الفرقان : ٦٣].

ومن هذا البيان الرائع ، والتفصيل الممتع الذى ذكره الامام ابن تيمية[١] ، يظهر لنا أثر العبادات فى الأفراد والجماعات ، أما أثرها فى الأفراد فتتمثل فى تقويم أخلاقهم ، وتزكية نفوسهم وتوجيههم الوجهة النافعة ، وتصوغهم صياغة جديدة ترتكز على الصلة بالله ، والتعرف إليه ، وإبراز الخصائص العليا الكامنة فيهم ، وتطهيرهم من الغرائز السفلى وفى سبيل تحقيق هذه الغاية أوصى الله عباده بالفضائل وحذرهم من الرذائل فقال سبحانه : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ [النمل : ٩٠].

فأثر العبادات واضح فى تقويم الأخلاق وتزكية النفوس ، وشحز العزائم إلى جانب أنها تزكى فى العبد ملكة المراقبة لربه ، وترقى به إلى درجة الإحسان الذى قال عنه عليه الصلاة والسلام : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[٢].

وإذا نظرنا فى الأحاديث ، كهذا الذى مر آنفا وكالحديث الذى يقول فيه عليه الصلاة والسلام لابن عباس وكان رديفة « ياغلام إنى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله . . . الخ »[٣].

إذا رأينا فى هذه الأحاديث الكلام الموجه للفرد فان المقصود به الأفراد ومن مجموع الأفراد تتكون الجماعات والأمم .

---

(١) العبودية لابن تيمية : ٣٨-٤٠ .

(٢) البخارى .

(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

وأثـر العبـادات فى الجـماعـات ، ودعم روابطها وبناء علاقتها على أسس راسخة من العدل والإخاء والبر والإحسان . أثر واضح يتمثل فى صياغتهم صياغة انسانية كاملة بتأليف بنـاء قوى متـماسـك قائم على العـدل والمسـاواة ، والإحسـان ، والإيثـار ، والبر والرحمة ، والتعـاون على جلب الخـير ، ودفـع الضرر . إن الجماعة التى ينشدها الإسلام هى الجماعة المتـماسكـة المترابطة التى تكونت من اللبنات الصالحة التى بدأت بالاخاء ، ثم تجاوزته الى الحب ، ثم علت حتى صارت إلى الايثار . ومن هنا ندرك أن الجماعة التى يريدها الإسلام لها سمات ومميزات :

أولا : أنهـا الجـماعـة المؤمنـة وبـاسـم الإيـمان ناداهـا رب العالمين فى كثير من الآيات لتستشعـر النعمـة وتحس بالفضـل قال تعـالى : ﴿ **يـاأيهـا الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعـداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمتـه إخـوانـا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** ﴾ [آل عمران : ١٠٢-١٠٣] .

ثانيـا : أنهـا الجـماعـة التى يحكمها العدل والانصاف يقول الله تعالى ﴿ **ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾ [المائدة : ٧] .

ثالثا : أنها الجماعة التى يقودها خيارها ، ويتولى أمرها حكماؤ ها وعلماؤ ها .

رابعا : أنها الجماعة التى تتواصى بالخير والحق ، وتتعاون على البر والتقوى وتتناصح على مكـارم الأخـلاق ، ومحاسن الصفات يقول الله سبحانه : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر** ﴾ [العصر] .

خامسـا : أنهـا الجـماعـة التى تستعـذب الجهـاد فى سبيل الله وتقدم النفس والنفيس والأهـل والـولـد ابتغـاء مرضـاة الله ورفعا لدينه واعلاء لكلمته ﴿ **ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فَيَقْتُلون ويُقْتَلون ، وعداً عليه حقا فى التـوراة والإنجيـل والقـرآن ، ومن أوفى بعهـده من الله فاستبشـروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** ﴾ [التوبة : ١١١] .

وهـذه الجـماعـة التى اصطفـاهـا الله لرسـالته ، وخصها بكرامته فارتقت الى منصب العدالة ، وتسلمت درجة الشهادة ، يقول سبحانه : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبـدوا ربكم وافعلوا الخـير لعلكم تفلحـون وجـاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ، وفى هذا**

ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾ [الحج : ٧٧-٧٨].

وفى هاتين الآيتين الكريمتين نرى الأثر الواضح القوى للعبادات فى الاسلام ، وأثرها فى المؤمنين به فهو يناديهم بأحب نداء إليهم وهو الإيمان ويأمرهم بمجموعة من العبادات ويخص منها الركوع والسجود ثم الأمر العام بالعبادة ، والجهاد فى سبيل الله ، ويختمها بالأمر بالصلاة والزكاة والاعتصام بالله .

يقول الأستاذ سيد قطب فى نهاية تفسيره للآيتين : (فالصلاة صلة الفرد الضعيف الفانى بمصدر القوة والزاد ، والزكاة صلة الجماعة بعضها ببعض والتأمين من الحاجة والفساد والاعتصام بالله ، العروة الوثقى التى لا تنفصم بين المعبود والعباد)[1].

وهذه الجماعة التى انطبعت بطابع العقيدة وتأثرت بالتربية الربانية المتمثل فى العبادات فى الاسلام هذه الجماعة ليست خيالا ، ولا شيئا محالا ، وانما ظهرت فى عالم الواقع فى العصر النبوى الكريم ، وعصر الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين ، ولهذا فقد أثنى الله عليهم فى كتابه فقال : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ [آل عمران : ١١٠].

وقد أشار القرآن الكريم إلى ما سيكون لهذه الأمة من رفعة طالما كانت متمسكة بكتابه ، مستجيبة لأمره قائمة بالعبادات وعمل الصالحات خير قيام .

قال تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا** ﴾ [النور: ٥٥].

ويقول الله تعالى ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ [التوبة : ٧٢].

ويقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله فى ظلال القرآن عند تفسيره لهذه الآية[2] : (ان طبيعة المؤمن ، هى طبيعة الأمة المؤمنة ، طبيعة الوحدة ، وطبيعة التكافل ، وطبيعة التضامن ، ولكنه التضامن فى تحقيق الخير ودفع الشر ﴿ يأمرون بالمعروف وينهون عن

---

(١) فى ظلال القرآن ٢٤٤٦ .

(٢) فى ظلال القرآن ص ١٦٧٥ .

المنكر ﴾ وتحقيق الخير ودفع الشر يحتاج إلى الولاية والتضامن والتعاون ، ومن هنا تقف الأمة الواحدة صفا واحدا لا تدخل بينها عوامل الفرقة وحيثما وجدت الفرقة فى الجماعة المؤمنة فثمة ولابد عنصر غريب عن طبيعتها ، وعن عقيدتها هو الذى يدخل بالفرقة ثمة غرض أومرض يمنع السمة الأولى ويدفعها .

السمة التى يقررها العليم الخبير ﴿ بعضهم أولياء بعض ﴾ يتجهون بهذه الولاية إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإعلاء كلمة الله ، وتحقيق الوصاية لهذه الأمة فى الأرض ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ التى تربطهم بالله ، ﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ الفريضة التى تربط بين الجماعة المسلمة ، وتحقق الصورة المادية والروحية للولاية والتضامن .

﴿ ويطيعون الله ورسوله ﴾ فلا يكون لهم هوى غير أمر الله وأمر رسوله ولا يكون لهم دستور إلا شريعة الله ورسوله ، ولا يكون لهم منهج إلا دين الله ورسوله ، ولا يكون لهم الخيرة إذا قضى الله ورسوله .

وبذلك يوحدون نهجهم ، ويوحدون هدفهم ، ويوحدون طريقتهم ، فلا تتفرق بهم السبل عن الطريق الواحد الواصل المستقيم ﴿ أولئك سيرحمهم الله ﴾ والرحمة لا تكون فى الآخرة وحدها إنما تكون فى هذه الأرض أولا ، ورحمة الله تشمل الفرد الذى ينهض بتكاليف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وتشمل الجماعة المكونة من أمثال هذا الفرد الصالح ، رحمة الله فى اطمئنان القلب وفى الاتصال بالله ، وفى الرعاية والحماية من الفتن والأحداث ورحمة الله فى صلاح الجماعة ، وتعاونها ، وتضامنها ، واطمئنان كل فرد للحياة ، واطمئنانه لرضاء الله) أهـ .

وبعد هذا العرض المجمل عن أثر العبادات فى إصلاح الأفراد والجماعات وعن مدى النتائج الحتمية لذلك وهو التعاون والتراحم والتضامن والتلاحم الذى تكون به قوتهم وعزتهم وسعادتهم فى الدارين .

والآن نتحدث عن أثر الصلاة والزكاة والصوم والحج فى جمع كلمة المسلمين .

الصلاة :

الصلاة هى الفريضة الأولى بعد الإيمان بالله ورسوله ، وهى عماد الدين ، من وفق إليها ، وأعين عليها ، فهو الموفق السعيد ومن حرم منها فهو الشقى البعيد ، والصلاة التى نقصد الحديث عنها هى التى يخشع فيها صاحبها ، ويحافظ على شروطها وآدابها ، لا يقتصر دورها على أجر يثاب عليه المؤمن ، وعذاب ينجو منه ، وانما تحفظه ، وتنفى عنه الشرك

الظاهر والخفى ، وتعود به إلى صفوف المتواضعين إن كان فيه شىء من الكبر ، وترقى به إلى درجة الأعزاء إن كان فيه شىء من الذلة والخنوع ، فالحاكم والمحكوم ، والرئيس والمرؤس ، وأصحاب الثروة والقوة ، والنفوذ والسلطان ، والذين ليس لهم من ذلك شىء ، كل هؤلاء متساوون فى الوقوف بين يدى الله والإقبال عليه ، لا فضل لأحد منهم على أحد ، إلا بمقدار ما فى قلبه من تقوى ، وما تثمره هذه التقوى من خيرات وما تحجزعنه من موبقات ، فكل أعمال الصلاة ترجع الأمر كله لله ، يقف المصلون جميعا بين يدى ربهم يأتمون بإمام واحد كأنهم بنيان مرصوص ، يعلنون الله أكبر ، وإنها لنعم الكلمة التى تفتح بها تلك العبادة ، إنها اعلان بأن الله أكبر من كل شىء ففى هذه الكلمة نفى للخوف والتردد ، وابعاد لشبح الهلع والفزع والجبن لذلك كان المؤمنون هم الذين يحققون الحكم التى يمكن أن تثمرها هذه الصلاة .

لذا هيأ الله تعالى بتشريعه وحكمته للصلاة ، جوا طيبا من الإجلال والتعظيم ، والخشوع والسكينة ، والتعاون والاجتماع ، ثم شرع الله تعالى الأذان للدعوة اليها والجمع عليها .

نداء لم تتجل فيه مقاصد الصلاة ومعانيها فحسب بل تجلت فيه كذلك مقاصد الإسلام ، وشعائر التوحيد ، ثم أقيمت لها المساجد تلك البيوت التى أذن الله فيها أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، والتى يتجلى فيها الوقار والسكينة ، والخشوع والخضوع ، فهى مهبط الرحمات ، وملتقى الصالحين وموضع نظر الله فى الأرض ، فيها يتم التآلف والتعارف ، والتوحد والترابط ويتعرف كل على حاجة أخيه قال تعالى ﴿ **فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار** ﴾ [النور: ٣٦-٣٧] .

لقد كانت هذه المساجد مركز حياة المسلمين ، وتعلمهم ودراستهم ومصدر الإصلاح والتوجيه ، تعالج فيها قضايا المسلمين الدينية والاجتماعية ويعرفون فى ساحاتها كل ما يرفع من شأنهم فى حياتهم ، ويكتب لهم السعادة بعد مماتهم ، وكان رسول الله ﷺ إذا حدث حدث أو نزل بالمسلمين أمر أن ينادى فى الناس (الصلاة جامعة) فيفيض إليهم بالنصح والتذكير ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويبصرهم بما يصلح من حالهم ، ويوقظ من قلوبهم ، ويشد من عزمهم ، وظلت المساجد هكذا تؤدى رسالتها العظيمة فى خدمة الاسلام ، ودعم وحدة المسلمين فكانت القطب الذى تدور حوله رحى الحياة ، وتتفجر فيها ينابيع العلم والهداية ، وتنبثق منها أنوار الإصلاح والإرشاد وتنطلق منها موجات الكفاح والجهاد .

والمساجد تتجلى فيها عظمة الله وحده ، فلا عظمة فيها لمخلوق ولا اختصاص لعظيم أوكبير ، ولا فضل لذى حسب أو نسب ، وهو مكان مشاع يتساوى فيه الناس جميعا ، الحر منهم والعبد ، والحاكم والمحكوم ، والغنى والفقير ، قال تعالى فى كتابه الكريم ﴿ **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وشرع الله الجماعة للصلاة ، وأبان الرسول ﷺ عن فضلها فقال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة »[١] .

وقد توعد النبى ﷺ على تركها ، والتخلف عنها وأشار الى أن ذلك من سمات المنافقين فقال عليه الصلاة والسلام : « والذى نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف الى رجال فأحرق عليهم بيوتهم »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بالجماعة ، فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية »[٣] .

وإذا حضر المؤمن الجماعة ، عرف إخوانه وعرفوه فلو غاب عنهم سألوا عنه فإن كان غائبا دعوا له - ودعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة - وإن كان مريضا عادوه فأثيبوا وأجروا ، وجبروا خاطره وأدخلوا السرور عليه ، وإن كان حاضرا زاروه ، فتوطدت أواصر الأخوة ، وتأكدت أسباب التضامن والمحبة .

بل إن فى الجماعة بجانب ما سبق ، حكم جليلة ، ومصالح جمة بعضها اجتماعى وخلقى كالوحدة والاجتماع ، والتعارف والتعاون ، وبعضها دينى أخروى ، كالمحافظة على الصلوات والتنافس فى إحسانها واتقانها ، ومنها أن اخلاص المخلصين وخشوع الخاشعين يؤثر فى الجماعة كلها ، ويرى نوره من خلالها فيوقظ النفوس الخامدة ، ويحرك الهمم الفاترة وقد يكون سببا فى قبول عبادة الجميع .

واكرام بعض الناس ببعض ، أمر تقره قواعد الشريعة ويشهد به قول الرسول ﷺ « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »[٤] .

---

(١) متفق عليه .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه أبو داود .
(٤) رواه البخارى .

نعم إن لاجتماع المسلمين ، سرا عجيبا ، فى تدفق الرحمات ، وهذا هو السر فى صلاة الاستسقاء وجماعتها ، وقد كان رسول الله ﷺ شديد الاهتمام بتسوية الصفوف ، كثير الترغيب فى إقامتها ووصلها ، وسد خللها ، شديد الإنكار على الإخلال بها والتفريط فيها ، ذلك لأن فوائد الجماعة لا تتحقق ولا تكتمل إلا بالمحافظة عليها ، وقيام المسلمين فيها كالبنيان المرصوص .

وشرع الله صلاة الجمعة ، واختصها بشروط وآداب تزيد فى جلالها ، وترفع من شأنها ، وتورث مزيدا من الأهتمام بها فى جمع شمل المسلمين ، تحت راية الدين ، وهيمنة رب العالمين ، وشرع الله الاغتسال فى يوم الجمعة والتطيب والنظافة ، وبين ما يترتب على ذلك من عطاء أخروى ، إلى جانب ما نلمسه من أثر صحى واجتماعى .

يقول عليه الصلاة والسلام : « لا يغتسل رجل يوم الجمعة ، ويتطهر ما استطاع من طهر ، ويدهن من دهنه ، أو يمس من طيب بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلى ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام ، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى »[1] .

فإذا صعد الخطيب المنبر نصح الناس وذكرهم ، ودعاهم إلى الله ويعرفهم بأمور دينهم ودنياهم .

وعلى ولاة الأمور من المسلمين تشجيع الخطباء ، وتقبل انتقاداتهم على أنها نصائح فإن الدين النصيحة ، وهى لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، والملائكة تشارك المؤمنين فى سماع خطبة الجمعة قال عليه الصلاة والسلام : « فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر »[2] .

فاذا ما انتهت الخطبة ، أمهم إمام واحد ، فكانوا متراصين متساويين يركعون ركوعا واحدا ، ويسجدون سجودا واحدا ويتجهون الى قبلة واحدة هى الرمز لوحدتهم ، والجمع لكلمتهم والعنوان الكامل لترابطهم وتضامنهم .

وقد شرع الله للمسلمين صلاة العيدين ، يأتى عيد الفطر بعد شهر كامل يقضيه المسلمون ، بين الصيام والقيام ، والتلاوة والذكر والبر والمرحمة ، لقد جعله الله ميقاتا للعطاء ، والتشرف بضيافة الله ، وأما عيد الأضحى فيأتى فى آخر عشر ذى حجة ، وهى أيام وليال لها فضلها وميزتها ، وفيها ذكريات جليلة ، توقظ المشاعر ، وتبعث الهمم ، إنها ذكريات ابراهيم واسماعيل ومحمد عليهم جميعا الصلاة والصلاة ، واذا كان ما يسمى

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البخارى .

بالأعياد عند غير المسلمين مواسم تحرر وانطلاق ، ومناسبات لذة وتمتع تتناقض أشد التناقض مع العبادات ومفهومها ، فإن هذين العيدين ، يبدءان بالصلاة لله رب العالمين ، بشعار هو التكبير لدى الذهاب إلى الصلاة ، وفى انتظارها ، وفى الخطبة وبعدها ثم صدقة الفطر قبل صلاة عيد الفطر ، والأضحية بعد صلاة عيد الأضحى ، كما شرع فى هذين العيدين الصلاة بالمصلى خارج البلد ، إظهارا لشوكة المسلمين ، وعنوانا على وحدتهم وتضامنهم ، وكبتا لعدوهم وتكثيرا لجمعهم ، ليعظم لهم العطاء .

لقد كان للجمعة والجماعة ، والعيدين ، وصلاة الاستسقاء وصلاة الخوف فى الأمصار والأقطار ، فضل كبير فى حفظ هذا الدين ، وسلامة الشريعة والأوضاع الدينية ، وبقائها على ما تركها عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وبعدها عن تحريف المنحرفين وعبث العابثين ، فلو كان المسلمون - أعاذهم الله من ذلك - تركوا الجمعة والجماعة ، انفردوا بعباداتهم وصلواتهم فى بيوتهم وقاموا بها منفردين منعزلين ، موزعين مشتتين ، لحرفت هذه الصلوات ومسخت مسخا كبيرا أفقدها أصالتها ووضعها الأول ، وتنوع المسلمون فيها ، وصاروا فرقا وأقساما كما فى كثير من مظاهر حياتهم المدنية ، وآدابهم الاجتماعية وكان للصلاة أنماط ونماذج محلية كما هو حاصل لدى اليهود والنصارى .

لقد كانت هذه الجماعة عاملا كبيرا من عوامل وحدة المسلمين فى العبادات وعاصما لأحكام الدين من التحريف ، كما كانت سببا عظيما فى تضامنهم ، وجمع كلمتهم ، وبلغ من اهتمام الإسلام بالجماعة أنه رغب فى إقامتها ، والحرص عليها حتى فى أوقات المحن والشدائد ، حين يلقى المسلمون عدوهم ، ويواجهون خصومهم ، لأن الصلاة فى ذاتها سبب المعونة الألهية ، قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين** ﴾ [البقرة : ١٥٣] . ولأن فى إقامتها مع الجماعة مزيدا من العون والعطاء ، تتضاعف بركاتها ، وتكثر خيراتها قال سبحانه : ﴿ **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم ، فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ، ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك ، وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا** ﴾ [النساء : ١٠٢]

ولم تجز الشريعة الإسلامية ترك الصلاة ، أو تأخيرها عن ميقاتها فى أمن أو خوف ، شدة أو رخاء ، صحة أو مرض ، سفرا أو إقامة ، إلا أنه قد جعل لكل حالة وضعا خاصا

يتلاءم مع تلك الحالة ، يتحقق به التيسير ، ورفع الحرج الذى أكرم الله تعالى به هذه الأمة ، يقول الله تعالى : ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ، وقوموا لله قانتين ، فان خفتم فرجالا أو ركبانا ، فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون** ﴾ [البقرة : ٢٣٨-٢٣٩]،

الزكـــــــاة :

لعل من نافلة الحديث أن نقول : إن المال مهم غاية الأهمية للأفراد والجماعات ، وأنه قوام الحياة ، وأساسها ، وعليه تقوم النهضات ، وتتقدم الحضارات ، به صيانة الحرية ، وقوة الشوكة ، والعزة والمنعة ، فذلك أمر واضح ، لا يحتاج الى بيان ، ويكفى أن يصفه القرآن الكريم بأنه **قيام الحياة** ، وينصح بالتوسط فيه إن ملكه المرء فلا يسرف حتى يقف عاجزا عن التصرف ، ولا يقتر حتى يتعرض للسخط والملامة قال تعالى : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما** ﴾ [النساء : ٥].

ويقول جل شأنه : ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا** ﴾ [الاسراء : ٢٩].

ويثنى على فريق من عباده بالتوسط فى النفقة بين الإسراف والتقتير فيقول سبحانه : ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** ﴾ [الفرقان : ٦٧].

ولما كانت للمال هذه الأهمية فى إعداد العدة ، وأخذ الأهبة ، كان الجهاد بالمال مقدما فى القرآن الحكيم على الجهاد بالنفس ، قال الله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ [الصف : ١١].

وكان للنفقة فى سبيل الله امتيازها عن الإنفاق فى وجوه الخير الأخرى بزيادة أجرها ، وكثرة أضعافها قال سبحانه : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم** ﴾ [البقرة : ٢٦١].

ثم كان للمال الأهمية البالغة فى دفع الحاجات ، وتفريج الكربات بأطعام الجائع ، وكسوة العارى ، وفك ضائقة المحتاج ، فإن الله تعالى أوصى بالبذل فى هذه الوجوه ،

وفرض من ذلك نصيبا معروفا فى أموال الأغنياء يرد على الفقراء ، وسمى ذلك زكاة تارة وصدقة تارة ، مشيرا بهذه الأسماء ، إلى أمور اتسم بها البذل والانفاق فى الإسلام ، لأن الزكاة لغة : التطهير والنماء ، وهذا الجزء القليل الذى يبذله المؤمن الغنى من ماله يطهر صاحبه من رذائل الشح والبخل ، وقلة المبالاة بالناس ، وعدم الأهتمام بهم ، ثم يحليه بطائفة من الأخلاق الكريمة كالسخاء والإيثار ، وحب الخير للناس ، ورعاية المجتمع ، قال تعالى : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ، وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم** ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

وسماه الله صدقة لإن بذل المال لله ، وابتغاء مرضاته ، دليل الإيمان وآية اليقين ، وأمارة التصديق ، قال عليه الصلاة والسلام : « . . . والصدقة برهان »[1] .

والصدقات فى الإسلام تقوم بوظائف شتى لذلك كان القرآن الحكيم حريصا على بيان مصارفها بيانا قاطعا قال تعالى : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله ، وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم** ﴾ [التوبة : ٦٠] .

والمتأمل فى هذا النص الكريم يرى ما ينطوى عليه نظام الصدقة من تكافل اجتماعى بين أبناء المجتمع الإسلامى ، بمواساة الغنى للفقير والمسكين ، ومراعاة المجتمع للذين يتفرغون لشئون المجتمع ، وإعانتهم على القيام بما ندبوا إليه من ذلك خير قيام ، ثم إعطاء المؤلفة قلوبهم وهم الذين دخلوا فى الدين ولم يتمكن من نفوسهم التمكن الكامل ، ثم يعطى المكاتبون لاستخلاص رقابهم ، وشراء حريتهم ، وفى هذا دليل على أن الإسلام تواق إلى الحرية ، معين عليها ، مرغب فى منحها ، وهذا ملحظ سياسى واجتماعى عظيم ، ثم من أحاطت به المكاره والديون ، جعل الله له فى ذلك المال نصيبا ، يسدد به دَيْنه ، ويستأنف به حياته ، أما ابن السبيل وهو المسافر الذى نفد ماله أو ضاع فينبغى أن يعان من الزكاة حتى يبلغ أهله ، فإنه فى هذه الحالة أخو الفقير والمسكين ، وإن كان فى بلده غنيا ، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه ، أما الانفاق فى سبيل الله فهو قمة الإنفاق يقول عليه الصلاة والسلام : « من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا »[1] .

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم .

ان الصدقات شرعت إذن سدا لحاجات الفقراء والمساكين ، وتفريجا لكرب المحتاجين ، وتثبيتا للايمان فى القلوب ، وتحريرا للرقاب من ذل الرق ، وإعزازا لدين الله ، والدفاع عن حرمات الاسلام .

وهذا هو أحد جوانب الصدقات ، وهو جانب العطاء ، أما ما يترتب عليه وهو الذى يطلق عليه الجانب الاجتماعى ، فهو الوجه الآخر لتشريع الصدقات .

ونستطيع أن نبين الأثر الاجتماعى للزكاة ، حين نطرح السؤال الآتى : ماذا يكون الحال لو بخل الأغنياء بأموالهم على الفقراء والمحتاجين وعلى البذل فى وجوه البذل الأخرى ؟

والجواب : إن صورة المجتمع تصبح صورة مخيفة مفزعة ، فالفقراء والمحتاجون تمتلىء صدورهم بالأحقاد والضغائن ، وتمتد ايديهم إلى هذه الأموال التى لم يحصلوا عليها طواعية ، ليستولوا عليها بوسائل أخر يفسد بها نظام الحياة ويصبح المجتمع طوائف متناحرة تتربص كل منها بالأخرى ، وتغدوا الحياة جحيما لا يطاق .

ويقول قائل : إن الدول والحكومات تقوم بضرائب وجبايات وتبذل صدقات ومعونات ، ألا تسد هذه مسد الزكاة ؟ ألا تصلح عوضا عنها ؟

والجواب : كلا ، لأن ما يفرضه البشر على البشر لا يمكن بحال أن يرقى إلى ما شرع الله لعباده ، فإن ما يفرضه البشر فيه قصورهم وأهواؤ هم ، وكثيرا ما يحمل ألوانا من التسلط والابتزاز ، ثم هو فى أغلب الأحيان يوضع فى غير موضعه ، ويوجه الى غير مستحقيه ، أما الزكاة التى شرعها العليم الحكيم لعباده فإن لها خصائص وسمات تميزها عما عداها ، فمن أبرز هذه الخصائص أنها قربة لله عز وجل ، تصحبها النية والإخلاص ، والاحتساب ، لتكون مقبولة ولا شىء من ذلك يقصد فى الضرائب ، بل أنها فى الأعم الأغلب تكون مصحوبة بروح السخط والمقت والاستثقال والإنكار ، لأن دافع هذه الضرائب لا يعتقد أنها مشروعة من الله تعالى ، ولا يرجو عليها ثوابا بل يعتقد أنها مفروضة عليه من أفراد مثله مثله ، وربما أقل منه ، وأنها تنفق فى كثير من الأحيان فى الأهواء والشهوات ، احتفاظا بسلطة أو خدمة لأفراد محدودين ، لا يرافقها شىء من الترغيب فى الاخلاف والجزاء ، أو الترهيب من النكول والبخل ، بل إنها كثيرا ما تؤدى تحت ضغط التهديد والتغريم ، التى تزيد دافعها كراهية وسخطا .

ولهذه الحكمة البالغة ، والتى لا تتأتى إلا فيما شرع الله سبحانه جاءت الزكاة فى القرآن الكريم ، وفى السنة المطهرة مشفوعة بما يرغب فى إخراجها بطيب نفس ، وصدق

نيـة ، وكـريم احتسـاب ، وذلـك ببيان ما يترتب على إخراجها من نتائج وثمرات فى الدنيا والآخرة من إخلاف وثواب ونمو وبركة .

يقول الله تعالى : ﴿ **ان المصدِّقين والمصدّقات ، وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ، ولهم أجر كريم** ﴾ [الحديد : ١١] .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « من تصدق بِعَدْل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يقبلهـا بيمينـه ، ثم يربيهـا لصـاحبها كما يربى أحدكم فلوه ، . حتى تكون مثل الجبل »[١] .

ويقـول عليـه الصـلاة والسلام : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه »[٢] .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا »[٣] .

وينعى القرآن الكريم على أولئك الذين استولى الشح على نفوسهم فصاروا يعيشون فى الحيـاة ، ولا هم لهم الا الجمـع والمنـع ، يأخـذونـه من غير حله ، ولا يضعونه فى محله ، فويل لهم حين أخذوه ، وويل لهم حين بخلوا به ، وويل لمن سلك فى الجمع والمنع مسلكهم .

قال الله تعـالى : ﴿ **يأيهـا الـذين آمنـوا إن كثـيرا من الأحبار والرهبان ليأكلوا أموال الناس بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيـل الله فبشـرهم بعـذاب أليم ، يوم يحمى عليهـا فى نار جهنم فتكـوى بها جبـاههم ، وجنوبهم ، وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** ﴾ [التوبة : ٣٤-٣٥] .

ومن خصـائص الـزكـاة ، أنهـا تؤخذ من الأغنياء ، وترد على الفقراء وهذا بخلاف الضرائب فإنها تؤخذ من الجميع ، ثم أنها تنفق فى وجوه إذا وزنت بميزان الشريعة تبين انه إذا كان فيهـا الكـريم المشـروع ، ففيهـا الخبيث الممنوع لقد كانت الزكاة بهذا التوجيه الذى يرعى جانب الفقير ، ومصلحة الغنى كذلك .

فإذا كان المرء بالشهادتين يدخل فى الاسلام ، فإنه بالصلاة قد أوفى بالجانب المهم فى

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) متفق عليه .

عهده مع الله ، وهو بالزكاة يبدأ عهدا جديدا مع إخوانه فى الدين ، وشركائه فى المجتمع ، عهدا ترفرف عليه رايات الحب ، ويغمره التعاون والتراحم .

ومن هذه الخصائص أنها وسيلة لتقويم مؤديها ، ورفعه إلى مقام المراقبة والإحسان ، وتحليته بالفضائل النفسية الرفيعة ، وقد أثنى الله عز وجل على المتصدقين من أجله ، والباذلين لأموالهم ابتغاء مرضاته .

وذكره لأوصافهم ومشاعرهم يدل على ما وصلوا اليه من سمو لا يدانى ولا يمكن - بحال من الأحوال - أن يحصل فيما يشرع البشر للبشر . يقول الله سبحانه : ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ، إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا** ﴾ [الانسان : ٨-١٣] .

ويقول سبحانه : ﴿ **والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون ، أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون** ﴾ [المؤمنون : ٦٠-٦١] .

الصيام :

لا نعتقد أنه بوسعنا ولا بوسع بشر ، مهما أوتى من علم ، ورزق من حكمة أن يحيط علما بأسرار الله التى تضمنتها العبادات التى شرعها . والشعائر التى وضعها ، ولولا أن الله - بمنه وكرمه - أوضح من ذلك جوانب ، وأشار الى أخرى ، إيناسا للنفوس وجذبا للقلوب ، ما كان لبشر أن يخوض فى ذلك أو يتكلم فيه والتسليم معيار الإيمان ، وميزان الإخلاص ﴿ **انما كان قول المؤمنين إذا دعوا الله ورسوله ليحكم بينهم ، أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون ، ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ، ويتقه فأولئك هم الفائزون** ﴾ [النور: ٥١-٥٢] .

وهذا الركن الذى نحن بصدد الحديث عنه وهو : الصيام له آثاره البعيدة المدى على النفوس ، وله فوائده المحققة على المجتمع ، فى كافة جوانبه وأحواله ، ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « الصيام جنة »[1] ، وقد أمر عليه الصلاة والسلام ، من اشتدت عليه شهوة النكاح - ولا قدرة له عليه - بالصيام .

---

(١) رواه البخارى .

إن الفضائل النفسية ، والفوائد الاجتماعية التى يثمرها الصوم أجل من أن تحصى ، واذا كان الصوم يثمر التقوى ، وعفة النفس واستقامة الجوارح ويقظة الضمير ، ورحمة القلب ، وخشية الرب ، فإن هذه الفضائل ، تنعكس على المجتمع كله ، وتنشر بركتها عليه .

والتقوى التى جعلها الله غاية للصيام ، والجُنَّة التى وصف بها النبى ﷺ الصوم يمكن أن يندرج تحتها كل ما أدركنا ، وما لم ندرك من حكم الصيام ، فليس للتقوى حد تنتهى عنده ، أوغاية تنتهى إليها ، وكذلك الجُنَّة ، قد تكون من التقصير والمخالفات ، وقد يرقى بها صاحبها ، فتكون من الشبهات ، وقد يزداد رقيا فتصبح جُنَّة من الغفلات والخطرات .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى :

« لما كان صلاح القلب واستقامته ، على طريق سيره إلى الله تعالى متوقفا على جمعيته على الله ، ولم شعثه بإقباله بالكلية على الله فإن شعث القلب لا يلمه إلَّا الاقبال على الله تعالى وكان فضول الطعام والشراب ، وفضول مخالفة الأنام وفضول الكلام ، وفضول المنام مما يزيده شعثا ويشتته فى كل واد يقطعه عن سيره إلى الله تعالى ، أويضعفه أو يعرقله ، اقتضت رحمة العزيز العليم بعباده أن شرع لهم من الصوم ، ما يذهب فضول الطعام والشراب ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى ، وشرعه بقدر المصلحة بحيث ينتفع به العبد فى دنياه وأخراه ، ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة »[1] .

ان المجتمع الذى يستقيم على شريعة الصوم ، يكون مجتمعا قويا فى عقيدته ، قويا فى استجابته لأمر ربه ، قويا بتماسكه وتضامنه ، وتراحمه ، قويا بأخلاقه الكريمة ، وشمائله النبيلة .

وقد اختار الله سبحانه بحكمته البالغة ، شهر رمضان المبارك ليكون موسم الصيام ، المفروض على المسلمين من كل عام ، وقد أشار القرآن الكريم الى السر فى اختيار هذا الشهر لهذه الفريضة المباركة ذلك أنه الشهر الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان .

وبين الصوم والقرآن صلة متينة عميقة ، ولذلك كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبر يل ، وكان يلقاه جبر يل فى كل ليلة من

---

(١) زاد المعاد لابن القيم : ١٦٨/١

رمضان فيدارسه القران ، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة[1].

لقد أصبح رمضان بما شرع فيه من صيام ، وسن فيه من قيام وما رغب فيه من عبادة ، وذكر وتلاوة للقرآن الكريم ، وصدقات وتراحم ، وبر وإحسان ، موسما فذا من مواسم العبادة المتعددة النواحى ، المتشعبة الجوانب ، تلك العبادات التى تطبع النفوس بطابع الرحمة والخير ، وتغمر المجتمع كله ، بموجة من الحب والود والتعاون والتضامن ، والتراحم .

وبجوار التعبد بقراءة القرآن فى شهر القرآن ، تذكر لشريعة الله وما يريده رب العباد من العباد ، من صلاة وزكاة وصيام وحج وبر وتراحم ، وتحاب وتآلف وصدق حديث ، وأداء أمانة ورعاية للعهود ، وما يترتب على ذلك ، من عظيم الأجر والثواب فى العاجلة والآجلة لمن أخلص ذلك لله وحده ، وابتغى به وجهه وقام به ايمانا واحتسابا .

يقول الشيخ أحمد الدهلوى : (والصوم إذا التزمته أمة من الأمم ، سلسلت شياطينها ، وفتحت أبواب جناتها وغلقت أبواب النيران عنها)[2].

ويقول فى نفس المرجع (وأيضا فان اجتماع طوائف عظيمة من المسلمين على شىء واحد فى زمان واحد ، يرى بعضهم بعضا معونة لهم على الفعل ميسر عليهم ، ومشجع اياهم ، وأيضا فان اجتماعهم هذا لنزول البركات الملكية على خاصتهم وعامتهم ، وأدنى أن تنعكس أنوار كلهم على من دونهم ، وتحيط دعوتهم مَنْ وراءهم)[3].

وأيضا فان فى الصيام آثارا عظيمة فى إعداد المسلمين للعبادات وتأهيلهم لجنى ثمارها ، والانتفاع بخيراتها وبركاتها . وبالصيام تصبح النفوس مستعدة للخير ، راغبة فى البر ، كارهة للشر ، نافرة من الفجور .

واذا كانت تلاوة القرآن فى رمضان عبادة لها ثمارها فإن هذه الثمار تكون أزكى وأنمى ، وأبقى ، إذا كان القلب مستعدا ، والنفس متهيئة . يقول عليه الصلاة والسلام : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام رب منعته الطعام بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : رب منعته النوم بالليل فشفعنى فيه قال : فيشفعان »[4].

---

(١) رواه البخارى .
(٢) حجة الله البالغة : ١/ ٥٩ .
(٣) حجة الله البالغة : ٢/ ٣٧ .
(٤) رواه أحمد .

الحـــــج :

الحج هو : الركن الخامس فى الاسلام ، وهو الفريضة التى تستوجب مفارقة المألوفات ، والعادات ، استجابة لرب العالمين ، المسلم حين يستعد لتلبية هذه الدعوة بالإحرام يطهر باطنه بالنية الصالحة ، والتوبة النصوح ، ويطهر ظاهره بالاغتسال فإنه يعلن استجابته لأمر ربه مضاعفة مكررة ، ولا يزال ذلك شعاره حتى يفرغ من حجه (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) .

وفى الاحرام التمرين العملى على فضيلة المساواة بين الناس وفيه كذلك تذكير لهم بما كانوا عليه ، وبما سيصيرون إليه فى الطريق الذى سبق هذه الحياة ، والطور الذى سيعقبها وإنما هم فيه من زينة الدنيا وزهرتها إنما هو عارية مستردة « والحج تدريب عملى للمسلم على المبادىء التى جاء بها الاسلام فقد أراد الاسلام ألا يكون مبادئه ، وقيمه الاجتماعية مجرد شعارات أو نداءات ، بل ربطها بعباداته وشعائره ، حتى تخط مجراها فى عقل المسلم وقلبه ، فهما وشعورا ، ثم تخط مجراها فى حياته سلوكا وتطبيقا ، وقد رأينا فى صلاة الجماعة كيف تنمى معانى الأخوة ، والمساواة والحرية ، وهنا فى الحج نرى معنى المساواة فى أجل صورة وأتمها ، فالجميع قد طرحوا الملابس والأزياء المزخرفة ، التى تختلف باختلاف الأقطار واختلاف الطبقات ، واختلاف القدرات واختلاف الأذواق ، ولبسوا جميعا ذلك اللباس البسيط - الذى هو أشبه ما يكون بأكفان الموتى - يلبسه الملك والأمير ، كما يلبسه المسكين والفقير ، وأنهم ليطوفون جميعا بالبيت ، فلا تفرق بين من يملك القناطير المقنطرة ، ومن لا يملك قوت يومه »(1) .

وفى الحج ترى معنى الوحدة جليا كالشمس ، وحدة فى المشاعر ، ووحدة فى الشعائر ، ووحدة فى الهدف ، ووحدة فى العمل ، ووحدة فى القول لا إقليمية ، ولا عصبية للون أو جنس أو طبقة ، إنما هم جميعا مسلمون ، برب واحد يؤمنون ، وببيت واحد يطوفون ، ولكتاب واحد يقرأون ، ولرسول واحد يتبعون ، ولأعمال واحدة يؤدون ، فأى وحدة أعمق من هذه وأبعد غورا ؟(2) .

والحج أكبر مؤتمر عالمى يجمع المسلمين من جميع أنحاء العالم جمعتهم رابطة الإسلام ، ووحدت بينهم كلمة الايمان (فى هذا المؤتمر يلتقى رجال العلم ، ورجال الاصلاح ، ورجال السياسة ، فما أجدرهم وقد التقوا على هدف واحد أن يتعارفوا ،

---

(1) العبادة فى الاسلام للدكتور يوسف القرضاوى : ٢٨٩-٢٩٠ .

(2) المصدر السابق : ٢٩٠ .

ويتفاهموا ، ويتعاونوا على تدبير أفضل الخطط وأحسن الوسائل ليبلغوا الأهداف ، ويحققوا الآمـال)[1].

فى هذا المؤتمر العالمى يتذاكر المسلمون خطبة نبيهم ﷺ الجامعة على عرفه عام حجة الوداع والتى قد جاء فيها :

(. . . وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتى . . أيها الناس : اسمعوا قولى واعقلوه ، إن كل مسلم أخ للمسلم ، وان المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم اللهم هل بلغت ؟

قالـوا : اللهم نعم . فقـال رسول الله ﷺ : اللهم اشهد) والمسلم يذكر كذلك ـ فى الحـج ـ اكـمال الـدين واتمـام النعمـة على هذه الأمـة حينما أنزل الله على رسوله ﷺ فى هذا المـوقف فى يوم الجمعـة عشيـة عرفـة ﴿ **اليـوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** ﴾ [المائدة : ٣] .

ونتـذكـر كذلـك أن الحج هو تعويد على مكارم الأخلاق ، ومقابلة السيئة بالحسنة ، ابتغـاء وجـه الله ، وإحسـان إلى النـاس طلبـا للاحسان من الله رب العالمين ﴿ **الحج أشهر معلومـات فمن فرض فيهن الحـج فلا رفث ولا فسـوق ولا جدال فى الحـج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون ياأولى الألباب** ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

ويقـول عليـه الصـلاة والسلام : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه »[2] .

والحق أن الحـج بما فيـه من أوضـاع وشعائر ، ودعوات ، وابتهالات وذكريات مدرسة تملأ القلب رضا وسكينة وإيمانا وطمأنينة وتغمره بالخير من جميع نواحيه فيعود مسلما مؤمنا ، حقـا وصـدقـا مسـارعـا للاستجـابة لربه الذى خلق فسوى ، وقدر فهدى يصدق عليه قول الصادق المصدوق ﷺ : « ذاق طعام الإيمان من رضى بالله ربا ، وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا »[3] .

---

(١) المصدر السابق : ٢٩٢ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه مسلم .

التضامن الإسلامي

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الحمد لله وحده . . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . . أما بعد :

فلا ريب أن الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له كما قال عز وجل : ﴿ **وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بهذه العبادة وبعث الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنزل الكتب لبيان هذا الحق وتفصيله والدعوة إليه كما قال عز وجل : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً** ﴾ وقال سبحانه : ﴿ **وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه** ﴾ ومعنى قضى فى هذه الآية أمر ووصى وقال تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء** ﴾ وقال سبحانه : ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ وقال سبحانه : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير أن لا تعبدوا إلا الله اننى لكم منه نذير وبشير** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا إنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب** ﴾ ففى هذه الآيات الكريمات الأمر بعبادته سبحانه والتصريح بأنه خلق الثقلين لهذه العبادة وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيانها والدعوة إليها .

وحقيقة هذه العبادة هى طاعة الله ورسوله ﷺ بالاخلاص لله فى جميع الأعمال والامتثال لأوامره والحذر من نواهيه والتعاون فى ذلك كله وتوجيه القلوب إليه سبحانه فى كل ما يهمها وسؤاله عز وجل جميع الحاجات عن ذل وخضوع وإيمان واخلاص وصدق وتوكل عليه سبحانه ورغبة ورهبة مع القيام بالأساليب التى شرعها لعباده وامرهم بها واباح لهم مباشرتها .

وبهذا كله يستقيم أمر الدنيا والدين وتنظيم مصالح العباد فى أمر المعاش والمعاد ولا صلاح للعباد ولا راحة لقلوبهم ولا طمأنينة لضمائرهم إلا بالأقبال على الله عز وجل والعبادة له وحده والتعظيم لحرماته والخضوع لأوامره والكف عن مناهيه والتواصى بينهم بذلك والتعاون عليه والوقوف عند الحدود التى حد لعباده كما قال عز وجل ﴿ **تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين** ﴾ .

ومن المعلوم انه لا يتم أمر العباد فيما بينهم ولا تنتظم مصالحهم ولا تجتمع كلمتهم ولا يهابهم عدوهم إلا بالتضامن الإسلامى الذى حقيقته التعاون على البر والتقوى والتكافل والتناصر والتعاطف والتناصح والتواصى بالحق والصبر عليه . ولاشك أن هذا من أهم الواجبات الإسلامية والفرائض اللازمة وقد نصت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . على أن التضامن الإسلامى بين المسلمين أفراداً وجماعات حكومات وشعوباً من أهم المهمات ومن الواجبات التى لابد منها لصلاح الجميع واقامة دينهم وحل مشاكلهم وتوحيد صفوفهم وجمع كلمتهم ضد عدوهم المشترك .

والنصوص الواردة فى هذا الباب من الآيات والأحاديث كثيرة جداً ، وهى وان لم ترد بلفظ التضامن فقد وردت بمعناه وما يدل عليه عند أهل العلم والأشياء بحقائقها ومعانيها لا بألفاظها المجردة فالتضامن معناه التعاون والتكاتف والتكافل والتناصر والتناصح والتواصى وما أدى هذا المعنى من الألفاظ .

ويدخل فى ذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الله سبحانه وارشاد الناس إلى أسباب السعادة والنجاة وما فيه صلاح أمر الدنيا والآخرة .

ويدخل فى ذلك أيضاً تعليم الجاهل واغاثة الملهوف ونصر المظلوم ورد الظالم عن ظلمه واقامة الحدود وحفظ الأمن والأخذ على أيدى المفسدين والمخربين وحماية الطرق بين المسلمين داخلاً وخارجاً وتوفير المواصلات البرية والبحرية والجوية والاتصالات السلكية واللاسلكية بينهم لتحقيق المصالح المشتركة الدينية والدنيوية وتسهيل التعاون بين المسلمين فى كل ما يحفظ الحق ويقيم العدل وينشر الأمن والسلام فى كل مكان .

ويدخل فى التضامن أيضاً الاصلاح بين المسلمين وحل النزاع المسلح بينهم وقتال الطائفة الباغية حتى تفىء إلى أمر الله عملا بقول الله عز وجل ﴿ **فاتقوا الله واصلحوا ذات**

بينكم ﴾ وقوله سبحانه ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** ﴾ .

ففى هذه الآيات الكريمات أمر الله المسلمين جميعاً بتقواه سبحانه والقيام بالاصلاح بينهم عموما وبالاصلاح بين الطائفتين المقتتلتين منهم خصوصاً وقتال الطائفة الباغية حتى ترجع عن بغيها وأن يكون الصلح على أسس سليمة قائمة على العدل والانصاف لا على الميل والجور ، وفيها التصريح بأن المؤمنين جميعاً إخوة وإن اختلفت ألوانهم ولغاتهم وتناءت ديارهم فالإسلام يجمعهم ويوحد بينهم ويوجب عليهم العدل فيما بينهم والتصافى والكف عن عدوان بعضهم على بعض ويوجب على اخوانهم الاصلاح بينهم إذا تنازعوا . ثم ختم الله هذه الآية بالأمر بالتقوى وعلق الرحمة على ذلك فقال ﴿ واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ فدل ذلك على أن تقوى الله فى كل الأمور هى سبب الرحمة والعصمة والنجاة وصلاح الأحوال الظاهرة والباطنة .

ويدخل فى التضامن أيضاً تبادل التمثيل السياسى أوما يقوم مقامه بين الحكومات الإسلامية لقصد التعاون على الخير وحل المشاكل التى قد تعرض بينهم بالطرق الشرعية واختيار الرجال الأكفاء فى عملهم ودينهم وأمانتهم لهذه المهمة العظيمة .

ويدخل فى التضامن أيضاً توجيه وسائل الإعلام إلى ما فيه مصلحة الجميع وسعادة الجميع فى أمر الدين والدنيا وتطهيرها مما يضاد ذلك .

ومما ورد فى هذا الأصل الأصيل وهو التضامن الإسلامى والتعاون على البر والتقوى قوله عز وجل ﴿ **ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ أمر الله سبحانه فى هذه الآية الكريمة عباده المؤمنين بأن يتقوه حق تقاته ويستمروا على ذلك ويستقيموا عليه حتى يأتيهم الموت وهم على ذلك ، وما ذاك إلا لما فى تقوى الله عز وجل من صلاح الظاهر والباطن وجمع الكلمة وتوحيد الصف واعداد العبد لأن يكون صالحا مصلحا وهاديا مهديا باذلا النفع لاخوانه كافا للأذى عنهم معينا لهم على كل خير ولهذا أمر الله المؤمنين بعد ذلك بالاعتصام بحبله فقال ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾ وحبل الله سبحانه هو دينه الذى أنزل به كتابه الكريم وبعث به رسوله الأمين محمداً ﷺ والاعتصام

به هو التمسك به والعمل بما فيه والدعوة الى ذلك والاجتماع عليه حتى يكون هدف المسلمين جميعاً ومحورهم الذى عليه المدار ومركز قوتهم هو اعتصامهم بحبله وتحاكمهم إليه وحل مشاكلهم على نوره وهداه وبذلك تجتمع كلمتهم ويتحد هدفهم ويكون ملجأ لكل مسلم فى اطراف الدنيا وغوثا لكل ملهوف وقلعة منيعة وحصناً حصيناً ضد أعدائهم ، وبهذا الاجتماع وهذا الاتحاد وهذا التضامن تعظم هيبتهم فى قلوب أعدائهم ويستحقون النصر والتأييد من الله عز جل ويحفظهم سبحانه من مكائد الأعداء مهما كانت كثرتهم كما وقع ذلك بالفعل لنبينا محمد ﷺ وصحابته الكرام رضى الله عنهم واتباعهم بإحسان فى صدر هذه الأمة ففتحوا البلاد وسادوا العباد وحكموا بالحق وحقق الله لهم وعده الذى لا يخلف كما قال عز وجل ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ وقال سبحانه : ﴿ **ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾ وقال سبحانه : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ان الله بما يعلمون محيط** ﴾ . ففى هذه الآيات الكريمات حث المسلمين وتشجيعهم على التمسك بدينهم والقيام بنصره وذلك هو نصر الله فإنه سبحانه وتعالى فى غاية الغنى عن عباده وإنما المراد بنصره هو نصر دينه وشريعته وأوليائه والله ناصر من نصره وخاذل من خذله وهو القوى العزيز وفى هذه الآيات أيضاً البشارة العظيمة بأن الله عز وجل ينصر من نصره ويستخلفه فى الأرض ويمكن له ويحفظه من مكائد الأعداء .

فالواجب على المسلمين جميعاً أينما كانوا هو الاعتصام بدين الله والتمسك به والتضامن فيما بينهم والتعاون على البر والتقوى ومناصحة من ولاه الله أمرهم والحذر من أسباب الشقاق والخلاف والرجوع فى حل المشاكل إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ والتواصى فى ذلك كله بالحق والصبر عليه مع الحذر من طاعة النفس والشيطان وبذلك يفلحون ويسلمون من كيد أعدائهم ويكتب الله لهم العز والنصر والتمكين فى الأرض والعاقبة الحميدة ويؤلف بين قلوبهم وينزع منها الغل والشحناء وينجيهم من عذابه يوم القيامة . وفى هذا المعنى يقول النبى ﷺ فى الحديث الصحيح « إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا

تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » . أخرجه مسلم فى صحيحه .

ومما ورد فى التضامن الاسلامى قوله جل وعلا : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب** ﴾ .

وهذه الآية الكريمة من أصرح الآيات فى وجوب التضامن الإسلامى الذى حقيقته ومعناه التعاون على البر والتقوى كما سلف بيان ذلك وفيها تحذير المسلمين من التعاون على الاثم والعدوان لما فى ذلك من الفساد الكبير والعواقب الوخيمة والتعرض لغضب الله سبحانه وتسليط الأعداء وتفريق الكلمة واختلاف الصفوف وحصول التنازع المفضى إلى الفشل والخذلان . نسأل الله للمسلمين العافية من ذلك . وفى قوله سبحانه فى ختام الآية : ﴿ **واتقوا الله إن الله شديد العقاب** ﴾ تحذير للمسلمين من مخالفة أمره وارتكاب نهيه فينزل بهم عقابه الذى لا طاقة لهم به .

ومن الآيات الواردة فى التضامن أيضا قوله عزوجل : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله** ﴾ وهذه الصفات العظيمة هى جماع الخير وعنوان السعادة وسبب صلاح أمر الدنيا والآخرة ولهذا علق سبحانه وتعالى رحمتهم على هذه الصفات الجليلة فقال : ﴿ **أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ ، فتبين بذلك أن الرحمة والنصر على العدو وسلامة العاقبة كل ذلك مرتب على القيام بحق الله وحق عباده ولا يتم ذلك إلا بالتناصح والتعاون والتضامن والصدق فى طلب الآخرة والرغبة فيما عند الله والانصاف من النفس وتحرى سبيل العدل وفى هذا المعنى يقول عزوجل ﴿ **ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا ، فإن الله كان بما تعملون خبيراً** ﴾ ، ويقول عزوجل فى سورة المائدة : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون** ﴾ وفى هاتين الآيتين أمر المؤمنين ان يقوموا لله بالقسط وان يشهدوا له بذلك فى حق العدو والصديق والقريب والبعيد . وقال تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾ .

ومما ورد من الأحاديث الشريفة فى التضامن الإسلامى الذى هو التعاون على البر والتقوى قول النبى ﷺ « الدين النصيحة » قيل لمن يارسول الله ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » اخرجه مسلم فى صحيحه ، وقوله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وشبك اصابعه . وقوله ﷺ : « مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » ، أخرجهما البخارى ومسلم فى صحيحيهما .

فهذه الأحاديث وما جاء فى معناها تدل دلالة ظاهرة على وجوب التضامن بين المسلمين والتراحم والتعاطف والتعاون على كل خير . وفى تشبيههم بالبناء الواحد والجسد الواحد ما يدل على انهم بتضامنهم وتعاونهم وتراحمهم تجتمع كلمتهم وينتظم صفهم ويسلمون من شر عدوهم فواجب المسلمين جميعاً أن يتعاونوا على البر والتقوى وأن يدعوا إلى الحق والهدى وان يعنوا غاية العناية فى الدعوة إلى تضامن المسلمين وان يبذلوا جميعاً ما يستطيعون من الوسائل فى نشر هذه الدعوة ومساندة الداعين اليها وشرح محاسنها ومصالحها لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم حتى يتحقق للجميع ما يرجونه من عز فى الدنيا وسعادة فى لآخرة ، عملا بقول الله سبحانه ﴿ **كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ . وقوله تعالى ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ .

وإمام الجميع فى هذه الدعوة العظيمة وقدوتهم فى هذا السبيل القيم هو نبيهم وسيدهم وقائدهم الأعظم نبينا محمد رسول الله ﷺ فهو أول من دعا هذه الأمة الى توحيد ربها والاعتصام بحبله وجمع كلمتها على الحق والوقوف صفاً واحداً فى وجه عدوها المشترك ، وفى تحقيق مصالحها وقضاياها العادلة عملا بقوله تعالى مخاطبا له : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ قل هذه سبيلى ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ﴾

وقد سار على نهجه القويم صحابته الكرام واتباعهم باحسان رضى الله عنهم وارضاهم فنجحوا فى ذلك غاية النجاح وحقق الله لهم ما وعدهم به من عزة وكرامة ونصر كما سبق التنبيه على ذلك والاشارة إليه أول هذه الكلمة ، ولا ريب أن الله عز وجل إنما حقق لهم ما تقدمت الاشارة إليه بإيمانهم الصادق وجهادهم العظيم وأعمالهم الصالحة وصبرهم ومصابرتهم وصدقهم فى القول والعمل وتضامنهم وتكاتفهم فى ذلك لا بانسابهم ولا

بأمـوالهم . كما قال تعـالى : ﴿ **ومـا أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمـل صالحـاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون** ﴾ وكما قال النبى ﷺ « من ابطأ به عمله لم يسـرع به نسبـه » وقـال عليـه الصلاة والسلام : « إن الله لا ينظـر إلى صوركم ولا إلى أمـوالكم ولكن ينظـر إلى قلوبكم وأعـمالكم » اخرجهما مسلم فى صحيحـه فمن سار على سبيلهم ونهـج نهجهم اعطـاه الله كما اعطـاهم وايده كما ايدهم فهو القـائـل عز وجـل فى كتابه المبين : ﴿ **انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهـاد يوم لا ينفـع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ وهو القائل سبحانه : ﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون** ﴾ وهو القائل عز وجل : ﴿ **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** ﴾ .

والله عز وجل المسؤول ان يجمع كلمة المسلمين على الهدى وان يفقههم فى دينه وان يصلح ولاة أمـرهـم ويهـديهم جميعـا صراطه المستقيم وان يمنحهـم الصدق فى التضامن بينهم والتنـاصـح والتعـاون على الخـير وان يعيـذهـم من التفرق والاختلاف ومضلات الفتن وان يحفظهم من مكائد الأعداء انه ولى ذلك والقادر عليه . . وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

قيادة مسـلمة

عندما التقى المسلمون والفرس فى القادسية أمر ***سعد بن أبى وقاص*** *ـ رضى الله عنـه ـ جنـوده المسلمين بقراءة سورة الجهاد «الأنفال» فلما فرغوا منها قال لهم :*

الـزمـوا مواقفكم حتى تصلوا الظهـر ، فإذا صليتم ، فإنى مكـبر تكبيرة ، فكبروا واستعدوا ، فإذا سمعتم الثانية ، فكبروا والبسوا عدتكم ، فإذا سمعتم الثـالثـة فكـبروا ونشطـوا النـاس ، فإذا كبرت الرابعة فازحفوا حتى تخالطوا عدوكم ، وقولوا :

«لا حول ولا قوة إلا بالله» .

الإسلام يسد منافذ الفرقة والاختلاف ويصون عوامل الوحدة والائتلاف

للدكتور جمعة على الخولى
رئيس قسم الدعوة بالجامعة

يحرص الإسلام حرصاً بالغاً على أن تبقى أواصر الود والائتلاف بين المسلمين متينة العود، صلبة القوام، لا يكدرها غيم، ولا يوهنها كيد.. ولذلك نفر من كل ما من شأنه أن يوغر الصدور أو يوهى رباط الاخوة.

فحرم الغيبة والنميمة :

لما لهما من أثر سيء على علاقات الناس، قال عليه الصلاة والسلام «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله»[1] وجاء فى خطبة الوداع «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا»[2].

والغيبة كما قال عليه الصلاة والسلام هى «ذكرك أخاك بما يكره، فإن كان فيه فقد أغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته»[3] ومعنى بهته افتريت عليه الكذب.

والنميمة هى نقل الكلام بين الناس على جهة الافساد، قال عليه الصلاة والسلام «لا يدخل الجنة نمام»[4] وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يبلغنى أحد عن أصحابى شيئاً فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»[5].

ونفر من المراء والجدال :

لما يولده ذلك من الخصومة والاختلاف، ويورثه من الفرقة والتعدد، روى ابن ماجة عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»[6]

---

(١) مسلم رقم ٢٥٦٤ ترتيب فؤاد عبد الباقى
(٢) البخارى جـ١/١٤٥ ومسلم ١٦٧٩.
(٣) مسلم ٢٥٨٩.
(٤) مسلم /١٠٥.
(٥) أبو داود ٤٨٦٠ والترمذى ٣٨٩٣.
(٦) ابن ماجة جـ١/١٩.

ثم تلا هذه الآية ﴿**بل هم قوم خصمون**﴾ (الزخرف: ٥٨) وكذا رواه الترمذى وقال حسن صحيح .

وكذا روى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال «من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا فى ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة»[١] وقال أبو الدرداء «كفى بك إثما ألا تزال ممارياً» .

ونهى عن التباغض والتقاطع والتدابر :

وفى الحديث «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[٢] .

وفيه أيضا «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال «انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا»[٣] .

كما نهى عن احتقار المسلم ولمزه والسخرية به والتجسس عليه وسوء الظن به من غير ضرورة :

قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ (الحجرات: ١١) .

وقال عليه الصلاة والسلام «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم»[٤] وقال «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[٥] .

وأتى برجل إلى ابن مسعود فقيل له «فلان هذا تقطر لحيته خمرا، فقال: إنا نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شىء نأخذ به»[٦] .

---

(١) فى لفظ لابن ماجة جـ١ / ٢٠ (من ترك الكذب وهو باطل بنى له قصر فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له فى وسطها. ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها) .
(٢) البخارى ومسلم (انظر فتح البارى جـ١٠/ ٤٠١ ومسلم ٢٥٥٩ .
(٣) مسلم ٢٥٦٥ .
(٤) مسلم ٢٥٦٤ .
(٥) البخارى جـ١٠ / ٤٠٤ ومسلم ٢٥٦٣ .
(٦) أبو داود ٤٨٩٠ .

ونهى عن إظهار الشماتة بالمسلم :

عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ «لاتظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك»(١) والشماتة هى الفرح ببلية الغير .

★ ★ ★ ★

وهكذا حاول الإسلام أن يبعد أتباعه عن كل ما من شأنه أن ينفر بعضهم من بعض، أو يقطع صلات بعضهم ببعض، وكان رسول الله ﷺ شديد الكره للفرقة والاختلاف، كثير التحذير من عواقبهما السيئة، ولذلك كان يحارب كل مظهر يشى بالفرقة والشذوذ، أو يدل على التشتت والانقسام .

عن أبى ثعلبة . . كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرقوا فى الشعاب والأودية ـ ولعل ذلك كان لتفيهؤهم الظل وأماكن الشجر ـ فقال النبى ﷺ إن تفرقكم هذا من الشيطان . . فلم ينزلوا بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال «لو بسط ثوب عليهم لعمهم»(٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «أما يخشى أحدكم ـ إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار»(٣) .

وهكذا ترهب السنة من الخروج على صورة التجمع الإسلامى وتهدد من يشذ عن الجماعة ولو كان يؤدى عبادة . روى الترمذى بسنده عن عبد الله بن عمر أن النبى ﷺ قال «عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة» .

إن الحفاظ على وحدة الصف الإسلامى والابقاء على جماعته وأمته قربة عظيمة يجب أن تمحى من أجلها كل ما يشينها أو يخلخلها، ولذلك فإن الإسلام فى الوقت الذى نفر فيه من عوامل الفرقة والاختلاف، بارك كل ما من شأنه أن يقوى الروابط، ويشيع الألفة، وكافأ على ذلك الأجر الجزيل .

فدعا إلى التآخى والتواد والتحابب فى الله :

قال تعالى ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات : ١٠) وجاء فى الحديث القدسى

---

(١) الترمذى ٢٥٠٨ .

(٢) أبو داود كتاب الجهاد جـ٣/٩٥ وأحمد جـ٤/١٩٣ .

(٣) متفق عليه عن أبى هريرة، البخارى كتاب الآذان ومسلم كتاب الصلاة .

«المتحابون فى جلالى هم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء»[1] وفى رواية للإمام مالك «وجبت محبتى للمتحابين فى والمتجالسين فى . والمتزاورين فى . والمتباذلين فى» .

وروى أبو داود بسنده عن عمر بن الخطاب قال، قال رسول الله ﷺ «إن من عباد الله لأناساً ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله، قالوا يارسول الله تخبرنا من هم، قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية من سورة يونس ﴿**ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون**﴾[2] .

ودعا إلى المصافحة والبشر عند اللقاء :

قال عليه الصلاة والسلام «إذا التقى المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشرا بصاحبه، فإذا تصافحا أنزل الله عليهما مائة رحمة للبادى تسعون وللمصافح عشرة»[3] وذلك لأن المصافحة كالبيعة، ومن شرط الإيمان الأخوة والولاية، فإذا لقى المسلم أخاه فصافحه فكأنه بايعه على هاتين الخصلتين ـ الأخوة والولاية ـ ففى كل مرة يلقاه يجدد بيعته، فيجدد الله ثوابها كما يجدد للحامد على النعمة ثوابا على شكرها، فإذا فارقه بعد مصافحته لم يخل فى أثناء ذلك من خلل فيجدد عند لقائه، فالسابق إلى التجديد له من المائة تسعون لاهتمامه بشأن التمسك بالأخوة والولاية، ومسارعته إلى تجديد ما وهى منها، وحثه على ذلك وحرصه عليه»[4] .

كما دعا إلى التعاون والتناصر ودعم أواصر الجماعة :

قال تعالى ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان**﴾ (المائدة: ٢) .

ومن توجيهات الرسول ﷺ فى هذا الباب ما يلى :

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك عليه الصلاة والسلام بين أصابعه»[5] .

---

(١) الترمذى وابن ماجة كتاب الزهد .
(٢) أبو داود جـ٣/ ٧٩٩، كتاب البيوع .
(٣) البزار والطبرانى والحكيم فى النوادر (انظر فيض القدير جـ١/ ٣٠١
(٤) انظر فيض القدير جـ١/ ٣٠١ .
(٥) البخارى كتاب الصلاة ومسلم كتاب البر .

«المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله، وإذا اشتكى رأسه اشتكى كله»[1].

«المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه»[2].

«من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[3].

«من يسر على معسر فى الدنيا يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما فى الدنيا ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه»[4].

«من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا. ومن خلف غازيا فى أهله فقد غزا»[5].

«انصر أخاك ظالما أو مظلوما، قيل يارسول الله أنصره إذا كان مظلوما، فكيف أنصره إن كان ظالما، ؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره»[6].

كما دعا الإسلام إلى التزاور بين الإخوان فى الله :

روى مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ «أن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لى فى هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ أى تحفظها وتربيها وتسعى فى إصلاحها، قال: لا. غير أنى أحببته فى الله. قال: فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[7].

وروى الترمذى عن أبى هريرة أيضا قال: قال رسول الله ﷺ «من عاد مريضا أو زار أخا فى الله ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً».

النزاع والشقاق مدمر للأمة مذهب لريحها :

من قوانين المجتمعات الإنسانية التى لا تتخلف أن «الاتحاد قوة والتفرق ضعف» فإذا اتحدت الأمة عز جانبها، وقوى سلطانها، واحترمها العدو والصديق، أما إذا تفرقت وتوزعت طمع فيها من لا يدفع عن نفسه. . ولذلك بين الله عز وجل للأمة الاسلامية أن عقبى الخلاف والنزاع قاتلة وذلك فى قوله تعالى: ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾

---

(١) مسلم عن النعمان بن بشير ـ كتاب البر.
(٢) أبو داود والترمذى.
(٣) أبو داود وكتاب الأدب.
(٤) مسلم عن أبى هريرة كتاب الذكر.
(٥) البخارى كتاب الجهاد ومسلم كتاب الامارة.
(٦) البخارى كتاب المظالم ومسلم كتاب البر.
(٧) أحمد جـ٢/٢٩٢ ، ٤٠٨ ، ٤٦٢.

(الأنفال: ٤٦) فالنزاع والخلاف واتباع الأهواء لن يورث إلا المذلة والفشل، وقد جنت الأمة من وراء ذلك المر والحنظل، كما ينبه الله فى آية أخرى أن افتراق الأمة وتمزقها شيعا متناحرة إنما هو كارثة اجتماعية مدمرة لا تقل فى خطورتها عن خطورة الكوارث الكونية الأخرى التى تبدل الأرض غير الأرض، وذلك فى قوله تعالى ﴿**قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض**﴾ (الأنعام: ٦٥) فالآية كما ترى تقرن الوعيد بافتراق الأمة شيعاً وأحزاباً بالكوارث الكونية المدمرة كالحرق والغرق.

وهذا يدل على أن تمزق الأمة من الداخل بلاء خطير يقضى عليها ولا تجد من يرثى لها ولقد ساق المفسرون عند شرح هذه الأحاديث عدة أحاديث منها ما رواه الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال «إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإنى سألت ربى لأمتى ألا يهلكها بسنة عامة وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربى قال يامحمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لايرد، وإنى أعطيت لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة، وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من أقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبى بعضهم بعضا»[1].

وهذا الحديث يعطى - ضمن ما يعطى - أن الأمة الإسلامية لا تزال قوة غالبة مادامت محتفظة بمقومات الغلبة والقوامة من الاجتماع على شريعة الله والاعتصام بحبله المتين، عندئذ لا تستطيع قوة فى الأرض مهما بلغت من العتو والفجور أن تنال منها شيئاً، ولو اجتمعت عليها من كل جانب.. ومن هذا نفهم أن أخطر بلاء يصيب الأمة هو تمزيق وحدتها من الداخل.. وأن الفرقة تصنع مالا يصنعه الأعداء.. ولاشك أن الفرقة والاختلاف نتيجة حتمية لبعد الناس عن التطبيق النظرى والعملى لشرع الله، عندئذ تلعب بهم الأهواء وتظهر القوميات والعصبيات وكل ما يجر الشقاق والبلاء، ولذلك وجهنا القرآن الكريم إلى العصمة من هذا كله فقال ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**﴾ (آل عمران: ١٠٣).

---

(١) مسلم كتاب الفتن.

فالنجاة مما تعانيه الأمة من عواقب الفرقة والاختلاف تكمن فى الاعتصام بحبل الله والتجمع حول عقيدته ونهجه ودينه، وليس على أى تصور آخر، أو تحت راية أخرى. ذكر ابن اسحق وغيره أن هذه الآية ـ والآيات قبلها ـ نزلت فى شأن الأوس والخزرج، وذلك أن رجلا من اليهود يدعى شاس بن قيس مر بملأ من الأوس والخزرج، فساءه ما هم عليه من الاتفاق والألفة، فبعث رجلاً معه، وأمره أن يجلس بينهم وأن يذكرهم ما كان بينهم من حروب. . ففعل، فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم، وغضب بعضهم على بعض، وتثاوروا، ونادوا بشعارهم، وطلبوا أسلحتهم، وتوعدوا إلى الحرة، فبلغ ذلك النبى ﷺ. فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم» وتلا عليهم هذه الآية، فندموا على ما كان منهم، واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح رضى الله عنهم. . وكذلك بين الله لهم فاهتدوا، وكذلك يبين الله لنا ﴿**كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**﴾ .

مؤتمر على الطريق :

ولقد فطن المسئولون فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة إلى الخطر الذى يتهدد المسلمين من جراء فرقتهم واختلافهم. . فدعوا إلى **المؤتمر العالمى الثانى لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة بناء على الموافقة السامية على انعقاده فى شهر ربيع الأول من هذا العام سنة ١٤٠٤ هـ** ، وإنها لبادرة طيبة ويقظة مباركة من الجامعة أن تجعل الموضوع الرئيسى للمؤتمر «**سبيل الدعوة الإسلامية إلى تحقيق التضامن الإسلامى ووحدة المسلمين**» وذلك بعد أن تردى بالمسلمين الحال إلى درجة طمع فيهم عدوهم وتجرأ عليهم أراذل خلق الله وأجبنهم من الصهاينة الذين وصفهم الله بقوله ﴿**لايقاتلوكم جميعاً إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون**﴾ (الحشر: ١٤) .

أجل «إنها ليقظة جليلة موفقة ـ نسأل الله أن يباركها ويكتب لها العون والنجاح ـ جاءت فى وقت اشتدت فيه حاجة المسلمين إلى التضامن والوحدة، ونبذ الخلافات والأهواء، والالتقاء على كلمة سواء» .

ومن يمن هذا المؤتمر أن ينعقد فى طيبة الطيبة، مركز الهجرة، وعاصمة الدولة الإسلامية الأولى. . فمن هذا المكان الطاهر المقدس جمع النبى ﷺ القبائل المتنافرة فى حزمة متآلفة وقضى على الأطماع الشخصية والرايات العنصرية ووحد الجميع تحت راية التوحيد فأصبحوا بنعمة الله إخواناً متحابين .

واليوم يجىء علماء الأمة من كل أصقاع الأرض إلى دار التوحيد والوحدة يحدوهم الأمل فى أن يرسموا للأمة طريق الخلاص من واقعها الأليم . .

فاللهم إن هذه الجموع التى قطعت الفيافى والقفار التقت قلوبها على محبتك ، ونصرة دينك وبإعلاء كلمتك ، فأيد اللهم يارب جهودها ، وامنحها عونك ونورك ، ورضاك وتوفيقك ، وكلل عملها ومسعاها بالنجاح والفلاح ، إنك يامولانا نعم المولى ونعم النصير .

مرتكزات التضامن والوحدة

للشيخ عطية محمد سالم

المدرس بالمسجد النبوي والقاضي بمحكمة المدينة المنورة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد :

ان الحديث عن التضامن الإسلامى والوحدة الإسلامية لهو فى حقيقته ومعناه حديث عن الإسلام، وعن الامة الإسلامية .

إذ أن التضامن كما يقال على وزن تفاعل ولا يكون إلا بين أطراف متعددة تعمل متضامنة على تحصيل ما يضمن لها تحقيق سعادتها ويكفل لها متطلبات حياتها فى عزة وكرامة. وحرية إرادة، واقامة مجتمع فاضل تسوده العدالة وتظله الحرية ويعمه الأمن والرخاء .

وعليه فإن التضامن الإسلامى بهذا المعنى هوبعينه الدعوة إلى الإسلام بكل معانيه وتعاليمه ومناهجه .

بل ان مفهوم التضامن هونتيجة حتمية لدعوة الرسل جميعا الذين دعوا أممهم لعبادة الله وحده والالتفاف حول ما دعوهم إليه، والالتزام بما جاءوهم به من عند الله كما قال ﷺ نحن معاشر الأنبياء أبناء علات ديننا واحد. وقوله سبحانه فى دعوة إبراهيم - عليه السلام - وإسماعيل فى رفع بناء البيت: ﴿**ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله ابائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون**﴾ .

وبعد محاجة اليهود والنصارى وابطالها أمر سبحانه المؤمنين أن يعلنوها صريحة :
﴿**قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**﴾ .

فالدعوة إلى التضامن الإسلامى والوحدة الإسلامية دعوة إلى الإسلام الذى دعت إليه جميع الرسل فى جميع الأمم .

تعدد الدعوات المعاصرة :

والدعوة إلى التضامن الإسلامى ووحدة العالم الإسلامى قد جاءت فى هذا العصر الذى كثرت فيه الدعوات وتميزت فيه التكتلات ، واختلفت فيه مناهج الحياة وكل حزب بما لديهم فرحون . وقد غشيت العالم الإسلامى من هذا كله سحب معتمة حجبت عن الكثيرين أضواء الحقيقة . وغزت عقول المسلمين حملات فكرية مشككة أوقعت العوام فى حيرة وتركتهم فى متاهة . تشتت فيها الصفوف وتفرقت فيها الكلمة وضاعت فيها الشخصية الإسلامية السليمة فطمع فيهم العدو وعجز عن مساعدتهم الصديق .

فاغتصبت بلادهم ، ونهبت ثرواتهم ، ودنست مقدساتهم . وعجز العالم كله ماثلا فى المنظمة العالمية (هيئة الأمم) أن يفعل لنا شيئا مهما كان الحق واضحا والظلم فادحا . وأصبحنا على كثرة عددنا نكاد لا يعبأ بنا فتخلفنا عن مكانتنا المرموقة وتخلينا عن مواقع قيادتنا الحكيمة .

بل أصبحنا تبعا لغيرنا وبدون اختيارنا . الأمر الذى جعل المخلصين من ولاة أمورنا يبحثون عن الشخصية الإسلامية الضائعة وعن المنهج العملى الصالح ويتطلبون أقوم السبل التى تعيدنا إلى ما كنا عليه وترد لنا حقوقنا وتخلصنا من تبعيتنا لغيرنا ونصبح حيث وصفنا الله تعالى : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ .

فأيقن أولئك المخلصون أن لن يصلح آخر هذه الأمة إلا الذى أصلح أولها ألا وهو العودة إلى الإسلام وليست تلك الدعوات الزائفة ولا المفلسفة فدعوا إلى التضامن الإسلامى والوحدة الإسلامية .

وكان من فضل الله وتوفيقه أن يكون انطلاقها من مهبط الوحى ومنطلق الرسالة يقودها خادم الحرمين الشريفين وتتبناها رابطة العالم الإسلامى برحاب بيت الله تعالى .

ثم يأتى هذا المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة فينعقد وللدورة الثانية فى مدينة رسول الله ﷺ التى انطلق منها الغزاة والدعاة على السواء .

وموضوعه الآن : سبيل الدعوة الإسلامية إلى تحقيق التضامن الإسلامى ووحدة المسلمين وقد حددت أهداف هذا المؤتمر فى أهداف نبيلة بناءة واضحة وافية وهى كالآتى :

أهداف المؤتمر :

جاءت أهدافه محددة فى خمس نقاط وهى :-

١ ـ تبصير الأمة بالطريق الذى رسمته الدعوة لتحقيق التضامن والوحدة لتعود كما كانت وكما يريد لها دينها أن تكون ﴿**وآعتصموا بحبل الله**﴾ . ﴿**ان هذه أمتكم أمة واحدة**﴾ .

٢ ـ تعميق الانتماء والولاء للأمة الواحدة عقيدة وسلوكا ، والتجاوب مع مقوماتها من الأخوة والولاية ، والتضامن ، والاعتزاز بما اختصها الله به من الخيرية ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ . ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**﴾ .

٣ ـ إيجاد رأى عام إسلامى قوى يعى عن إيمان وبصيرة على هدى الكتاب والسنة حقيقة التضامن والوحدة ، ويربط حركته بهما فى كل جوانب الحياة واتجاهاتها .

٤ ـ تحكيم شريعة الإسلام بين جميع المسلمين والتسليم بما حكم به .

٥ ـ أن يتحقق للأمة الإسلامية ما تسعى إليه من التقدم والقوة ، وأن يراها العالم فى مكانتها التى يجب أن تكون فيها لكى تعطى ذلك المكان ما هو مفتقر إليه لتصحيح أوضاعه وإصلاح حياته .

وهذه الأهداف كلها تلتقى مع العمل الجاد الأكيد الشامل لكل الأفراد وعلى مختلف المستويات للانضواء تحت راية الدعوة إلى التضامن الإسلامى وتطبيقه عمليا على واقع حياتنا وفى منهج سلوكنا .

وقد وضعت عناوين لمواضيع مختلفة كفيلة بتحقيق هذه الأهداف بلغ عددها الثلاثين عنوانا . . .

ومنها ومن أهمها الموضوع الثانى بعنوان مرتكزات التضامن والوحدة وبما أن المرتكزات فى كل شىء وهى جمع ركيزة ما تكون بمثابة القواعد والأسس التى يقوم عليها وظهرت لى أهمية العناية بهذا الموضوع أحببت الكتابة فيه آملا التوفيق والسداد ومن الله تعالى العون والتأييد . . .

تمهيد بين يدى الموضوع :

ان المتأمل لتاريخ الدعوات التى ظهرت فى المجتمع الإنسانى أيا كان شعارها وخاصة فى منطقة الشرق الأوسط وبالأخص فى دول المنطقة فان لكل دعوة مرتكزات ترتكز عليها، ومنطلقات تنطلق منها. وقد تزيف أو تفلسف بما يوهم العامة ويغريهم بها .

من ذلك الدعوة إلى القومية فإنها ترتكز على الجنس والعنصر ولا تبالى بالمبادىء ولا بالعقائد، أشبه ما تكون بدعوى الجاهلية من التعصب للقبيلة ويكفى لفساد هذه الدعوة أنها كانت ولا تزال السبب فى تمزيق الأمم التى تظهر فيها وأول خطر منها على العالم ضياع الدولة العثمانية إذ عمل اليهود على إثارة الأتراك ضد العرب وحرضوهم على اختصاص تركيا بالأتراك، فكانت ثورة (أتا ترك) وضياع الخلافة العثمانية وتمزيق العالم الإسلامى دويلات .

وفى أوروبا القومية الجرمانية وغير ذلك .

وآخر الويلات التى جاءت بها دعوة القومية تقسيم قبرص بين الجنسية التركية والجنسية اليونانية .

ومما يندى له الجبين ما سمعته فى نجيريا فى رحلة داخلية ضمن بعثة الجامعة الإسلامية مع الزعيم الراحل أحمد بلو أنه أثناء الحرب الفلسطينية جهزت سفينة حربية لتتجه إلى فلسطين لانقاذ القدس فسمع المسؤولون التنادى بالقومية العربية وأن على العرب حماية القدس وعليهم مسؤوليتها، فقال المسؤولون هناك إذا كانت القضية الفلسطينية قضية عربية وليست إسلامية فلسنا بعرب وأمروا السفينة بالعودة .

ومن ذلك الدعوة إلى الوطنية. وكان من سوء نتائجها على الشعب البريطانى صاحب المدنية والحضارة حينما طرد عيدى أمين جميع الرعايا البريطانيين من بلده امتنع الشعب البريطانى فى بريطانيا أن يقبلهم بدعوى أنهم استوطنوا غير وطنهم. إلى غير ذلك مما شهده العالم أخيرا .

وكل تلك الدعوات مع خطورتها فإنها محدودة الأفق محصورة الموطن مهزوزة المرتكزات لم تلبث أن تنهار فتنهدم بأصحابها .

وبعض تلك الدعوات قد تأباها فطر البشر فتفرض عليهم بقوة السلطة كالاشتراكية والتمييز العنصرى، فتسلب الفرد أخص خصائص الإنسانية وهى حرية الاختيار، وتعطيل الارادة وأهدار الكرامة .

أما دعوة التضامن الإسلامى والوحدة الإسلامية :

فهى دعوة تتفق تماما مع فطرة الإنسان التى فطره الله عليها وتساير طبيعته كل المسايرة وتتجاوب مع جبلته إلى أعماق نفسه .

ولهذا فلقد لمست شغاف القلوب واستجابت معها العواطف . فبرزت بين تلك الدعوات العديدة وكتب لها البقاء وقوبلت بقبول حسن لأنها ارتكزت على مرتكزات أصيلة وعميقة وعملية واقعية لم تخرج عن طبيعة الإنسان ولم تغاير عقيدته الإسلامية ولم تصطدم مع واقع حياته التى يحياها فى هذا العالم. وهذا هو الاطار الكلى للفرد المسلم وللمجتمع الإسلامى .

وتتلخص تلك المرتكزات فى نظرى فى ثلاثة أمور :ـ

(١) سنة الحياة وتكوين الإنسان .

(٢) منهج التشريع الإسلامى جملة وتفصيلا .

(٣) الواقع السياسى والوضع الاجتماعى الذى نعيشه مع العالم حولنا . . .

ولكل مرتكز من هذه المرتكزات معطياتها، وفعاليتها لو تأملها كل عاقل وكل مسلم لما حاد عنها ولبادر إلى الانتماء إليها ولعرف أنها هى السبيل الوحيد التى تحقق له كل ما يتطلع إليه من استرجاع حقوقه المسلوبة والحاقه بأمجاد اسلافه .

وسنحاول بعون الله تعالى وتوفيقه بيان كل مرتكز من هذه الثلاثة ومدى عطائه لدعوة التضامن والوحدة . . .

وانى لآمل أن أكون بهذا العمل المحدود وجهد الطاقة حسب ما أجتزؤه من الوقت وأزاحم به من الأعمال قد أسهمت ولو بأيسر اليسير بين الثلاثين موضوعا ومن بين العديدين من أفاضل الكتاب الذين تمكنهم ظروفهم من الاستيفاء والاستقصاء وبالله التوفيق . . .

المرتكز الأول : تكوين الإنسان وسنن الحياة

قام تكوين الإنسان على أن يكون تعاونيا متضامنا مع غيره لا انعزاليا منفردا بنفسه . ولعل معنى إنسان من الايناس .

ففى تاريخ هذا الإنسان لم يستطع الإنسان الأول وهو أبو البشر آدم عليه السلام أن يعيش وحده ولو كان فى جنة الفردوس . فخلق الله له من نفسه زوجة يسكن إليها ﴿**هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها**﴾ . (الأعراف : ١٨٩) .

قال ابن كثير فى تفسيره (ج١ ص٧٩) ويقال ان خلق حواء كان بعد دخوله الجنة كما قال السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة : أخرج ابليس من الجنة وأسكن آدم الجنة فكان يمشى فيها وحيشا ليس له زوج يسكن إليه فنام نومة فأستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ، فسألها من أنت؟ .

قالت : امرأة. قال: ولم خلقت؟ . قالت: لتسكن لى . . .

وذلك مايشعر بأن تكوين الإنسان أساسا تكوينا جماعيا تعاونيا .

ثم بعد هبوطه إلى الأرض كانت حاجته أشد إلى من يعاونه فيها فبدأ بالانجاب وتزاوج الأولاد وايجاد الأجيال والحفاظ على بقاء النوع . ومن ثم تقاسم أعباء الحياة .

ثم كانت الجماعة البشرية أمام العوامل الكونية التى اضطرتها اضطرارا على التضامن والتعاون والاتحاد لتواجه مجتمعة تلك العوامل التى لا يستطيع الفرد أن يواجهها كحماية أنفسهم من المخلوقات المتوحشة وكتذليل الصعاب فى الأرض لاستنبات نباتها ، واستحصاد زرعها ، واستخراج كنوزها ، وتصنيع موادها مما يحتاجونه فى حياتهم على هذه الأرض .

ثم بعد انتشار الجماعة وتكاثر الجماعات جاءت التنظيمات الجماعية التى تميزت فيها التخصصات الميدانية وتخصص لها بعض أفراد الجماعة .

١ ـ فتميز مثلا مجال الاقتصاد من مآكل وملبس ومسكن وتخصص له رجال يعملون وينتجون ما يوفر للجماعة حاجتها الاقتصادية .

٢ ـ وتميز مجال الدفاع وحفظ الأمن ، وتخصص له عسكريون ومدافعون .

٣ ـ وتميز مجال الطب والعلاج وتخصص له أطباء ومعالجون .

٤ ـ وتميز مجال التعليم وغير ذاك من المجالات بقدر ما تستجد حاجة الأمة .

٥ ـ ومن وراء ذلك كله السياسة والحكم والحكام والسياسيون مما هو فى حكم الضرورة للجماعات البشرية ولا يمكن أن تقوم كلها ولا بعضها إلا بتعاون الأفراد بعضهم البعض بل ان كل تلك المجالات ذات الاختصاصات لا يمكن أن تقوم واحدة منها منفردة بدون معاونة مع الآخرين .

وانا لنلمس ونشاهد ذلك فى عالمنا المعاصر فى جميع مؤسساته وفى مجموعها فيما بينها . ففى جميعها نجد أن كل مؤسسة تشتمل رئيسا ومرؤسين وجميعهم من القاعدة إلى القمة كل فى موقعه يؤدى واجبه . ولا غنى لرئيس عن مرؤس .

وكذلك فيما بين تلك المؤسسات كل منها تؤدى دورها فى خدمة المجتمع مما لا تؤديه غيرها . وكل منها خادم ومخدوم فى دائرة التعاون والتضامن كما قيل :

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

فسنة الحياة تلزم الأحياء أفرادا وجماعات بالتضامن معا ، وقد امتد فشمل هذا المرتكز الطبيعى جميع دول العالم كله اليوم طوعا أو كرها سواء كان فى السلم أو فى الحرب .

عن طريق تبادل منافعهم فيما بينهم فعند هذه سلع وانتاج ولتلك حاجة ماسة إليها وقد قامت السوق الأوربية بين دول أوربا بتنظيم هذه العلاقة بسبب تفاوت الثروات الطبيعية والكفاءات البشرية . فالسلعة التى تفيض عند هذه تحتاجها تلك وكذلك العكس وهلم جرا .

ولا يمكن لأمة اليوم أن تعيش فى معزل عن العالم حيث ارتبطت كلها بمصالح مشتركة فهى تسير فى نظام تضامن الزامى تمليه ظروف الحياة وتطورات العالم وعلى سبيل المثال ترابط العالم فى تسيير الخطوط الجوية والخدمات البريدية ، والأعمال المصرفية ، والاصدارات المالية ، والتمثيل الدبلوماسى وغير ذلك مما له الصبغة العالمية .

ولا يبعد من يقول ان هذه السنة الكونية التعاونية ليست قاصرة على الإنسان بل هى أيضا موجودة فى عالم الحيوانات والحشرات ولا أدل على ذلك من عالم النحل والنمل .

وعلى هذا فإن هذا المرتكز التضامنى فطرى كونى وهو الزامى جبرى ليس للإنسان فيه اختيار ولا له عنه استغناء .

فإذا كان هذا المرتكز الفطرى يقع فى اطار إسلامى، وكانت دعوة التضامن من هذا المنطلق دعوة فطرية تساير الفطرة وتساندها طبيعة الحياة .

وإذا كان لابد للإنسان أن يتضامن مع غيره ولكل جماعة أن تتعاون مع غيرها على أى مبدأ كان سواء كان عنصريا بالجنس أووطنيا بالموطن أو اقتصاديا بالانتاج أوعسكريا بالأحلاف فلأن يكون باسم ومنهج الإسلام من باب أولى حيث أنه منهج التعاون على البر والتقوى. وأن الخلق كلهم عباد الله والأرض كلها له سبحانه. . .

المرتكز الثانى : منهج التشريع الإسلامى :

ولكى نحدد معالم هذا المنهج نعود إلى مدلول التضامن والغرض منه وهو أن يجد الإنسان فردا كان أو جماعة ما يضمن له حياة أفضل يتوفر له فيها ما ينقصه، ويسلم فيها مما يضره ومعلوم أن هذين المطلبين جلب النفع ودفع الضر هما مطلب كل عاقل كما قيل :

إذا أنت لم تنفع فضر فإنما　　　يراد الفتى كيما يضر وينفع

أى يضر عدوه أو ينفع صديقه .

ومنهج الإسلام شامل لهذين المطلبين ومعهما الحث على مكارم الأخلاق وهو مطلب إنسانى كما قال أكثم بن صيفى حين بلغه أمر ظهور دعوة الإسلام فأرسل ولده ليأتيه بخبر محمد ﷺ وما يدعو إليه، فرجع إليه وقال له : أنه يأمر بصلة الرحم وصدق الكلم وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وينهى عن كذا وكذا. . .

فقال أكثم : إنه والله يابنى إن لم يكن دينا فهو من مكارم الأخلاق .

وقد شرع الإسلام عقود المعاملات لجلب النفع وتبادل المصالح لتوفير حاجيات الإنسان. من مطعم وملبس ومسكن فى صناعة وزراعة وتجارة .

كما شرع لدفع الضر تحريم كل ضار بجواهر الحياة الخمسة ـ الدين ـ النفس ـ العقل ـ النسب والعرض. والمال. وجعل فيها حدودا رادعة وزاجرة .

كما أرشد ووجه لمكارم الأخلاق فى الروابط الاجتماعية ابتداء من حقوق الزوجين وبر الوالدين. وحسن المعاشرة من العفو عن المسيء والاحسان والايثار على النفس وغير ذلك، وكذلك روابط الجوار وصلة الأرحام وكفالة الأيتام ومساندة الضعفاء. وعموم التعاون على البر والتقوى .

وتظهر صور التضامن والوحدة فى منهج الإسلام مفصلة ابتداء من العقيدة السليمة ثم العبادات التى هى الغاية من خلق الثقلين الجن والإنس كما قال تعالى : **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾** . فجميع المسلمين يلتقون على عبادة الله تعالى وحده وبالوجه الذى يرضاه .

وهذا المنهج قد ربط بين جميع الأمم الإسلامية كما قال تعالى : **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه﴾** . فهى وحدة دينية تربط الحق بالخلق فى اطار التشريع الإسلامى .

وكما تقدم قوله تعالى : **﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾** .

وعقيدة التوحيد هى المرتكز والتى يجتمع عليها العرب والعجم ويستوى فيها الغنى والفقير والكبير والصغير ويلتقى عليها من بالمشرق بمن بالمغرب . وهى العقيدة التى تحرر الإنسان من استعباد الإنسان ومن طغيان المادة وعوامل الطغيان لأن الفرد باحساسه بأن جميع الخلائق عباد لله ملتزمون بأوامر الله .

وفى العبادات تتجلى هذه الصور عمليا بصور ملموسة وذلك كالآتى :-

(١) ففى الصـــلاة :

أ ـ وحدة التوقيت مرتبطة بحركة كونية من طلوع الشمس إلى غروبها .

ب ـ واستجابة النداء حى على الصلاة حى على الفلاح الله أكبر : **﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا﴾** .

﴿إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾ .

ج ـ وحدة الوجهة إلى مركز العالم كله إلى البيت الحرام : **﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾** .

تبدأ هذه الوحدة فى استدارة حول الكعبة ثم تتسع حتى تشمل أقطار العالم شرقا وغربا شمالا وجنوبا .

(٢) وفى الصيـــام :

أ ـ وحدة الزمن فى الصوم بشهر واحد للجميع : **﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾** .

ب ـ وحـدة الشعـور بالتعـاطف والـتراحم ـ يبدأ بالامساك وينتهى بالاطعام وأخراج الفطرة طعمة للمساكين وطهرة للصائمين .

(٣) ـ أما الزكـــــــاة :

أ ـ فهى تضامن الزامى يربط مختلف الطبقات بعضها ببعض ويقارب بين من باعدت بينهم المـادة ويجمـع بين من فرق بينهم الغنى والفقـر حيث يلتـزم الغنى باخـراج زكـاة ماله : **﴿وفى أمـوالهم حق معلوم للسـائل والمحروم﴾** . **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم﴾** .

فالزكاة طهرة للنفوس من شح الأغنياء وحسد الفقراء ، وزكاة للمال فلا تنقص وتصون المجتمع من حرب الطبقات وغزو الدعايات .

أما الحج وهو الركن الأعظم :

فهـو عين التضـامن ومظهر الوحدة فى أظهر الصور وأقوى المعانى يفد الحجيج من كل فج عميق ملبـين الـداعى لحج بيت الله العتيق . مجددين العهـد القـديم مستجيبـين نداء إبـراهيم ـ عليـه أفضـل الصـلاة وأتم التسليم ـ يخرج الحـاج من أهله وديـاره مفـارقـا زوجه وصغاره حتى يأتى الميقات فيتجرد من ثيابه متخليا عن مظاهر دنياه . مُتْدثرا رداءه وازاره متهيأ لحال احراه .

هنـاك يعـود الحجيـج على مختلف ألوانهم وتباعد أقطارهم وتعدد لغاتهم يعودون إلى الفطرة التى فطرهم الله عليها . وتعود إليهم فطرتهم التى ابتعدوا عنها فطرة الوحدة والإخاء والمسـاواة . فيستـوى غنيهم وفقـيرهم وأمـيرهم ومأمـورهم . ويستوى عربيهم وعجميهم . وقاصيهم ودانيهم وحدة فى الشكل والصورة ووحدة فى الهدف والغاية يهتفون لبيك اللهم لبيك .

ب ـ وفى أرض عرفـات فى ذلـك المشهـد الفـريد فى تاريخ البشرية حاضرها وماضيها حواضـرهـا وبـواديـها . مشهـد يذكر بالماضى فى عالم الذرة ، حين أخرج الله من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم **﴿وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾** .

مشهـد ينبههم لمستقبلهم يوم يجمـع الله الخـلائق ويحشرهم حفاة عراة . مشهد تذوب فيه فوارق الجنس والعنصر واللون وتتجلى فيه وحدة الأصل (كلكم لآدم وآدم من تراب) .

مشهد تفتح له حدود الأقاليم والأقطار والدول : **﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾** .

مشهد تلتقى فيه الأشباح وتتعانق فيه الأرواح ﴿**ليشهدوا منافع لهم**﴾ .

جـ ــ وفى منى يلتقى الجميع على موائد الهدى والاخلاص فيأكلون ويطعمون "فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر" .

أمانة الدعوة : ومن هناك يتحملون أمانة الدعوة والبلاغ عن رسول الله ﷺ حيث حماها أصحابه لمن بعدهم : «بلغوا عنى ولو آية» . «رب مبلغ أوعى من سامع» . فيرجع الحجاج بمثابة السفراء إلى بلادهم الدعاة إلى ربهم وقد تعارف كل منهم على الكثيرين من اخوانهم ووثقوا عرى الأخوة والولاء ، قد ينتج عنها زيارة وصلة ونحو ذلك .

الاجتماعيـــــات :

وكما ظهر مدى التضامن والوحدة فى العبادات يظهر كذلك وبقوة فى مجال الاجتماعيات لأن الإسلام أقام المجتمع الإسلامى على قواعد مثالية عالية ترتفع عن مقاييس المادة والمعاوضة إلى حد البذل والايثار .

أ ـ ففى أصل تكوين المجتمع توجد المساواة فى المبدأ : ﴿**يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**﴾ . ففيها وحدة الإنسانية جمعاء .

ب ـ وفى تكوين الأسرة التى هى لبنة بناء المجتمع . أقامها على روابط المودة والرحمة : ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾ . وجعل معادلة بين الزوجين غاية فى تضامنهما : ﴿**ولهن مثل الذى عليهن**﴾ .

فإذا جاء الأولاد : قابل بين عاطفة الأبوة بايجاب بر البنوة وجعلها وفاء بحق قد استوفاه الأولاد من قبل ﴿**وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا**﴾ . ثم أظهر مدى حق الوالدين حين قرنه بحقه سبحانه فى قضاء مبرم . ﴿**وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين احسانا**﴾ . ثم ان الولد سيستوفى مثل هذا الحق من أولاده ان هو أداه لأبويه . وهكذا دواليك .

جـ ــ ثم هو يراعى هذا الصنف من الناس الذى حرم رعاية الأبوين وذاق بؤس القطيعة وذل العزلة ألا وهو اليتيم فكفله بالرعاية وأحاطه بالحنان وجعل ﷺ لكافله أعلى المنازل فى الجنة .

وهذا من أقوى دلائل التضامن الإسلامى فى المجتمع الإنسانى . لأنه يطيب نفس الأب على ولده إذا حضرته الوفاة بأن المجتمع كافل له ولده .

ثم ان هذا الولد اليتيم المكفول اليوم سيصبح غدا رجلا ويكفل يتيماً غيره .

د - ثم يفسح المجال خارج نطاق الأسرة فيأتى للجوار فيقول ﷺ : «الجار أحق بصقبه» . «ولا يزال جبريل - عليه السلام - يوصيه بالجار حتى ظن ﷺ أنه سيورثه» .

هـ - ثم يربط العالم كله برباط النصح والاخلاص ومحبة الخير «الدين النصيحة قلنا لمن يارسول الله . قال : لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» .

و - فتكون النتيجة ترابط العالم الإسلامى كالبناء الحصين «مثل المسلمين فى توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد» . «المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا» فأى تضامن بعد هذا وأى وحدة بعد هذا وأى وحدة تضاهى ذلك .

ومن هنا حمل الإسلام جماعةَ المسلمين مسوؤلية الحفاظ على تلك الوحدة وعلى هذا التضامن فى السلم وفى الحرب أفراد أوجماعات .

(١) ﴿**وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله**﴾ . الآية . . .

(٢) «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» .

«كلكم راع وكل مسئول عن رعيته» .

﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾ .

وفرض حقوقا عامة على كل مسلم لأخيه المسلم : «حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلم عليه . وإذا دعاك فأجبه . وإذا عطس فحمد فشمته . وإذا استنصحك فانصح له . وإذا مرض فعده . وإذا مات فشيعه» .

وتلك حقوق متبادلة بين الأفراد يتقاضونها فيما بينهم وقد استوعبت كامل وضع الإنسان من أول لقائه بالسلام عليه إلى آخر وداعه بالتشييع إلى مثواه الأخير .

ربط الإيمان بالمحبة والمودة والعاطفة والرحمة بينهم «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» .

وحرم الجنة عليهم حتى تسودهم المحبة : «لن تدخلوا الجنة حتى تحابوا» .

فالدعاة إذا ما ركزوا دعوتهم إلى التضامن الإسلامى والوحدة الإسلامية على منهج الإسلام كان تركيزا قويا ينطلق من عواطف وشعور كل مسلم حيث يحقق للجميع أفرادا وجماعات كل ما يسمو إليه دون أن تعترضه العقبات ولا تكدره الشبهات .

وهناك مجال الحكم فى سلطاته الثلاث :

السلطة التشريعية . والسلطة القضائية . والسلطة التنفيذية ، وهذه السلطات الثلاث وان كانت بصورها موجودة فى كل دولة إلا أنها فى الإسلام تتميز بصبغة خاصة تضفى عليها بهاء الرفق ورونق الاحسان .

فالسلطة التشريعية فى كل أمة هيئة متخصصة تنظر فى ظروف وملابسات حياة الأمة فتشرع لها ما تراه صالحا .

ومهما يكن من شأن هذه الهيئة وتخصصاتها فهو عمل بشرى جائز عليه الخطأ والصواب وهو ما يشهده العالم من طروء التغيير والتبديل فقد يكون ما رأوه اليوم يكون غير صالح فى الغد .

وان ما يطرأ على تلك الهيئات من سياسة داخلية واتجاهات فكرية قد تؤثر عليها إلى غير ذلك .

بينما التشريع فى منهج الحكم الإسلامى مرجعه لله تعالى ولرسوله ﷺ والمختصون للتشريع بعد رسول الله ﷺ هم العلماء ورثة الأنبياء فإذا ما لزم نظروا تشريع لمستجد فى الحياة فإنهم لن يخرجوا عن المنهج الإسلامى فى حدود ما أنزل الله من كتابه وسنة رسوله ﷺ .

وقد نوه القرآن الكريم إلى أصل هذه السلطات وإلى تميزها عما سواها . فى قوله تعالى : ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز**﴾ فإرسال الرسل بالبينات من ربهم ، وإنزال الكتاب لتشريع مناهجهم والميزان للعدالة . . .

والسلطة القضائية ، ليقوم الناس بالقسط إذ القضاء تطبيق للمنهج التشريعى .

وأنزل الحديد اشارة إلى **السلطة التنفيذية** وأداة لنصرة دين الله فيكون المجتمع الإسلامى تحت سلطة حكم عادلة قوية حكيمة وأساس الحكم فى البشر إنما هو لله خالقهم لا سواه ، وهو أعلم بمصالحهم وما يصلحهم . فهو كالعبادة سواء فى قوله تعالى : ﴿**ان الحكم إلا لله أمر الا تعبدوا إلا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ . (يوسف : ٤٠) .

ومن هذا المنطلق فى الحكم كان الظلم فى غيره محققا فى أى حكم سوى حكم الله : ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون**﴾ .

وفى مقابل ذلك لا يتم إيمان العبد حتى ينزل على حكم الله راضيا مسلما تسليما : ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾ . (النساء : ٥٥) .

ومن هذا المنطلق فان ارتكاز دعوة التضامن إلى منهج التشريع الإسلامى وفى ظل الحكم بما أنزل الله تكون دعوة ممتدا سببها بالله لا تلاقيها صعوبات ولا تعطلها عقبات وهى دعوة مضمون لها النصر من عند الله : ﴿**ان تنصروا الله ينصركم . ويثبت أقدامكم**﴾ . مضمونة نتيجتها للأمة سعادة فى الدنيا وفلاحا فى الآخرة .

المرتكز الثالث : واقع الحياة الذى نعيشه والتيارات السياسية التى حولنا :

من الواضح البين حالة العالم السياسى والسياسة التى فرضت على الجميع وألزمت العالم كله العيش ضمن تكتلات سياسية ، وأحلاف عسكرية واتفاقيات اقتصادية . وليس بوسع أى دولة أن تعيش وحدها فى معزل عن هذا العالم بعيدة عن تلك التكتلات لقوة ترابط الدول بعضها مع بعض شاءت أم أبت .

ولم تعد السياسة مجرد تنظيم لعلاقات الدولة فى الخارج بل أصبح الداخل مرتبطا بالخارج فى السلم وفى الحرب عن طريق الانتاج والتسويق . فهى منافع مشتركة ومصالح متبادلة . توثقت باتفاقيات عالمية أو ثقافية وأحلاف عسكرية . وأهم ذلك كله الأحلاف العسكرية لانها لحماية الدولة بكل مرافقها والداعى لكل ذلك من إتفاقيات وأحلاف هو شعور تلك الدول بالضعف وبالحاجة إلى تضامنها بعضها مع بعض وذلك منذ الحرب العالمية الأخيرة حيث كانت عصبة الأمم لدول أوروبا ضد هتلر والنازية لعجز تلك الدول منفردة عن مقاومتها .

وبعد عصبة الأمم جاءت هيئة الأمم وضمت دول العالم على امل الحياة فى أمن وطمأنينة . ولكن هيئة الأمم لم تحقق للعالم ما أمله فيها حيث أقيمت فى بادىء أمرها على التخصيص والامتياز فمنحت الدول الكبرى حق النقض (الفيتو) .

ومن العجب أن يمنح هذا الحق للدول القوية التى تستطيع أن تظلم وأن تتعدى مما يصعب معه استخلاص حق المظلوم أو استرجاع حق مغصوب .

وكان الأولى لو أجيز ذلك أن يعطى للدول الضعيفة لترد به عن نفسها .

وأن أحداث التاريخ وخاصة فى الدول النامية لتشهد بذلك .

قامت جامعة الدول العربية وكان قيامها مظهرا من مظاهر تضامن دول المنطقة مهما قيل عن أسباب قيامها .

وكل تلك الهيئات والمؤسسات العالمية لم تستطع استتباب الأمن ولا منح الطمأنينة للعالم فنشأت تكتلات وأحلاف عسكرية انطلقت فى سياق التسلح النووى بما يهدد العالم كله بالدمار. وذلك فى حلفى الناتو وحلف شمال الأطلسى .

وانقسم العالم إلى معسكرين اقتصاديين شيوعى فى الشرق ورأسمالى فى الغرب وما بقى من العالم يدعى بدول عدم الانحياز.

ولكن عدم انحيازه لم يعزله عن غيره ولم يبعده عن الخطر ومن ثم أوجد لنفسه ارتباطات فيما بينه وعقدت له عدة مؤتمرات لدراسة وضعه ووضع التدابير لصالحه .

وآخر ما يكون ما حدث فى المنطقة من قيام مجلس تعاون دول الخليج دفع قيامه واقع العالم السياسى وحاجة دول المنطقة إلى التعاون الأخوى وقد شمل عدة مجالات عامة اقتصاديا وسياسيا وأمنيا وثقافيا واعلاميا . فهو أصدق صورة لما نرجوه للعالم الإسلامى من التضامن والوحدة .

ومع هذا كله فان هذه المؤسسات الدولية على اختلاف مناهجها وأشكالها فهى اما اقليمية محدودة وإما عالمية غير عادلة .

أما التضامن الإسلامى فليس هو بالتضامن المادى النفعى وإنما هو تضامن أخوى عاطفى إنسانى دينى دعا إليه الإسلام والتزم المسلمون بمضمونه ولاغنى لهم عنه .

«المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يظلمه ولا يسلمه ، المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا ، لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» .

وتحت هذا الشعار واستجابة لهذا النداء : ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾ يدعوا دعاة التضامن بكل قوة ووضوح .

وحدة الأمة :

ان الوحدة والتضامن متلازمان ويلزم من وجود كل منهما وجود الآخر لأن الأمة المتحدة المتضامنة ، والأمة المتضامنة ، متحدة ، وهذا من خصائص الإسلام ونتائج منهجه وتشريعه .

ووحدة الأمة فى نظر الإسلام وتعاليمه ترتكز على مرتكزين رئيسين :

(١) وحدة الجـــنس .

(٢) وحدة العقيـــدة .

ومن ورائهما عناية من الله وانعامه على عباده وامتنانه .

(١) أما وحدة الجنس ففى ارجاعهم إلى أبيهم آدم عليه السلام وأمهم حواء : ﴿**يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**﴾ ومن وراء هذا التعارف اخاء وتراحم : ﴿**إنما المؤمنون اخوة**﴾ . وقد صور الإمام على - رضى الله عنه - معنى وحدة الجنس فقال فى أبيات له :

النـــاس من جهـــة التمثيـل أكفـاء   أبــوهمـــوا آدم والأم حـــــواء

(ب) أما وحدة العقيدة فهى الوحدة المعنوية التى تقابل الوحدة الحسية لأن العقيدة عمل القلب لا علاقة لها بالجنس ولا باللون ولا بالمكان ولا بالزمان فيرتبط فيها جميع أبناء المعتقد الإسلامى فيؤمن أنه وكل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وآمن بما آمن به السلف الصالح ودعا إليه الكتاب، والسنة . شعر يقينا أن كل من دان بذلك أنه أخ له فى دينه وملتزم معه فى تكاليفه فيرتبط آخر الأمة بأولها بل صالح هذه الأمة بصلحاء الأمم قبلنا واقرأ قوله تعالى : ﴿**اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم**﴾ .

﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**﴾ .

(ج) أما عناية الله فى هذه الوحدة وانعامه على هذه الأمة فهو من تأليف هذه القلوب وتقارب هذه النفوس يلقى المسلم أخاه المسلم من أقصى الدنيا وأدناها . فإذا هو يبادله التحية ويتبادل معه التعاطف . وذلك تحقيق لقوله تعالى : ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا**﴾ .

وقوله تعالى : ﴿**لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم**﴾ . فهى نعمة امتن الله تعالى بها على هذه الأمة . وبعد امتنانه بها شرع ما يحفظها . وما يديمها فبعد قوله تعالى : ﴿إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله﴾ .

قال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب**﴾ .

كما نهى عن سوء الظن وعن التجسس والغيبة . وهى كلها عوامل فرقة وتمزيق الوحدة بينها دعا إلى تقوية هذه الوحدة بالتراحم والتعاون وحسن الجوار وكل ما فيه معانى الإنسانية من عفو وتسامح إلى حد الاحسان إلى المسىء : ﴿**والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**﴾ .

فهذه كلها روافد تصب فى أصل أوجه الوحدة الإسلامية ترويها فتنمو على أثرها .

الخاتمـــــــة :

وإذا كانت دعوة التضامن الإسلامى كدعوة ظهرت فى هذا العصر متميزة من بين الدعوات التى انطلقت فى العالم وخاصة بين المسلمين . من قومية ووطنية ومدنية ديمقراطية وشعارات متعددة .

فإن الدعوة إلى التضامن الإسلامى فى هذا الوقت بالذات وبين هذه الدعوات والشعارات لهى أولى وأحرى للأمة الإسلامية لتعود بها إلى صميم دينها والحفاظ على كيانها واثبات شخصيتها وتثبيت دعائمها على تلك المرتكزات الثلاث . . .

وإذا كانت فى ظهورها ومنطلقها من خادم الحرمين الشريفين ومن جوار القبلة المشرفة قبلة وجهتهم ومهوى أفئدتهم فإنها بلا شك قد لامست شغاف القلوب المؤمنة وأيقظت شعور الشعوب المسلمة ، ولا طفت عواطف كل مسلم فى العالم فلقيت بحمد الله قبولا لدى الجماعات واستقبلت بترحاب من الأفراد .

ولا نزال نسمع كل حين وآخر بنتائج عظيمة حيث تنادى بعض الدول بالعودة إلى الإسلام والتزامها بتنفيذ احكام الشريعة بدلا من القوانين التى كانت تسير عليها .

ومن ثم يلتقى قادة تلك البلاد بشعوبها وتلتف تلك الشعوب بقادتها وتواصل الأمة سيرها على نور الله .

واليوم ومن رحاب الجامعة الإسلامية ومن أرض المدينة المنورة مهد الدعوة ومنطلق الدعاة تتجدد تلك الدعوة من المؤتمر الثانى لإعداد الدعاة تنطلق فى جدتها وجديد رونقها

وصفاء محاسنها بريئة من كل شائبة نزيهة عن كل غرض شخصى أومادى بعيدة عن أى اتجاه سياسى أو فكر أجنبى مصطبغة بصبغة الله : ﴿**ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون**﴾ فإنها بحمد الله لتعلوا على الشبه وتسموعن الشكوك وتحلق فى سماء الحق معلنة أنها دعوة السلف وأمانة الخلف وانه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما قد أصلح أولها وسما بسلفها قمة المجد .

كما أنها بارتكازها على تلك المرتكزات الثلاث التى أسلفنا وهى مرتكز طبيعة تكوين الإنسان وسنة الحياة . ومرتكز منهج التشريع الإسلامى . ومرتكز الحالة السياسية والوضع الاجتماعى الذى نعيشه . فإنها ترتكز على عوامل قبولها وتحمل دواعى بقائها .

كما تحقق للأمة الإسلامية كل مطالبها وتمكن لها ما أراده الله منها : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ . ﴿**ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم**﴾ . أى أن دعوة التضامن الإسلامى بما تشير إليه هذه الآية فى نهايتها لم يقتصر نفعها على المسلمين فحسب بل وعلى أهل الكتاب لو آمنوا بها وأيدوها .

ثم بين تعالى ما لو تم للعالم الإسلامى اتحاده وتضامنه وأخذ الأعداء يكيدون له أنهم سيندحرون كما قال : ﴿**وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون**﴾ .

ونحن لا نبعد إلى هذا الحد ولا نفرط فى التفاؤل أونتطلع إلى غير المسلمين وإنما ندعو إلى تضامن الأمة الإسلامية تحت شعار الوحدة والاخاء

وان دور الدعاة ابراز أهمية التضامن وضرورة الوحدة على ضوء كتاب الله وسنة رسوله ومحاسن الإسلام وحكمة التشريع ما أمكن ذلك .

فإن العالم الغربى اليوم فى متاهة الحيرة وظلمة الضلالة ولو وجد ضياء من تعاليم الإسلام لبادر إليه .

وليس بعيـدا عنـا إسـلام (الدكتور المسيحى) فى المؤتمر الطبى . لما رأى ما فى الإسلام من تعـاليم ومـا فى القـرآن من اعجـاز الأمر الذى جعله يعلن عن إسلامه فى قاعة المؤتمر عن قناعة وادراك ومعرفة .

وهـاهى الأعـداد الكثيرة التى يعلن عن إسـلامهـا فى كثير من دول العالم . وفى هذه البلاد وفى المدينة بالذات لما يشاهدون من اخاء وتعاطف وتعاون وتراحم فالله الله فى الدعوة إلى الله وإلى التضامن الذى هو التطبيق العملى لدعوة الإسلام : ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله . والمؤمنون**﴾ .

كما انا لنهيب بالجهات المختصة أن تمد يد العون وتبذل كل الجهد لمساعدة الدعاة إلى الله فى دول العـالم بما يستطيعـون به القيـام بواجبهم وأداء عملهم على الـوجـه الـذى يرونه وتتطلبه دعوتهم فى مراكز عملهم .

كما نأمل دوام انعقاد هذا المؤتمر وعلى فترات متقاربة لمدارسة أحوال الدعاة على ضوء واقـع حيـاتهم ومـا يستجـد أمـامهم . وتقديم المساعدة إليهم قولا وعملا وبالله التوفيق . . . وصلى الله وسلم وبارك على إمام المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم . . .

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

عن حذيفة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال :
«والذى نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» .
(رواه الترمذى)

كيف أقام النبى ﷺ أول دولة إسلامية على التضامن والوحدة ؟

الدكتور محمد السيد طنطاوى
رئيس شعبة التفسير بالدراسات العليا بالجامعة

كلمتا **التضـامن والوحـدة** ، من الكلمات المحببة إلى النفوس ، لأنهما تدلان على التكافل ، والترابط ، والتراحم ، بين الأفراد والجماعات .

وقد سما الإسلام بهاتين الكلمتين ، فجعلهما رمزاً للتعاون على البر والتقوى لا على الأثم والعدوان ، بعد أن كانتا فى الجاهلية ، تخضعان للروابط العنصرية ، وللنزعات القبلية ، ولإرضاء ما جبلت عليه النفوس ـ التى استحوذ عليها الشيطان ـ من حب للسيطرة ، ومن التعالى على الغير ، وإخضاعه لسلطانه . . . فمثلاً ، قبل الإسلام ، تضامنت واتحدت قبيلة الأوس فيما بينها ، وقبيلة الخزرج فيما بينها ، على أن تنتقم كل قبيلة من الأخرى ، وأن تخضعها لسلطانها . . .

أما بعد أن وفق الله ـ تعالى ـ هاتين القبيلتين للدخول فى الإسلام فقد صار هذا التضامن ، يقوم على الحب والإخاء والتعاطف بين الجميع ، بدون تفرقة بين قبيلة وأخرى .

ولقد أقام النبى ﷺ أول دولة إسلامية على التضامن والوحدة ، عن طريق التوجيهات القرآنية ، والإرشادات النبوية .

وذلك لأن القرآن الكريم ، هو الكتاب الذى أنزله الله ـ تعالى ـ على نبيه ﷺ ، لكى يخرج الناس به من الظلمات إلى النور ، وليكون هداية لهم إلى ما هو أقوم ، وليرشدهم إلى ما يسعدهم ويصلحهم ، وليجنبهم الوقوع فى الأخطاء التى لا تحمد عقباها .

أما السنة النبوية فمن أهم وظائفها : تفصيل ما جاء فى هذا القرآن من إجمال ، وتأكيد ما أمر به أو نهى عنه . . .

روى الإمام أبو داود فى سننه عن المقدام بن معد يكرب ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ألا وإنى أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلى ، ولا كل ذى ناب من السباع »[1] .

وهذه التوجيهات القرآنية ، وتلك الإرشادات النبوية ، قد سلكت فى إقامة أول دولة إسلامية على التضامن والوحدة ، مسالك متنوعة ، من أهمها ما يأتى :

أولا : أن القرآن الكريم ، قد بين للناس جميعا ، أن الله ـ تعالى ـ قد خلقهم بقدرته من نفس واحدة ، فعليهم أن يعيشوا فى هذه الحياة متآخين متحابين . . قال ـ تعالى ـ ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء** ﴾ [النساء : ١] .

والمعنى : يأيها الناس اتقوا ربكم بأن تطيعوه فلا تعصوه ، وبأن تشكروه فلا تكفروه ، فهو وحده الذى أوجدكم من نفس واحدة ، هى نفس أبيكم آدم ، وهو وحده الذى أوجد من هذه النفس الواحدة زوجها حواء ، وهو وحده الذى « بث » أى : نشر وفرق ، من تلك النفس الواحدة وزوجها ، على وجه التوالد والتناسل ، رجالا كثيرا ، ونساء كثيرة .

فأنت ترى أن هذا النداء لجميع المكلفين ، قد نبههم إلى أمرين :

أولهما : وحدة الاعتقاد بأن ربهم واحد لا شريك له ، فعليهم أن يخلصوا له العبادة ، لأنه هو الذى خلقهم وهو الذى رزقهم ، وهو الذى يميتهم وهو الذى يحييهم ، وهو الذى أوجدهم جميعاً ـ بقدرته النافذة ـ من نفس واحدة .

وثانيهما : وحدة النوع والتكوين ، إذ الناس جميعاً على اختلاف ألسنتهم وأشكالهم وأجناسهم ، قد انحدروا عن أصل واحد . .

ومادام الأمر كذلك فيجب أن يشعر الجميع بفضل الله عليهم ، وأن يبنوا علاقاتهم فيما بينهم على التضامن والتكافل والإخاء ، وأن يوقنوا بأنه لا فضل لجنس على جنس ، ولا للون على لون ، إلا بمقدار حسن صلتهم بربهم ، وطاعتهم لخالقهم ـ عز وجل ـ .

---

(١) تفسير القرطبى جـ ١ ص ٣٧ .

وقد أكد النبى ﷺ هذا المعنى فى كثير من أحاديثه ، ومن ذلك ما جاء فى خطبته الجامعة فى حجة الوداع ، فقد جاء فيها :

« **أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود ، إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال ﷺ : فليبلغ الشاهد الغائب** » .

ثانيا : لقد صرح القرآن الكريم ، بالحكمة التى من أجلها خلق الله ـ تعالى ـ الناس من ذكر وأنثى ، وجعلهم شعوباً وقبائل ، فقال ـ تعالى ـ : ﴿ **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وقوله « **شعوباً** » جمع شعب ، وهو الجمع العظيم من الناس ، يجمعهم أصل واحد .

وقوله « **قبائل** » جمع قبيلة . والقبيلة : الجماعة من الناس يضمهم أب واحد .

والمعنى : يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وهما آدم وحواء ، ﴿ **وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا** ﴾ .

أى : وجعلناكم كذلك ليعرف بعضكم بعضاً ، فتصلوا الأرحام ، وتتبينوا الأنساب ، وتتعاونوا على ما ينفعكم ، ويصلح شأنكم .

فالتعارف ـ لا التناكر ـ هو أساس العلائق بين البشر ، وهو الحكمة التى من أجلها خلق الله ـ تعالى ـ الناس من ذكر وأنثى ، وجعلهم شعوباً وقبائل . ويجب أن يعود الناس إلى هذا التعارف والتآلف ، وأن يزيلوا ما نشب بينهم من خلاف ، وما دب فيهم من خصام ، حتى تتحقق الحكمة المنشودة من وجودهم فى هذه الحياة .

ثالثا : لقد بين القرآن الكريم فى كثير من آياته ، أن الأمة الإسلامية ، أمة واحدة فى عقيدتها وفى شريعتها ، مهما تناءت ديارها ، وتباعدت أوطانها ، واختلفت لغاتها ، ومن هذه الآيات قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ [الأنبياء : ٩٢] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** ﴾ [المؤمنون : ٥٢] .

أى : إن هذه الأمة الإسلامية ، التى هى أمتكم ـ أيها المسلمون ـ « أمة واحدة » لأن إلهها واحد ، ودينها واحد ، وشريعتها واحدة ، وقبلتها واحدة ، وأهدافها واحدة . . .

« **وأنا ربكم** » لا شريك لى فى الربوبية « **فاعبدون** » أى : فأخلصوا لى العبادة والطاعة ، ولا تشركوا معى أحداً من خلقى فى ذلك .

وهذه الوحدة للأمة الإسلامية ، قد أكدها الرسول ﷺ تأكيداً قوياً ، عن طريق إرشاداته المتنوعة ، وتوجيهاته السامية .

وفى هذا المعنى يقول بعض العلماء : لقد بين النبى ﷺ بأقواله وأفعاله ، الوحدة الإسلامية الجامعة لأمته ، فقد تضافرت عنه الروايات الدالة على الأخوة الإسلامية التى لا تفرق بين عربى وأعجمى ، ولا بين شريف وضعيف ، ولا بين إقليم وإقليم ، وقال فى عبارة جامعة : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » . . .

وغير هذا مشهور مستفيض ، حتى إن ذلك ليتواتر فى المعنى ، فهو من المعانى التى تفهم من تعاليم الإسلام بالضرورة ، ولا يعد من المسلمين من ينكرها ، أو يخالفها جحودا بها .

وأما أفعاله ﷺ المبينة لهذه الوحدة الجامعة ، فهى تلك المؤاخاة التى ربط بها بين القرشى ، والخزرجى ، والأوسى ، ومن كان من أصل غير عربى . . .

المسلمون إذن أمة واحدة ، وتلك حقيقة يعد من نافلة القول بيانها ، فضلاً عن إقامة الدليل عليها ، لأنها مجمع عليها[1] .

★★★★★

رابعاً : أن القرآن الكريم ، قد بين للناس ، أن الرسالات السماوية جميعها ، قد اتفقت على إقامة الدين على إخلاص العبادة لله ـ تعالى ـ ، وعلى نبذ التفرق والاختلاف فى أحكامه . .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبى إليه من يشاء ، ويهدى إليه من ينيب . وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم** ﴾ [الشورى: ١٣-١٤] .

---

(١) من مقال لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة ـ رحمه الله ـ نشره بمجلة « المسلمون » سنة ١٣٧١هـ ص ٣٦٤

والمعنى : إن الله ـ تعالى ـ سن لكم ـ يامعشر المسلمين ـ من الدين ، ما سنه لنوح والذين من بعده من الأنبياء إلى زمن نبيكم محمد ﷺ .

ثم بين ـ سبحانه ـ ما أمرهم به جميعاً فقال : ﴿ **أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ .

أى : أن أقيموا الدين على ما أمركم به الله ـ تعالى ـ ، من توحيده وطاعته ، ولا تختلفوا فى أحكامه التى أجمعت على صحتها شرائع الأنبياء السابقين ، فإن هذا الاختلاف يؤدى إلى فشلكم وذهاب ريحكم . . .

ثم بين ـ سبحانه ـ موقف المشركين من دين التوحيد فقال : ﴿ **كبر على المشركين ما تدعوهم إليه** ﴾ .

أى : شق وعظم على المشركين ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لله ـ تعالى ـ ، ومن ترك الاختلاف فى أحكامه الدين الحق .

ثم ختم ـ سبحانه ـ الآية الكريمة ببيان من هم أهل لرضاه وهدايته فقال : ﴿ **الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب** ﴾ .

أى : الله ـ تعالى ـ يصطفى من يشاء من عباده ، فيقربهم إلى محل كرامته ، ويوفق للعمل بطاعته من ينيب إليه ، ويسلم له وجهه .

ثم يبين ـ سبحانه ـ الأسباب التى أدت بالناس إلى التفرق فى أحكام الدين الحق ، فقال ـ تعالى ـ : ﴿ **وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم . . .** ﴾ .

أى : وما تفرق هؤلاء السابقون بعد موت أنبيائهم ﴿ **إلا من بعد ما جاءهم العلم** ﴾ الدال على صدق هؤلاء الأنبياء ، وكان الدافع لهم على هذا التفرق والاختلاف ، هو البغى والحسد وتجاوز الحدود التى شرعها الله ـ تعالى ـ
وقوله ﴿ **إلا من بعد ما جاءهم العلم** ﴾ زيادة فى فى تقبيح أفعالهم ، فإن الاختلاف بعد مجىء العلم أشد فى القبح والعناد .

فهم قد اختلفوا فى الحق مع علمهم بأنه حق ، لأن العلم كالمطر ، فكما أن المطر لا تستفيد منه إلا الأرض الطيبة النقية ، فكذلك العلم لا ينتفع به إلا أصحاب النفوس الصافية ، والقلوب الواعية ، والأفئدة المستقيمة .

وبذلك نرى أن هاتين الآيتين الكريمتين ، قد بينتا للناس ، أن جميع الأنبياء قد دعوا أقوامهم إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده ، وإلى اجتناب التفرق والاختلاف فى أحكام

الـدين ، التى أجمعت عليهـا الشـرائع الإلهية ، والتى لا يترتب على الاختلاف فيها سوى الفساد والخسران .

خامساً : لقـد ذكَّر القرآن الكريم المؤمنين فى كثير من آياته ، بسوء عاقبة الاختلاف والتنازع ، وحذرهم من طاعة أعدائهم ، وحرضهم على الاعتصام بحبل الله ـ تعالى ـ ، وعلى التآلف والتضامن فيما بينهم ، وهذه بعض الأمثلة لذلك :

أ ـ فى أعقـاب غزوة بدر ، تطلع بعض النـاس إلى الغنـائم ، واختلفـوا فى شأن تقسيمهـا ، فنـزل قولـه ـ تعـالى ـ : ﴿ **يسألـونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله ، إن كنتم مؤمنين** ﴾ [الأنفال : ١] .
وقـد ذكـر الإمـام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية ، عدداً من الروايات التى وردت فى سبب نزولها ، ومن هذه الـروايـات ، ما أخرجه أبو داود ، والنسائى ، وابن جرير ، وابن مردويه ـ واللفظ له ـ ، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال :

ـ لما كان يوم بدر قال رسـول الله ﷺ مَن صنـع كذا فله كذا ، فتسـارع فى ذلـك شبان القوم ، وبقى الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت الغنائم ، جاءوا يطلبون الذى جعل لهم .

فقـال الشيـوخ : لا تستأثـروا علينـا ، فإنـا كنا رِدْءاً لكم ، لو انكشفتم لثُبْتُمُ إلينا ، فتنازعوا ، فأنزل الله ـ تعالى ـ « يسألونك عن الأنفال . . . . الآية » .

وروى الإمـام أحمـد ـ بسنـده ـ عن أبى أمامة قال : سألت عبادة بن الصامت ، عن هذه الآيـة فقـال : فينـا معشـر أصحـاب بدر نزلت ، حين اختلفنـا فى النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا ، وجعله إلى الرسول ﷺ فقسَّمه بين المسلمين عن بواء ـ أى على السواء ـ »[1] .

والمعنى : يسألك بعض أصحابك يامحمد عن غنائم بدر كيف تُقسَّم ؟ ومَن المستحق لها ؟ قل لهم : الأنفـال لله يحكم فيهـا بحكمه ـ سبحانه ـ ، ولرسوله ﷺ فهو الذى يقسمها على حسب حكم الله وأمره فيها .

فاتقـوا الله ـ تعـالى ـ أيهـا المـؤمنـون ، وأصلحوا ما بينكم من أحوال وروابط ، بأن يكون ما بينكم من صلات ، يقوم على الألفة والمحبة والمودة وترك الخلاف . . .

وفى هذه الإجـابـة على سؤالهم ، تربيـة حكيمـة لهم ـ بعـد أول لقـاء بينهم وبين

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٨٣ طبعة عيسى الحلبى .

أعـدائهم ـ ، حتى يجعلوا جهـادهم بعـد ذلك خالصاً لوجه الله ـ تعالى ـ ، وحتى لا تكون أعراض الدنيا ، سببا فى اختلافهم . . .

ب ــ وفى السورة نفسها ، وفى أعقاب غزوة بدر ـ أيضاً ـ ، ناداهم بصفة الإيمان ، ودعـاهم إلى الثبـات عنـد لقاء الأعداء ، وإلى الإكثار من ذكر الله ـ تعالى ـ ، وإلى التزام طاعتـه وطـاعـة رسـولـه ﷺ ، ونهاهم عن التنازع ، وبين لهم سوء عاقبته فقال ـ تعالى ـ : ﴿ **يأيهـا الـذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسـولـه ، ولا تنـازعـوا فتفشلوا وتـذهب ريحكم ، واصـبروا إن الله مع الصـابـرين** ﴾ [الأنفال : ٤٥-٤٦] .

فقـولـه ـ سبحـانـه ـ « ولا تنـازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » نهى لهم عن الاختلاف المؤدى إلى الفشل وضياع القوة ، بعد أمرهم بالثبات والمداومة على ذكر الله ـ تعالى ـ وطاعته .

والمتأمـل فى هاتـين الآيتـين الكـريمتـين ، يراهما قد رسمتـا للمـؤمنـين فى كل زمـان ومكان ، الطريق التى توصلهم إلى الفلاح والظفر .

إنهما تأمـران بالثبات عند لقاء الأعداء ، والثبات من أعظم وسائل النجاح ، وأقرب الفريقين إلى النصر ، أكثرهما ثباتاً . . .

وتأمـران بمـداومـة ذكر الله ، لأن ذكر الله هو الصلة التى تربط الإنسان بخالقه الذى بيده كل شىء ، ولا يعجزه شىء . . .

وتأمران بطاعة الله ورسوله ، لأن طاعتهما دليل على قوة الإيمان ، وصفاء النفوس ، وطهارة القلوب . . .

وتنهيان عن التنازع ، لأنه يؤدى إلى الضعف ، والتخاذل ، وهوان الأمر ، وذهاب القوة . . .

ثم تختمان بالأمر بالصبر ، الذى هو توطين النفس على ما يرضى الله ، وعلى احتمال المكاره والمشاق فى جَلَد . وهذه الصفة لابد منها لكل من يريد الوصول إلى آماله وغاياته .

ورحم الله الإمـام ابن كثـير فقـد قال عنـد تفسيره لهاتين الآيتين الكريمتين : « هذا

تعليم من الله ـ تعالى ـ لعباده المؤمنين ، آداب اللقاء ، وطريق الشجاعة ، عند مواجهة الأعداء »[1] .

★ ★ ★ ★ ★

سادساً : أن القرآن الكريم قد أمر المؤمنين ، بأن يصلحوا بين إخوانهم فى العقيدة ، إذا ما دب نزاع فيهم ، وأن يجبروا الفئة الباغية ، على الخضوع للحق والعدل ، حتى ولو أدى ذلك إلى قتالها . . .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون** ﴾ [الحجرات : ٩، ١٠] .

ذكر المفسرون فى سبب نزول هاتين الآيتين روايات منها ، ما أخرجه الإمام أحمد ـ بسنده ـ عن أنس بن مالك قال : قلت : يانبى الله ، لو أتيت عبد الله بن أبي ؟ قال : فانطلق إليه النبى ﷺ فركب حمارا ، وانطلق المسلمون يمشون . . .

فلما أتاه النبى ﷺ قال : إليك عنى ، فو الله لقد آذانى نَتْن حمارك .

فقال رجل من الأنصار : والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك .

فغضب لعبد الله رجل من قومه ، وغضب لكل واحد منهما أصحابه ، فكان بينهم حرب بالجريد والأيدى . . فبلغنا أنه نزل فيهم قوله ـ تعالى ـ « **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما . . . الآية** »[2] .

ومن المعروف بين العلماء ، أن هاتين الآيتين وان كانتا قد نزلتا فى حادثة معينة ، إلا أن ما اشتملتا عليه من أحكام وآداب يعم الأمة الإسلامية كلها ، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، كما يقول أهل العلم .

والمعنى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا » أى : تقاتلوا أو دب بينهما ما يوجب حجزهما وردهما إلى المحبة والسلام .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣١٦ .
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢١١ .

« فأصلحوا بينهما » عن طريق النصح ، وإزالة الشبهة وأسباب الخصام ، والدعاء إلى حكم الله ـ تعالى ـ والرضا به .

والأمر هنا للوجوب ، والخطاب لأولى الأمر ، ولكل من فى إمكانه الإصلاح بين المسلمين .

وقوله ـ سبحانه ـ « فإن بغت إحداهما على الأخرى » أى : تعدت إحداهما على الأخرى بغير حق ، وأبت الصلح ، والاستجابة لحكم الله ـ تعالى ـ .

« فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » أى : قاتلوا الباغية حتى ترجع إلى حكم الله ـ تعالى ـ ، وتقبل قضاءه عن سمع وطاعة .

قال الإمام القرطبى عند تفسيره لهذه الآية : قال العلماء : لا تخلو الفئتان من المسلمين فى اقتتالهما ، إما أن يقتتلا على سبيل البغى منهما جميعاً أولا .

فإن كان الأول فالواجب فى ذلك أن يُمشَى بينهما بما يصلح ذات البين ، ويثمر المكافَّة والموادعة .

فإن لم يتحاجزا ولم يصلحا وأقامتا على البغى ، صِيرَ إلى مقاتلتهما .

وأما إن كان الثانى وهو أن تكون إحداهما باغية على الأخرى ، فالواجب أن تقاتل فئة البغى إلى أن تكف وتتوب ، فإن فعلت أصلح بينها وبين المبغى عليها بالقسط والعدل »[1] .

وقوله ـ سبحانه ـ : « فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » بيان لما يجب اتباعه مع الفئة الباغية ، إذا ما ثابت إلى رشدها ، وقبلت حكم الله ـ تعالى ـ .

أى : فإن رجعت الفئة الباغية إلى حكم الله ، فأصلحوا بين الفئتين بالعدل الذى أمر الله ـ تعالى ـ به ، وأقسطوا فى كل الأمور ، لأن الله ـ تعالى ـ يحب العادلين فى أحكامهم . وجمع ـ سبحانه ـ فى هذه الجملة بين الأمر بالعدل وبالقسط ، لتأكيد هذا الأمر ؛ لأن عدم العدل فى الأحكام ، كثيراً ما يؤدى إلى ازدياد التنازع والخصام .

ثم بين ـ سبحانه ـ الأسباب الداعية إلى وجوب المسارعة إلى الإصلاح بين المؤمنين فقال « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » .

---

(١) تفسير القرطبى جـ ١٦ ص ٣١٧ .

أى : إنما المؤمنون إخوة فى العقيدة والدين ، فهم يجمعهم أصل واحد وهو الإيمان ، كما يجمع الإخوة أصل واحد وهو النسب .

بل إن أخوّة الدين أثبت من أخوة النسب ، لأن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين ، أما أخوة الدين فلا تنقطع بمخالفة النسب .

قال الجمل فى حاشيته على تفسير الجلالين : « وخص الاثنين بالذكر فى قوله (فأصلحوا بين أخويكم) لأنهما أقل من يقع بينهما الشقاق ، فإذا لزمت المصالحة بين الأقل ، كانت بين الأكثر ألزم ، لأن الفساد فى شقاق الجماعة ، أكثر من فى شقاق الاثنين »[1] .

ولقد أكد الرسول ﷺ بقوله وعمله ما دعا إليه القرآن من وجوب الإصلاح بين المسلمين إذا ما نشب بينهم نزاع .

أما قوله ﷺ فى ذلك فمنه ما رواه الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : كل سُلَامى[2] من الناس عليه صدقة ، وكل يوم تطلع فيه الشمس ، تعدل بين الاثنين صدقة » .

وأما عمله ، فقد كان ﷺ يسعى فى الإصلاح بين الناس ، حتى ولو أدى ذلك إلى تأخير الصلاة . .

أخرج الشيخان عن سهل بن سعد الساعدى - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ بلغه أن بنى عمرو بن عوف كان بينهم شر ، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم فى أناس معه ، فحُبِس ﷺ وحانت الصلاة ، فجاء بلال إلى أبى بكر فقال : يا أبا بكر ، إن رسول الله ﷺ قد حبس ، وحانت الصلاة ، فهل لك أن تؤم الناس ؟ قال : نعم إن شئت . . . . . . الحديث »[3] .

★ ★ ★ ★ ★

سابعا : أستطيع أن أقول - على سبيل الإجمال - : إن تعاليم الإسلام ، قد أمرت باعتناق كل فضيلة ، تؤدى إلى وحدة المسلمين ، وتضامنهم ، وترابطهم ، وتكافلهم . . .

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين جـ ٤ ص ١٧٩ .
(٢) السلامى - بضم السين وتخفيف اللام - : أصله عظام الأصابع وسائر الكف ، ثم استعمل فى سائر عظام البدن .
(٣) رياض الصالحين : باب الاصلاح بين الناس ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

وحاربت كل رذيلة من شأنها التفريق بينهم ، وتشتيت كلمتهم ، وتمزيق وحدتهم ، وإشاعة البغضاء فيهم . . .

ولقد سقنا قبل ذلك من توجيهات القرآن الكريم ، ما فيه العبر والعظات ، لقوم يعقلون .

وبقى أن نسوق المزيد من سنة النبى ﷺ التى من أهم وظائفها ، تفصيل ما أجمله القرآن الكريم ، وتأكيد ما أمر به أو نهى عنه . . .

أ ــ لقد حض النبى ﷺ أتباعه على التضامن والاتحاد ، فى عشرات الأحاديث ، ومن ذلك ما رواه الشيخان عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وشبك بين أصابعه[1] .

ب ــ وحض على التمسك بكل فضيلة توصل إلى غرس روح المحبة والمودة بين المسلمين ، ومن ذلك أنه ﷺ : أمر بالتزاور والتواصل والتحاب فى الله ، وإعلام الرجل من يحبه أنه يحبه .

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ « أن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى ، فأرصد الله ـ تعالى ـ على مَدْرَجته ـ أى طريقه ـ ملكا ، فلما أتى عليه قال له : أين تريد ؟ قال أريد أخا لى فى هذه القرية .

قال : هل لك من نعمة تَرُبُّها عليه[2] ؟ قال : لا غير أنى أحببته فى الله ـ تعالى ـ .

قال : فإنى رسول الله إليك ، بأن الله قد أحبك كما أحببته »[3] .

جـ ــ وأمر بالتهادى ، وبالطيب من الكلام ، وبطلاقة الوجه عند اللقاء . روى الإمام الترمذى ، أن رسول الله ﷺ قال : « تهادوا فإن الهدية تذهب وقر الصدر » أى تذهب غله وغشه وبغضه .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها .

وروى الشيخان عن عدى بن حاتم ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » .

---

(١) من كتاب رياض الصالحين ص ١٢٠ للإمام النووى . باب تعظيم حرمات المسلمين

(٢) تربها عليه : تقوم بها وتسعى فى صلاحها .

(٣) رياض الصالحين : ص ١٧٦ . باب زيارة أهل الخير .

وروى مسلم فى صحيحه عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : «قال لى رسول الله ﷺ : لا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق »[1] .

د ــ هذه بعض الفضائل التى أمر النبى ﷺ أتباعه بالتخلق بها ، لأنها مدعاة إلى غرس روح الإخاء والمحبة فيهم . .

وقد نهى ﷺ فى مقابل ذلك عن كل ما من شأنه أن يزعزع وحدة المسلمين ، أو يضعف تضامنهم وتعاونهم على البر والتقوى .

وحسبنا أن نسوق فى ذلك هذا الحديث الجامع ، الذى رواه الشيخان ، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث . ولا تجسسوا[2] ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا تناجشوا[3] ، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم .

المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره . التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، ـ ويشير إلى صدره ـ ﷺ .

بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه . إن الله لا ينظر إلى أجسادكم وصوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[4] .

هـ ــ هذه بعض أقواله ﷺ الداعية إلى وحدة المسلمين وتضامنهم ، والناهية عن تفرقهم وتناكرهم وتباغضهم . .

فإذا ما اتجهنا إلى أفعاله ﷺ وجدناها تقوم على تأكيد هذا المعنى وتحقيقه عمليا ، ومن أبرز الأدلة على ذلك ما يأتى :

و ــ حرصه ﷺ على المؤاخاة بين المسلمين ، منذ السنوات الأولى للدعوة الإسلامية ، فقد ذكر أصحاب السير ، أنه ﷺ وهو بمكة ، آخى بين أبى بكر وعمر ، وبين الحمزة وزيد بن حارثة ، وبين الزبير وابن مسعود ، وبين عبيدة بن الحارث وبلال ، وبين أبى عبيدة وسالم ـ مولى أبى حذيفة ـ ، وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله ، وبين

---

(١) رياض الصالحين : ص ٣١٢ . باب استحباب طيب الكلام .
(٢) التجسس : تتبع عورات الناس وعيوبهم .
(٣) النجش : الزيادة فى السلعة للخديعة لغيره .
(٤) رياض الصالحين : ص ٦٠٢ . باب النهى عن التجسس . للإمام النووى .

عثمان وعبد الرحمن بن عوف . . . وهذه المؤاخاة فى الدين والعقيدة ، تعتبر أول تنظيم للجماعة الإسلامية الأولى ، يقوم على الترابط ، والتكافل ، والتكاتف . . .

ز ـ فلما هاجر ﷺ إلى المدينة ، وسَّع دائرة هذا التضامن والإخاء ، فجعله بين المهاجرين والأنصار .

قال ابن اسحاق ـ رحمه الله ـ : وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال ـ فيما بلغنا عنه ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل ـ : « تآخَوْا فى الله أخوين أخوين ، ثم أخذ بيد عليّ بن أبى طالب فقال : هذا أخى ، وكان جعفر بن بن أبى طالب ومعاذ ببن جبل أخوين ، وأبو بكر الصديق وخارجة بن زهير أخوين ، وعمر بن الخطاب وعِتْبان بن مالك أخوين ، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن الربيع أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت أخوين ، وطلحة بن عبيد الله ، وكعب بن مالك أخوين ، ومصعب بن عمير وأبو أيوب خالد بن زيد أخوين ، وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أخوين . . .

وبلال بن رباح وأبو رُوَيْحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى أخوين . . .

فلما دون عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج إلى الشام ، فأقام بها مجاهدا ، فقال عمر لبلال : إلى من تجعل ديوانك يابلال ؟ قال : مع أبى رويحة ، لا أفارقه أبدا ، للأخوة التى كان رسول الله ﷺ عقدها بينه وبينى ، فَضُمّ إليه »[1] .

ح ـ وقد استمر ﷺ يؤكد هذا الإخاء بين المسلمين ـ بقوله وعمله ـ إلى أن لقى ربه .

ولقد بلغ من حرصه على ذلك ، أنه عندما كان فى سفر مع أصحابه ، ورأى أن القافلة حين تستريح يتفرق أهلها ، لم يعجبه هذا التفرق ، بل دعاهم إلى التجمع والتقارب . . .

روى أبو داود عن أبى ثعلبة الخُشَنِى قال : كان الناس إذا نزلوا منزلا تفرقوا فى الشعاب والأودية ، فقال النبى ﷺ : « إن تفرقكم هذا من الشيطان » فلم ينزلوا بعد منزلا ، إلا انضم بعضهم إلى بعض ، حتى قال : لو بُسِط عليهم ثوب لعمهم »[2] .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ٥٠٤ طبعة مصطفى الحلبى ـ بتصرف وتلخيص ـ .

(٢) مختصر سنن أبى داود جـ ٣ ص ٤٣٠ . تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر ـ رحمه الله ـ .

هذه بعض الأحـاديث من أقـوال النبى ﷺ وأعـمالـه ، ومنهـا نرى ، كيف كان ﷺ يحرص كل الحـرص على وحـدة المسلمـين ، وعلى تضـامنهم ، وعلى إخائهم وترابطهم ، ويسـوق الإرشـادات المتنـوعـة ، التى من شأنها أن تجعل المسلمين ـ متى اتبعوها ـ كالبنيان المـرصـوص يشـد بعضـه بعضـا ، ويحـذر من الفـرقة والتباغض وشق عصا المسلمين تحذيرا شديـدا ، وأختتم هذه الأحـاديث بما رواه الإمـام مسلم فى صحيحـه عن جابـر ـ رضى الله عنـه ـ قال : سمعت رسـول الله ﷺ يقـول : « إن الشيطـان قد يئس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ، ولكن فى التحريش بينهم »[1] .

أى : ولكنه لم ييأس من الإفساد بينهم ، وتغيير قلوبهم ، والعمل على تقاطعهم . .

وبـما رواه ـ أيضـا ـ الإمـام مسلم عن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ قال : كنا مع رسـول الله ﷺ فى سفـر فنـزلنـا منـزلا ، فمنـا من يصلح خباءه ـ أى خيمته ـ ، ومنا من ينتضل ، ـ أى يسابق بالرمى ـ ومنا من هو فى جَشَره ـ أى فى رعاية دوابه ـ ، إذ نادى منادى رسـول الله ﷺ : الصـلاة جامعـة . فاجتمعنـا إلى رسول الله ﷺ فقال : « إنه لم يكن نبى قبلى إلا كان حقـا عليـه أن يدل أمتـه على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلم لهم . وإن أمتكم هذه جُعِلت عافيتها فى أولها[2] ، وسيصيب آخرَها بلاء وأمور تنكرونها ، وتجىء فتن يرقِّقُ بعضُهـا بعضـا[3] ، وتجىء الفتنـة فيقول المؤمن : هذه مُهلِكَتِى ، ثم تنكشف ، وتجىء الفتنة فيقول المؤمن : هذه هذه . فمن أحب أن يُزَحزح عن النار ، ويدخل الجنة ، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذى يحب أن يُؤتَى إليه . ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده ، وثمرة قلبه ، فليطعه ، وإن جاء آخرُ ينازعه ، فاضربوا عنق الآخر . ومن مات وهو مفارق للجماعة ، فإنه يموت ميتة جاهلية »[4] .

★★★★★

أمـا بعـد : فإن التضـامن والتراحـم والاتحاد ، يزيد الأقوياء قوة على قوتهم ، ويرفع عن الضعفاء ضعفهم . . .

أما الشقاق والتفرق والتدابر . . . فيضعف الأمم القوية ، ويمحق الأمم الضعيفة . . .

---

(١) رياض الصالحين : ص ٦١٠ . باب تحريم الهجران بين المسلمين .

(٢) أى : جعلت سلامتها من الفتن فى أولها .

(٣) أى أن كل فتنة تكون ما بعدها أشد منها .

(٤) رياض الصالحين : ص ٣١٠ . باب وجوب طاعة ولاة الأمور فى غير معصية الله .

وقد فطن إلى هذا المعنى رجل حكيم ، فقد جمع أولاده عندما أحس بدنو أجله ، ـ ليلقنهم درسا فى فوائد الاتحاد ـ ، ثم أحضر حزمة من العصى قد اجتمعت عيدانها ، وطلب منهم أن يكسروها فعجزوا ، فلما فرق عيدانها سهل عليهم كسرها ، فقال لهم :

كونوا جميعا يابنى إذا اعترى خطب ، ولا تتفرقوا آحادا
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا فإذا انفردن تكسرت أفرادا

وإذا كان أهل الباطل يتجمعون من أجل نصرة باطلهم . . .

فأولى ثم أولى بأهل الحق أن يتضامنوا ويتحدوا ، لإحقاق الحق ، وإزهاق الباطل .

إن العقلاء من الناس يختلفون فى وجهات نظرهم ، ولكنهم لا يتباغضون ولا يتنابذون . . . بل يعيدون التشاور فيما بينهم ، حتى يصلوا إلى الحق الذى ينشدونه .

إننا نتطلع إلى تضامن بين المسلمين ، يقوم على تعاليم الإسلام ، وتحرسه تشريعاته الحكيمة ، وتحميه من الانحراف آدابه القويمة ، وتوجهه إلى البر والتقوى آدابه الكريمة . . .

وهذا إنما يتأتى ، متى صلحت النيات ، وصدقت العزائم ، وطهرت النفوس من الغل والحسد والأنانية والميل مع الهوى . . .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾

﴿ **ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم** ﴾



الفتح العمري للقدس

نموذج للدعوة بالعمل والقدوة

د. شفيق جاسر أحمد محمود
رئيس قسم التاريخ بالجامعة

تمهيـــد :

وضع الإسلام معايير خاصة لسلوك المسلمين ، تجعل له طابعاً متميزاً ، وهذه المعايير مستوحاة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، ومن التطبيق العملي لهذه الأخلاق وهـذا السلوك ، كما قام بها ومـارسهـا رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون وأصحابه والسلف الصالح جميعاً .

فلا إيـمان بالقلب إلا إذا صدقـه العمـل وظهـر على الجـوارح بالعبـادات والأخـلاق والمعاملات . وقد كان التزام سلفنا الصالح بهذا الخلق سبباً لنيلهم خيري الدنيا والآخرة ، ومثـاراً لإعجـاب أعدائهم بهم ، وبعقيدتهم ودينهم الجديد . فدانت لهم الأمم ، وأعجبت بهم الشعـوب ، ودخلت في دينهم زرافـات ووحـدانا طائعة مسرورة . وحتى الشعوب التى بقيت على دينها ، فإنها رأت في الخضوع لسلطان المسلمين خلاصاً من ظلم مستعبديهم ولو كانـوا من بنى جلدتهم ، ورأت في الـوجـود الإسـلامى أمنـاً واطمئناناً على النفس والعرض والمال والولد والمعتقد والمقدسات .

لهذا فقـد كان سلوك المسلمـين أهم وسـائل إظهار محاسن دينهم وكان لذلك أثره على الفـرد والمجتمـع ، كما كان تطبيقهم العمـلي لتعـاليم ذلك الدين ، أهم وسائل الدعوة لهذا الدين ، فالمساواة ، والعدل ، والتواضع ، والإعراض عن الإغراق في متع الدنيا ، والرحمة ورعاية أهل ذمة الله ورسوله ، كل تلك الصفات المثالية طبقها المسلمون وخصوصاً في عصر النبـوة والخلفـاء الـراشـدين كما طبقهـا من جاء بعدهم من الخلفاء المتقين أمثال عمر بن عبد العزيز وغيره .

وكنمـــوذج لهذه الأخـلاق الإسـلاميـة ، وتطبيق لأهميـة القـدوة والعمـل بالأخـلاق الإسلامية في الدعوة الإسلامية ، أورد فيما يلي من خلال هذا البحث المتعلق بفتح القدس ، وصفـاً لسلوك عمـر بن الخطـاب رضى الله عنـه والمسلمون عامة ، مما كان له أطيب الأثر فى نفـوس النصـارى . ودفعهـم الى المطالبة بأن يكون الخليفة نفسه المتولي لاستلام مدينتهـم . وزاد في ثقتهم في عدلـه وعـدل المسلمـين ، ما رأوه وجـربـوه من أخلاقه وأخلاق أصحابه ، فأعجبـوا بهذا الـدين الجـديـد الـذي استطاع تحويل هؤلاء العرب الى اللين بعد القسوة ، والقناعة بعد الطمع ، والوحدة بعد الفرقة ، وحفظ العهد ورعاية الذمة بعد الغزو والنهب . فدفـع ذلـك معظم أهـل الشـام ومنهم أهـل القـدس إلى الاقبال على الدخول في الإسلام خلال سنوات ليست بالطويلة .

أهمية القدس لدى المسلمين :

للقـدس مكـانة خاصة لدى المسلمين ، لا تقل عن مكانتها لدى أصحاب الديانات السـماويـة الأخـرى ، فهي أولى القبلتـين ، وثـالث المسجدين الشريفين اللذين تشد إليهما الرحال ، وإليها أسرى بالرسول الكريم ﷺ ، ومنها عرج به إلى السماء ، وفيها صلى بالملائكة .

وقد نص القرآن الكريم على أنها مباركة ، باركها رب العالمين هي وما حولها وذلك في الآية الأولى من سورة الإسراء : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ . هذا بالاضافة الى ما ذكره المفسرون في تفسير بعض آيات القرآن الكريم وما حوته من إشارات إلى مكانة القدس فى الإسلام .

كما أشـار إليهـا الـرسول الكريم ﷺ ، حينما حض على زيارتها في الحديث الصحيح « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى »[1] بالاضـافـة إلى العـديـد من الأحـاديث التي أوردتهـا كتب الحـديث ، وكتب الفضائل المتعلقة بأهمية القدس وفضلها وفضل الصلاة في مسجدها ، والإهلال منها بحجة أو عمرة ، والوفاة فيها .

---

(١) ابن حنبل : المسند ، ٢ : ٢٣٨،٢٣٤ . مسلم : الصحيح ، ٢ : ٥١٣،٤١٥ .

كما أنه ليس من المستغرب أن نعلم بأن معظم سكانها قبل الفتح كانوا من أصل عربي ، شأنهم شأن سكان فلسطين ، حيث كان جل سكانها من لخم وجذام الذين تنصروا[1] . ولو رجعنا إلى التاريخ أكثر قليلاً لوجدنا أصل سكانها من اليبوسيين الكنعانيين الذين هاجروا لبلاد الشام من السواحل الشرقية للجزيرة العربية .

الروايات المختلفة في كيفية وتاريخ فتحها :

لهذا كله أهتم المؤرخون المسلمون بأخبار فتحها ، والسنة التي تم فيها الفتح ، كما أفاضت كتب التاريخ في ذكر أخبار محاصرة المسلمين لها ، وحضور الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتسلمها ومصالحة أهلها وإعطائهم عهد الأمان الذي عرف بالعهدة العمرية ، بالإضافة إلى بناء مسجده بساحة المسجد الأقصى .

ومن دراسة الروايات المختلفة يتبين لنا أن الروايات الشامية تؤكد أن هدف قدوم الخليفة عمر بن الخطاب من المدينة إلى الشام ، كان تسلم مدينة القدس بناء على طلب أبي عبيدة ، القائد العام للجيوش الإسلامية المحاصرة لها ، وتلبية لرغبة بطريركها . مما يؤكد أهمية القدس لدى المسلمين ، وهذا لا يمنع أن يكون الاجتماع بالمسلمين وتنظيم إدارة بلاد الشام أحد أهداف الخليفة عمر أيضاً من مسيره إلى الشام . فسار بعد تسلم القدس إلى الجابية حيث كانت غنائم اليرموك وغيرها موجودة هناك ، وقد أيد الشاميين في وجهة النظر هذه بعض الرواة الحجازيين . وإنني أميل إلى ترجيحها ، فأهل الشام قد يكونون أدرى بفتوح بلادهم .

أما الروايات التى ذكرت بأن حضور الخليفة إنما كان بقصد الاجتماع بالقادة المسلمين في الجابية ، ثم اتفق ان طلبت القدس الاستسلام في ذلك الوقت فذهب إليها الخليفة وتسلمها ، فهي على الأغلب روايات كوفية ، بعيدة عن مجريات الأحداث ، إن لم نقل إن الغرض منها قد يكون إظهار ان القدس ليس لها فضل كبير على المدن الأخرى ، وذلك نكاية بالامويين الذين كانوا يظهرون إهتماماً خاصاً بالقدس ، وهذا ينطبق على الروايات التي أفادت بأن خالد بن ثابت الفهري ، أو عمرو بن العاص هما اللذان حاصرا القدس واضطرا أهلها لطلب الصلح ، وكذلك الرواية التى ذكرت بأن العوام هم الذين صالحوا عمر بن الخطاب وليس البطريرك صفرونيوس .

---

(١) البلاذري : ٢٥٩، الواقدي : ١ : ١٧٠ .

أما عن السَنَةِ التي فتحت فيها القدس ، فقد ذكر الطبري عن سيف أنها كانت سنة ١٥هـ (١) . كما ذكر ابن سعد ، وخليفة بن خياط ، واليعقوبي ، وابن عساكر ، والواقدي ، والبلاذري ، والطبري في رواية أخرى عن سيف أن الفتح كان سنة ١٦هـ (٢) . كما ذكر ياقوت الحموي ، والبلاذري وابن اسحق ، والطبري في رواية سيف عن هشام بن عروة بأن الفتح كان سنة ١٧هـ (٣) . والأغلب أن عام ١٧هـ ، هو الأصح .

أحداث الفتح والقدوة في سلوك الخليفة وأصحابه :

لقد تخللت أحداث الفتح مجموعة من المواقف ، ونماذج من السلوك صدرت عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن أصحابه ، كانت كما سبق أن ذكرت أكبر برهان على أثر الإسلام على معتنقيه من حيث إحداث التغيير الأساسي في الخلق والسلوك وتوجيههما نحو المثالية والكمال الذي طمحت وتطمح إلى بلوغه أو بلوغ شيء منه جميع الأمم والمصلحين . فكان أن أقبلت الشعوب على الدخول في ذلك الدين ، أو انضوت تحت حكم المسلمين واثقة من عدالتهم ووفائهم بعهودهم ، ورأى قادة الروم والفرس أن أمة تعتنق مثل هذا الدين لا يمكن أن تغلب أو تقاوم ، فانهارت مقاومتهم وعمهم الرعب وأزيلت أكبر امبراطوريتين في ذلك العهد ، رغم فارق العدد والعدة والغنى والخبرة بين المسلمين وبين أعدائهم .

ونلمس في أحداث فتح مدينة القدس معالم من هذا السلوك الإسلامي والمواقف الإنسانية منها :

ثقة القادة المسلمين بقيادتهم العامة وطلبهم الدائم لتوجيهاتها ، فنرى أبا عبيدة بعد انتصاره في معركة اليرموك وفتح مدينة دمشق ، يرسل رسوله ، عرفجة بن ناصع النخعي ، يطلب التوجيه من الخليفة عمر بن الخطاب في المدينة ، فيأمر الخليفة قائده المظفر وصديقه الحميم بأن يتوجه بالمسلمين نحو القدس . وعند ذلك يوجه القائد أبو عبيدة جيوشه نحو القدس ، على هيئة كتائب يقود كل منها أحد القادة ، أمثال خالد بن الوليد ، وشرحبيل بن حسنة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وتضم كل منها خمسة آلاف جندي ويفصل بينها وبين

---

(١) الطبري : جـ١ : ٢٤٠٥ ـ ٢٤٠٦ .

(٢) ابن سعد : ٣ : ٢٠٣ . اليعقوبي : ٢ : ١٦٧ . ابن عساكر : ١ : ٥٥٣ . الطبري : ١ : ٢٤٠٨ . البلاذري : أنساب الاشراف ق٢ ص٤٩٥ عن الواقدي .

(٣) ياقوت : ٥ : ٥٩٨-٥٩٩ . البلاذري : فتوح : ١٣٨-١٣٩ . الطبري : ١ : ٢٣٦٠ .

الكتيبة الأخرى مسيرة يوم واحد . بالإضافة لجيش عمرو بن العاص الذي كان قد سبقهم إليها ، وإلى ضعفة الناس والنساء الذين سار بهم أبو عبيدة[1] على مهل رفقاً بهم .

وكدأب المسلمين في فتوحاتهم ، وجه أبو عبيدة رسالة لأهل القدس خيرهم فيها بين الدخول في الإسلام ، أو دفع[2] الجزية ، أو القتال . فكان أن رفض بطريركها صفرونيوس ـ الذي تولى قيادتها بعد فرار بطريكها إلى مصر على إثر معركة أجنادين ـ رفض طلب أبي عبيدة ، وتحصن بالمدينة آملاً في وصول إمدادات ونجدات رومية إليه ، خصوصاً وهو يعلم أهمية القدس لدى الروم النصارى ، وظناً منه أن المسلمين لن يستطيعوا تحمل برد القدس الشديد ، مما سيضطرهم لفك الحصار عندما يشتد البرد .

وهنا تبدو مرة أخرى مقدرة المسلمين على تخطي الشدائد ، فتحملوا بتجهيزاتهم البسيطة ، برد القدس الشديد وأمطارها الغزيرة ، ولاقوا من ذلك عنتاً كبيراً ولكن لم يفت في عزيمتهم ولم يفكروا في فك الحصار .

وعند حلول فصل الربيع ، رأى صفرونيوس أن ما توقعه لم يحدث ، فلا الروم أنجدوه ، ولا البرد أجبر المسلمين على فك الحصار . فلم يجد بداً من عرض التسليم على أبي عبيدة ، ولكنه اشترط أن يحضر الخليفة بنفسه من المدينة المنورة[3] ليتسلم القدس ويعطي أهلها عهداً ، وذلك لما كان يسمعه عن الخليفة عمر بن الخطاب من عدالة ، ورفق ، ووفاء بالعهد .

ورغم أن بعض قادة أبي عبيدة قد أشاروا عليه بمناجزة أهل القدس حتى يجبروهم على الاستسلام ، إلا أن ما رآه أبو عبيدة من شدة ما قاساه المسلمون من البرد ، وما قاساه أهل القدس من الحصار الذي طال أمده ، دفعه لأن يكتب للخليفة ، يخبره بأحوال المسلمين والنصارى ، وبما عرضوه عليه من تسليم المدينة[4] للخليفة شخصياً ، وأشار عليه بالحضور لأن في ذلك حقناً لدماء المسلمين .

أرسل أبو عبيدة رسالته مع رسول من المسلمين يرافقه وفد من أهل القدس أرسلهم صفرونيوس . وذكر أن أشد ما أثار دهشة وفد النصارى أن رسول أبي عبيدة أخذ يسأل عن

---

(١) الواقدي : ١ : ٢٢٩ .
(٢) مجير الدين : ١ : ٢٤٧ .
(٣) مجير الدين : ١ : ٢٤٩ .
(٤) مجير الدين : ١ : ٢٥٠ .

مكان الخليفة حتى وجده مستلقيا من الحر ، فقدم إليه وفد أهل القدس رسالة أبي عبيدة ، وجلس الرسول بجانبه ببساطة العربي وأخوة الإسلام يصف له أحوال المسلمين ويبلغه سلامهم ، في حين وقف وفد أهل القدس وهو لا يكاد يصدق ، أن حاكم المسلمين الذين دَوَّخوا دولتي الفرس والروم ، ليس له مقر معروف ، ولا حرس ولا حجاب ، وانه في مثل هذا الحال من البساطة في المظهر والمعاملة .

وهنا يلجأ عمر بن الخطاب لاستشارة الصحابة كدأبه في مثل هذه الأحوال ، فيشير عليه بعضهم بالخروج ويشير بعض آخر بعدم الخروج . ولكنه يفضل الخروج رغم مشاق السفر ، ويستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ويصطحب خادمه وبعض أصحابه منهم عبادة بن الصامت ، والزبير بن العوام ، والعباس بن عبد المطلب[١] .

وتبدو البساطة واضحة في تجهيزاته للخروج ، فيركب بعيره الأحمر ، ويضع عليه غرارتين في أحدهما سويق ، وفي الآخر تمر ، ويضع بين يديه قربة ماء وخلفه جفنة زاد . كل ذلك أمام وفد أهل القدس ودهشتهم .

ومن تواضعه أنه عندما وصل إلى مشارف بلاد الشام ، استقبله المسلمون بالرايات والسيوف والخيول وعلى رأسهم أبو عبيدة . وأقبل أبو عبيدة على الخليفة عندما رآه مسلماً عليه ومحاولاً أن يقبل يده تعظيماً له ، ثم تعانقا ، وقيل إن المسلمين قدّموا لعمر برذوناً وثياباً بيضاء ليكون مظهره مهيباً ، في قلوب الروم ، ولكنه رفض الثياب وركب البرذون ، فهملج به البرذون ، فنزل عنه مسرعاً وركب بعيره وقال : « لقد غيرّ ني هذا حتى كدت أتغير وأنس نفسي »[٢] .

وروي أن عمر بن الخطاب وهو في طريقه من المدينة إلى القدس ، عرضت له مخاضة ، فنزل عن بعيره ، ونزع جرموقيه وأمسكها بيديه وخاض الماء ومعه بعيره ، فقال له أبو عبيدة : « لقد صنعت اليوم صنعا عظيماً عند أهل الأرض » فما كان من عمر إلا أن صك أبا عبيدة في صدره قائلاً : « لو غيرك يقولها ياأبا عبيدة ، إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس ، فأعزكم الله بالإسلام »[٣] .

---

(١) الواقدي : ١ : ٢٣١ روى الطبري عن سيف أن عمر استخلف علي بن أبي طالب على المدينة . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ٧/ ٦١ .

(٢) مجير الدين : ١ : ٢٥٠-٢٥٢ . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ٧/ ٦١ ، والطبري : ١ : ٢٤٠٨ .

(٣) مجير الدين : ١ : ٢٥٣ .

وزاد من دهشة النصارى أن عمر بن الخطاب عندما اقترب من القدس كان يركب ركوبة غلامه ، وكان غلامه يركب جمله الأحر[1] ، فعندما رأه أهل القدس يركب حماراً صغيراً ، وقيل كان ماشياً والخادم يركب جملاً أحمر ، أكبروه وسجدوا له ، فقال : « لا تسجدوا للبشر واسجدوا لله » . فتعجب القسيسون والرهبان من ذلك وقالوا : « ما رأينا أحداً قط أشبه في وصف الحواريين من هذا الرجل »[2] . وقال صفرونيوس باكياً « إن دولتكم باقية على الدهر ، فدولة الظلم ساعة ودولة العدل إلى قيام الساعة »[3] .

كما تجلى حرصه على أموال النصارى في تصرفه - لدى وصوله القدس - عندما علم بأن المسلمين قد استولوا على كرم من العنب يقع قرب المدينة ، وكان تحت يد الروم وقد غلبهم المسلمون عليه ، وكان الكرم لرجل من النصارى ، فأخذ المسلمون يأكلون من عنب ذلك الكرم ، فأسرع النصراني إلى عمر بن الخطاب شاكياً ، فدعا عمر ببرذون له فركبه عرياناً من العجلة ، ثم خرج يركض به ليردّ المسلمين عن الكرم ، فلقى في طريقه أبا هريرة يحمل فوق رأسه عنباً ، فقال له الخليفة عمر : « وأنت أيضا ياأبا هريرة ؟ » . فقال أبو هريرة : « ياأمير المؤمنين ، أصابتنا مخمصة شديدة ، فكان أحق من أكلنا من ماله من قتلنا » . وعند ذلك استدعى عمر رضى الله عنه صاحب الكرم ، وطلب منه أن يقدر ثمن محصوله ، لأن الناس كانوا قد أكلوه ، فقدره الذمي ، ودفع له عمر ثمنه ، فما كان من الذمي إلا أن أسلم[4] .

وصف المصادر النصرانية لدخول الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه القدس :

وأذكر هنا ما أورده مؤلفا كتاب (تاريخ القدس ودليلها) وهما نصرانيان ، نقلاه بدورهما عن كتاب للآباء الفرنسيسكان وهم من أكثر الفئات تعصباً للنصارى ، فقد ذكرا بأن عمر بن الخطاب عندما قدم إلى القدس « استطلع أبا عبيدة على ما كان من أمر القتال ، فقص عليه أبو عبيدة تفصيلاً لما جرى ، وما أصاب المسلمين وأهل القدس من الضيق والشدة ، فبكى عمر ، وأمر فوراً بأن يبلغوا البطريرك قدومه ، ففعل أبو عبيدة ما أمره

(١) ابن عساكر : ٧ : ٢٢٦ .
(٢) ابن عساكر : ٧ : ٢٢٦ .
(٣) ابن عساكر : ٧ : ٢٢٦ .
(٤) مجير الدين : ١ : ٢٥٣ .

به الخليفـة . وعنـد ذلـك خرج صفرونيوس ومعه الرهبان والصلبان ووجوه النصارى ، فلما انتهوا إليه ، خف للقائهم ، وقد حياهم بالسلام ، واقتبلهم بمزيد من الاحتفاء والإكرام . وبعـد أن تجاذب والبطـريق أطـراف الحـديث ، في شأن المعـاهـدة والتسليم ، أخذ قرطاساً وكتب لهم وثيقـة أمـانهم كما طلبـوا . وقـد رفض عمـر عند دخوله المدينة أن يصلى في كنيسة القيامة وصلى على مقربة منها . وعندما فرغ من صلاته قال للبطريرك : أيها الشيخ لو أنني أقمت الصـلاة في كنيسـة القيـامـة ، لوضـع المسلمـون عليها أيديهم فى حجة إقامة الصلاة فيها ، وأني لآبى أن أمهد السبيل لحرمانكم منها ، وأنتم بها أحق وأولى »[1] .

وصف المصادر الاسلامية لدخول المسلمين مدينة القدس :

أمـا المصـادر الإسـلاميـة فتـذكر أن الخليفة كتب للبطريرك صفرونيوس عندما حضر لاستقبـالـه على جبـل الـزيتـون كتاباً ، أمنهم فيه على دمائهم وأموالهم وكنائسهـم ، إلا أن يحدثـوا حدثـاً عامـاً ، شريطـة أن يدفعـوا الجـزيـة[2] . وقـد ذكـرت المـراجـع الإسـلاميـة والنصـرانيـة ، نصـوصـاً مختلفـة لهذا العهـد الذي عرف بالعهدة العمرية لا مجال للتفصيل فيهـا . ثم دخـل الخليفـة يرافقـه قادة المسلمـين وأربعة آلاف جندي منهم ، لا يحملون إلا السيوف في أغمادها خوفاً من الغدر ، فزار كنيسة القيامة وصلى على مقربة منها ، ثم طلب من صفـرونيـوس أن يدلـه على مسجـد داود عليـه السلام ، الذي أسرى بالرسول ﷺ إليه حيث صلى فيـه وعُـرِجَ به منـه إلى السماء . فطاف به صفرونيوس على عدة أماكن ، وعمر ينظر إليها ثم ينكرها ، لمخالفتها للوصف الذي وصفه الرسول ﷺ يوم سرى به ، فلما وصل به صفرونيوس إلى ساحة المسجد الأقصى ، وكانت مليئة بالزبل ، نظر عمر يميناً ويساراً ثم كبرّ قائـلاً : « هذا والله مسجـد داود عليـه السـلام الـذي وصفـه لنا رسول الله ﷺ » فأزال المسلمون الزبل عن المكان ، فصلى فيه وقيل طلب من المسلمين ألا يصلوا فيه حتى تصيبه ثلاث مطرات[3] .

المسجد الذي بناه الخليفة عمر بن الخطاب فى ساحة المسجد الأقصى :

قال عمر بن الخطاب لكعب الأحبار : « يأبا اسحق ، أتعرف موضع الصخرة ؟ » . فقال كعب : « اذرع من الحائط الذي يلي وادي جهنم ، كذا وكذا ذراعاً ، ثم احفر فإنك

---

(١) خليل طوطح ورفيقه : ٩-٢٣ ، انظر الأباء الفرنسيسكان : السير السليم من يافا إلى أورشليم القدس ١٨٩٠م .
(٢) اليعقوبي : ٢ : ٤٦ .
(٣) مجير الدين : ١ : ٢٥٥ .

تجدها » . وعندما حفر عمر ومن معه ظهرت الصخرة . وقيل إن عمر رضى الله عنه عاد فسأل كعباً : « أين ترى أن نجعل المسجد ؟ ـ أو قال القبلة ـ » قال كعب : « اجعله خلف الصخرة ، فتجتمع القبلتان ، قبلة موسى عليه السلام ، وقبلة محمد ﷺ » . فقال له عمر ـ بعد ان صكه بيده في صدره ـ : « لقد ضاهيت اليهودية يأبا اسحق ! خير المساجد مقدمها . فنجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله ﷺ قبلة مساجدنا صدورها . إذهب ، إليك عني ، فإنا لم نؤمر بالصخرة ، وإنما أمرنا بالكعبة . وما الصخرة إلا قبلة منسوخة »[١] .

مكان المسجد :

قال الواقدي : لقد خط عمر مسجده إلى الجنوب الغربي من الصخرة المشرفة[٢] . وذكر البكري وابن حبيش والمقريزي في الخطط وجمال الدين في مثير الغرام ونقل عنه السيوطي أن عمر بنى مسجده أمام الصخرة المشرفة[٣] . وذكر مجير الدين أن بداخل المسجد الأقصى في صدره من جهة الشرق مجمع معقود بالحجر وأشيد به محراب ، ويقال لهذا المجمع جامع عمر ، لأنه من بقية بناء عمر عند الفتح[٤] . وذكر كروزويل بأن المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب كان مكان المسجد الأقصى اليوم ، ونقل ذلك عن كليرمنت غانو[٥] .

وصف المسجد الذي بناه الخليفة عمر بن الخطاب :

لم يشر البلاذري (ت ٨٦٨م) ، والطبري (ت ٩١٥م) ، واليعقوبي (ت ٨٧٤م) ، وابن الفقيه (ت ٩٠٣م) . إلى المسجد الذي بناه الخليفة عمر بن الخطاب عندما تعرضا لفتح القدس ، ووصفا الحرم القدسي في أيامه الأولى ، وهذا أمر يدعو إلى الاستغراب .

وقد وصفه الواقدي فقال : « وخط عمر بن الخطاب مسجده إلى الجنوب الغربي من الصخرة وصلى وأصحابه به صلاة الجمعة . وكان البناء من الخشب ، ويتسع لحوالي ثلاثة آلاف مصلي ، وغادر القدس بعد أن أقام بها عشرة أيام[٦] .

---

(١) الواقدي : ١ : ٢٤٢ ، الطبري : ١/٢٤٠٩ عن رجاء بن حيوه عمن شهد الفتح .
(٢) الواقدي : ١ : ٢٤٢ .
(٣) ابن البطريق : نظم الجواهر ٢ : ١٧٠ .
(٤) مجير الدين : ١ : ٣٦٧ .
(٥) Greswell .L. P.11
(٦) الواقدي : ١ : ٢٤٢ .

وأقدم وصف لهذا المسجد أورده أحد السائحين الفرنجة إلى الشرق وهو الأسقف اركولف ، اسقف غاليا (فرنسا اليوم) ، حيث زار القدس بقصد الحج عام ٦٧٠م أى بعد الفتح الإسلامي بحوالى اثنين وعشرين عاماً فقط . فقال إن عمر بن الخطاب بنى بساحة الهيكل مسجداً مربع الشكل ، يتسع لحوالي ثلاثة آلاف مصلي ، ويقع إلى جوار الحائط من الشرق ، وهو مبنى من بقايا أعمدة وجذوع أشجار ، وغير مسقوف . كما ذكر لي سترانج بأن المؤرخ الرومى ثيوفانوس (٧٥١-٨١٨م) قد وصف المسجد الذي بناه عمر فقال : « إن الخليفة عمر بن الخطاب بدأ يبني مسجده في منطقة الهيكل سنة ٦٤٣م (٢٢هـ)[1] ، لهذا ظل الغربيون والنصارى عامة يطلقون إسم (مسجد عمر) على المسجد الأقصى ، مع أن (مسجد عمر) عند المسلمين هو المسجد الصغير المقام أمام كنيسة القيامة على المكان الذي صلى فيه عمر بن الخطاب عندما فتح القدس .

خاتمـــــة :

وبعد فهذه عجالة سريعة ، وصورة خاطفة ومشهد قصير في مدته ضيق في مساحته ، ولكنه كملايين المشاهد الخالدة مليء بالمفاخر التي حققها سلفنا الصالح ، صحابة النبي ﷺ . فكان أن فتحت عليهم المشارق والمغارب ، ودانت لهم الجبابرة ، وعم على أيديهم نور الإسلام أنحاء المعمورة . فكانوا قدوة للعالمين فى تمسكهم بعقيدتهم ، والتزامهم بتعاليم دينهم ، وفي وحدتهم وتناصحهم وجهادهم ، بعد أن كانوا فى جاهليتهم مضرباً للمثل في الفرقة ، والفردية الأنانية ، والذل ، وما ذلك إلا بإرادة الله وفضل الإسلام . والله الموفق .

المصـــادر والمـــراجع

١ ـ ابن البطريق ، اوثيشيوس الاسكندري (المتوفى سنة ٣٢٨هـ) : **التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق** . بيروت ١٩٠٤م .

٢ ـ ابن حنبل ، الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن محمد . . . بن هلال (١٦٤-٢٤١هـ) : **المسند ، تعليق أحمد محمد شاكر** . القاهرة ١٩٤٦م .

٣ ـ ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الهاشمى البصري ، أبو عبد الله : **الطبقات الكبرى** . بيروت ١٩٥٧م

---

(١) Le Strange P.91

٤ ــ ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله . . . الدمشقي الشافعي ، أبو القاسم (٤٩٩-٥٧١هـ) : **تاريخ دمشق وأخبارها (التاريخ الكبير)** . دمشق ١٣٢٩هـ .

٥ ــ الأزدي ، محمد بن عبد الله . . . البصري ، أبو إسماعيل البصري : **فتوح الشام** . كلكتا ١٨٥٤م .

٦ ــ البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي (القرن الثالث الهجري) : **فتوح البلدان** . نشر صلاح المنجد ، القاهرة ١٩٥٦ ، **انساب الاشراف** . القاهرة .

٧ ــ Greswell (K.A.C.) : Early Muslem Architecture Ymmayyads 622–750 **Lsted. Oxfod 1940 .**

٨ ــ خليفة بن خياط ، أبو عمر بن خياط بن أبي هبيرة . . . الليثي ، العصفري ، الملقب بشهاب (القرن الثالث الهجري) **تاريخ خليفة بن خياط** . تحقيق أكرم ضياء العمري . بغداد ١٩٦٧م .

٩ ــ خليل طوطح ، وبولس شهاده : **تاريخ القدس ودليلها** . القدس ، بدون تاريخ .

١٠ ــ Strange (Guy Le) : Palestine Under The Muslims : **London 1980 .**

١١ ــ الطبري ، أبو جعفر ، محمد بن جرير (٢٢٤-٣١٠هـ) : **تاريخ الرسل والملوك** . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٠-١٩٦٩م .

١٢ ــ مجير الدين العليمي ، عبد الرحمن بن محمد . . . العليمي المقدسي (٨١٠-٩٢٧هـ) : **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** . عمان ١٩٧٧م .

١٣ ــ مسلم ، الإمام مسلم أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم القشيري (٢٠٦-٢٦١هـ) : **الجامع الصحيح** . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . القاهرة ١٩٥٥م .

١٤ ــ الواقدي ، أبو محمد عبد الله بن عمر ١٣٠-٢٠٧هـ : **فتوح الشام** . عمان ١٩٧٥م .

١٥ ــ ياقوت ، بن عبد الله الرومي الحموي (٥٧٥-٦٢٦هـ) : **معجم البلدان** . بيروت ١٩٥٥م .

١٦ ــ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب ، اسحق بن جعفر بن وهب بن واضح ، العباسي المعروف بابن واضح ، وابن اليعقوبي (المتوفى ٢٨٤هـ) : **تاريخ ابن واضح** . النجف ١٣٥٨هـ .

الإسلام والمسلمون فى أنجلترا
ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم

- ٢ -

للدكتور محمد ابراهيم الجيوشى
أستاذ بالدراسات العليا

مشاكل المسلمين : بعد أن عرفنا أن المسلمين فى انجلترا يبلغون زهاء المليون ونصف ، وأنهم اتخذوها وطنا لهم ، فإننا نتساءل :

كيف يباشرون عباداتهم اليومية فى تلك البلاد وكيف يحصلون على طعام حلال لا شبهة فيه ؟ وكيف تتعرف الأجيال الناشئة فى وسط هذا المجتمع الغريب عن الإسلام على مبادىء الدين وسلوكه وأخلاقه ومنهج حياته ؟

فى الحقيقة إن كل سؤال من هذه الأسئلة يمثل مشكلة تواجه كل مسلم يستقر فى هذه البلاد ، ويحاول أن يجد لها حلا ، وبعض هذه المشاكل قد وجدت لها حلول كاملة ، وبعضها الآخر اهتدت إلى حلول جزئية تحتاج إلى متابعة .

١ ــ **فبالنسبة لمشكلة الطعام الحلال** : لقد حلت هذه المشكلة ، بواسطة المحلات والمطاعم الإسلامية المنتشرة فى كل مدينة وحى وقرية يسكنها مسلمون ، وقد يدرك ذلك إخواننا الذين يترددون على لندن من وقت لآخر .

٢ ــ **وأما بالنسبة لأماكن العبادة** : فقد واجهها المسلمون باتخاذ أماكن للعبادة مؤقتة أو دائمة ، وسبيلهم إلى ذلك يبدأ بتجمع السكان المسلمين فى كل حى ، ثم يؤلفون جمعية من أنفسهم تتخذ لها مقرا مؤقتا فى الحى ، وغالبا ما تبدأ باستئجار أحد المنازل تجتمع فيه لتدارس أمورها ، ثم تخصص جانبا منه للصلاة وجانبا للاجتماعات ، وجانبا لتعليم الأطفال إن أمكن ، وينمو هذا الأتجاه بسرعة أو ببطء حسب نشاط القائمين على الجمعية ، وغالبا ما ينتهى بشراء مكان خاص يتخذ مسجدا ، وتقوم من حوله أوجه النشاط الأخرى ، وعن هذه الطريقة أصبحت لا تجد حيّا فى مدينة لندن أو سواها من المدن التى يقطنها المسلمون إلا وبه مسجد يصلى فيه المسلمون ، ويباشرون أنشطتهم الدينية الأخرى ،

وترتب على ذلك أن أقيمت مساجد جديدة على الطراز الإسلامى كما هو الحال فى المركز الإسلامى ومسجد لندن المركزى ، وهو أكبر المؤسسات الإسلامية هناك ، وسنعود للحديث عنه ، ومسجد ويمبلدن ، ومسجد شرق لندن ، ومسجد نور الإسلام بكارديف ، ومسجد ساوث شيلد ، ومساجد برينجهام ومنشستر ، وليفربول وشيفيلد وسواها كثير .

وأحيانا يشترى المسلمون كنيسة أو معبدا يهوديا ثم يحولونه إلى مسجد كما هو الحال بالنسبة لبرسيتول ونيوكاسل ، وأماكن متعددة فى لندن ، ومن ألطف ما يذكر فى هذه المناسبة أن عددا من التجار السوريين يقيمون فى مدينة منشستر كانوا أول من اشترى كنيسة وحولوها إلى مسجد وأطلقوا عليه اسم الجامع الأزهر تيمنا بالأزهر ودوره فى نشر الثقافة الإسلامية .

وأحيانا يشترى المسلمون بناية ويحولونها إلى مسجد ، وهذا هو الغالب فى الأماكن التى تتخذ مساجد فى انجلترا الآن لأن تكاليفه أقل من إقامة مبنى جديد ، وحسبك أن تعلم أنه يوجد فى لندن وحدها الآن قرابة مائتى مكان للصلاة منتشرة هنا وهناك ، وبهذه الوسائل حلت هذه المشكلة . وقد أصبح من المألوف الآن أن ترى فى مدن انجلترا المختلفة مآذن المساجد مرتفعة هنا وهناك ، وليس غريبا أن أصبح مسجد لندن المركزى أحد المعالم الرئيسية للمدينة ، وقد تكلف بناؤه الجديد أكثر من خمسة ملايين جنيه استرلينى ، ويتألف البناء من المسجد الذى يتسع من داخله لأكثر من ألفى مصلّ . يرتفع العدد إلى سبعة آلاف حينما يستعمل الطابق السفلى والرحبات المحيطة بالمسجد من الغرب والشمال والشرق ، ويلمس الزائر للندن فى الصيف هذه الأعداد الضخمة فعلا تحضر صلاة الجمعة فى المسجد الذى يقدم صورة صادقة للأخوة الإسلامية الخالصة تلتقي فى رحاب بيت من بيوت الله .

ويضم المبنى أيضا مكتبة إسلامية ضخمة صمّمت لتسع خمسة وسبعين ألف كتاب عن الإسلام باللغات المختلفة ، وكان الأمل معقودا أن تتخذ هذه المكتبة مركز انطلاق للدراسات الإسلامية فى قلب أوربا يقوم على توجيهها علماء مسلمون ، ولعل ذلك يتحقق قريبا إن شاء الله تعالى .

ويضم المبنى أيضا إدارة المركز الإسلامى وصالات الاجتماعات التى تعقد فيها الندوات والمؤتمرات ، ويستقبل فيها وفود الزوار من الراغبين فى التعرف على الإسلام ، وعادة ما يكون هؤلاء من طلاب المدارس العليا والجامعات حيث يستمعون إلى محاضرة عن

الإسـلام يعقبهـا نقـاش حول بعض القضـايـا وموقف الإسلام منها ، وأحيانا يسبق ذلك أو يلحقه عرض أحد الأفلام الذى يقدم صورة إسلامية حضارية أو تاريخية أو عبادية .

ومن معـرفـة الفضـل لأهله أن نذكـر هنـا أن المغفور له جلالة الملك فيصل قد أسهم بالنصيب الأكـبر فى تكـاليف إقـامـة هذا البنـاء ، وأن المغفور له جلالة الملك خالد قد وقف على المسجـد والمركـز مبلغ مليـون ومـائتى ألف جنيـه استرلينى يستغل فى بعض المشاريع النافعة وينفق من ريعه على احتياجات المسجد ونشاطات المركز التى تزيد سنويا عن مائتى ألف جنيه استرلينى .

ومن طريف ما يذكـر هنـا أن أقـدم مسجـد أقيم فى لندن كان فى حديقة أحد القصور المطلة على نهر التيمس ، أقـامتـه سيـدة إنجليـزية تدعى ليدى استانلى هوب Lady Stanly Hope منذ حوالى ثمانين عاما ، كانت معنية بالبحث فى تاريخ طائفة الدروز ، ورحلت إلى دمشق ، وأقـامت فى ضيـافة إحدى الأسر السنية هناك ثم استضافت فيها بعد رب الأسرة فى لندن ، وأقامت له مسجدا فى حديقة القصر حتى يؤدى صلواته فيه أثناء إقامته بلندن ، وقد حافـظ أحفـاد هذه السيـدة على المسجـد وظلوا يفتحونه لصلاة العيدين فى كل عام ، ومنذ اثنى عشر عاما عرض القصر للبيع ، وجاء مالكوه إلى المركز الإسلامى يعلنون عن رغبتهم فى أن يشـتريـه أحـد المسلمـين حتى يحافـظ على المسجد ، إلا أننا للأسف لم نوفق فى ذلك الوقت إلى من يرغب فى شرائه من المسلمين . ولست أدرى ماذا آل إليه أمره الآن .

جـ ـ أمـا كيف تربى الأجيـال المسلمة الناشئة : فهذه هى المشكلة التى يتوقف على النجـاح فى علاجهـا مستقبـل الإسلام فى هذه البلاد وقد تجسم الإحساس بهذه المشكلة بعد أن نشأت أجيال ولدت فى انجلترا وشعر الآباء بالحاجة الملحة فى تنشئة أبنائهم حسب تعاليم دينهم ، ولم يشعـر الجيـل الأول القـادم إلى تلك البلاد بهذه المشكلة ، لأنه قدم إليها بعد ما استـوى عوده ، ونشأ فى بلاده على الأخـلاق الإسـلاميـة ، والسلوك الإسلامى ومرن على القيام بواجباته الدينية ، فلم يكن من السهل أن تجرفه التيارات والاتجاهات المخالفة لما ألفه فى بلاده وتـربى عليـه ، بل إن عددا منهم كان يبنى مسجـدا صغـيرا فى حديقـة منزله مماثلا للمساجد فى بلده التى عاش فيها ونشأ وكان إذا اضطر لبيع المنزل يشترط على المشترى أن يحافـظ على المسجـد ويبقيـه مفتـوحـا للمسلمين فى الصلوات الخمس ، رأيت هذا المثل فى مدينتـين ساحليتـين من ضواحى كارديف تسمى إحـداهما نيـوبـورت يعنى الميناء الجديد ، وتسمى الثانية بارى أيلند يعنى جزيرة بارى ، لذلك لم يكن هناك خوف على هؤلاء الذين

قدموا ولهم من الحصانة الدينية مايحميهم من المغريات .

فلما نشأت أجيال جديدة ليست وثيقة الصلة ببلادهم الأولى ، ولا يستطيعون أن يتحدثوا لغة الآباء إلا بصعوبة بالغة بدت فى الأفق دلائل الخطر التى تهدد الأجيال الناشئة بالضياع ، فتحرك الآباء والمهتمون بأمر الدعوة الإسلامية هناك ، وأخذوا فى البحث عن علاج لهذه المشكلة ، قبل أن يستفحل خطرها ، وتستعصى على الحل . وسارت الحلول فى اتجاهات متعددة ، تمثلت فى افتتاح فصول فى آخر الأسبوع فى أماكن تجمعات المسلمين يتعلم فيها أبناؤهم الضرورى من أمور دينهم وتسمى هذه الفصول مدارس آخر الأسبوع Week and Schools واستطعنا أن نرتفع بعدد تلاميذ هذه الفصول فى لندن وحدها فى فترة ما إلى ألفى تلميذ ، وحاولت بعض الجمعيات الإسلامية أن تهيىء فترة يومية لأبناء المسلمين فى المساجد والجمعيات الإسلامية بعد انتهاء اليوم الدراسى ، وقام آخرون بالاتصال بمديرى المدارس الحكومية التى يوجد بها تلاميذ مسلمون ، وخصصت لهم أوقات محددة حوالى عشرين دقيقة فى الصباح قبل بداية اليوم الدراسى مرتين أو أكثر أسبوعيا يسمح فيها لأحد المدرسين المسلمين بالتحدث إلى التلاميذ المسلمين بالمدرسة عن الإسلام ، وهو جهد قليل الجدوى على الرغم من الإخلاص البادى فى القائمين عليه ومما لاشك فيه أن هذه المحاولات تعكس اهتمام الآباء بمصير الأبناء إلا أنها ليست كافية لمواجهة المشكلة والتغلب عليها ، وذلك لأن الأوقات المخصصة للدراسة ليست مناسبة لأنها إما أن تكون بعد أن يقضى التلميذ يوما مرهقا فى المدرسة يحتاج بعده إلى الراحة والاستجمام . أو أنها فى يوم الراحة الأسبوعية وهو ضرورى من الناحية التربوية لاستمرار نشاط التلميذ فى الإقبال على دروسه بدون ملل أو سأم ، أو أنها فى أوقات مبكرة قبل بداية اليوم الدراسى مما يجعلها ثقيلة على الأطفال غير محببة إليهم وآثارها النفسية فى هذه الحالات معروفة للجميع هذا بالنسبة للوقت أما بالنسبة للأمكنة فإن كثير من القائمين على هذه الفصول لم تساعدهم إمكاناتهم المادية والتربوية على تهيئة الاستعداد الكافى الذى يناسب مستويات هذه البلاد وطبيعتها وتبدو الآثار الضارة لهذا التفاوت فى الاستعدادات حينما يقارن الطفل بين ما يجده فى مدرسته التى يشارك فيها الآخرين من أبناء الشعب الانجليزى ، وبين هذه الفصول التى يتلقى فيها تعليمات باسم الإسلام مما يجعله يحس بالفرق بين ما ينتسب للإسلام وما ينتسب إلى سواه ، وهذا يسبب خطرا نفسيا يتعرض له أطفال المسلمين فى تلك البلاد .

وبالنسبة للمدرس والكتاب فلم يكن هناك مدرس متخصص أو منهج متكامل ، وقد دعانا ذلك إلى الاستعانة بعدد من طلاب الدراسات العليا بين المسلمين ليقوموا بعملية

التعليم ، وأما موضوع الكتاب فقد أمكن التغلب على النقص فى المنهج بإعداد سلسلة من الكتب المدرسية باللغة الانجليزية تقدم المعلومات الضرورية للناشئة المسلمين من سن الخامسة حتى الخامسة عشرة .

وعلى الرغم من كل ذلك فإن المشكلة لاتزال قائمة تحتاج إلى حلّ عاجل ، ومن استعراض هذه النماذج التى أشرنا إليها نرى أن مدارس آخر الأسبوع أكثرها فائدة ، وقد أشرف المركز الإسلامى فى لندن على إدارة أعداد منها فى لندن وضواحيها وقدم المساعدات المالية والثقافية للقائمين عليها فى الأماكن المختلفة ، ولكن ذلك كله لا يقدم حلا جذريا لهذه المشكلة .

لكل هذه الظروف وانطلاقا من الإحساس بالخطر المقبل ، ومحاولة تأمين مستقبل النشء المسلم فى تلك البلاد إلى جانب ما لاحظناه من أن عددا من أسر المسلمين فى الشرق العربى والإسلامى يبعثون بأبنائهم إلى المدارس الانجليزية الخاصة ويقدمون فى سبيل ذلك نفقات باهظة ليتلقى أبناؤهم تربية تختلف فى أهدافها ومناهجها وقيمها عن أهداف الإسلام وقيمه ومناهجه فإذا ما أكملوا دراستهم وعادوا إلى بلادهم شعروا أنهم غرباء بين أهليهم وذويهم وعاشوا فى صراع معلن أو خفى والخاسر فى كل الحالات هو العالم الإسلامى لهذا رأينا أن نتقدم بمشروع إنشاء مدرسة إسلامية كاملة تحقق للنشء المسلم ما نريد ، وتحميه من الضياع وتكون نموذجا يحتذى لمن يريد أن يشارك فى هذا المجال ويتلخص المشروع فيما يلى :

١ ــ تتكون المدرسة من مراحل التعليم المختلفة من الروضة إلى نهاية المرحلة الثانوية .

٢ ــ تزود المدرسة بكل ما تستلزمه التربية الحديثة من استعدادات من ملاعب وصالات اجتماعات ودور للعرض وحمامات للسباحة إلى جانب المسجد الذى ترتبط المدرسة به ارتباطا وثيقا ، ويراعى فى مواعيد الدراسة عدم تعارضها مع أوقات الصلاة .

٣ ــ يدرس الطلاب المناهج الانجليزية كاملة ، مضافا إليها دراسة الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخا وحضارة وأخلاقا وسلوكا ، ودراسة اللغة العربية وآدابها دراسة تمكن الطلاب من إتقانها فهما ونطقا وكتابة .

٤ ــ إعطاء عناية خاصة للقرآن الكريم والسنة النبوية وتقديم جوائز لم يثبت تقدما فى حفظ الكتاب والإلمام بالسنة .

٥ ــ إعداد مساكن خاصة بالطلاب ، ومعلوم أن هذا الاقتراح لو أخذ فى تطبيقه فسيكون هناك مدارس خاصة بالبنات على نفس المستوى ونتيجة هذا الاقتراح حينما يطبق أن المتخرج من هذه المدارس سيكون من الممكن بالنسبة له الالتحاق بأى جامعة فى أى بلد إسلامى أو عربى بدون إحساس بوجود أى فرق بينه وبين الطلاب الآخرين لأن ما درسه من العلوم الإسلامية والعربية سيهيىء له ذلك على أحسن وجه ، فإذا التحق بجامعة فى بلد أوربى لا يخشى عليه من الاندفاع وراء الدعوات البراقة لأنه قد تلقى من الدراسات الإسلامية والعربية ما زوده بزاد كاف للصمود فى وجه الإغراءات السلوكية والفكرية التى تعج بها الحياة فى تلك البلاد .

وقد قدم نص المشروع كاملا إلى مجلس أعضاء المركز الإسلامى بلندن منذ أكثر من اثنى عشر عاما ، ولكنه لازال ينتظر من يوفقه الله فيضعه موضع التنفيذ ، ومن الممكن الحصول على نسخ منه لمن يريد وياحبذا لو تبنت الجامعة الإسلامية تحقيقه ، فسيكون ذلك بلا شك حسنة تضاف إلى حسناتها المتعددة .

وإنى على يقين أن هذا المشروع لو رأى النور بصورة شاملة فلن يكون هناك خطرا على ناشئة الإسلام فى تلك البلاد .

هذه هى المشكلات الرئيسية التى تواجه المسلم هناك وقد بقيت بعض المشكلات السهلة الحل مثل عقود الزواج حسب الشريعة الإسلامية ، وقد نظم ذلك منذ البداية وأصبح واحدا من المهام الرئيسية التى يباشرها المركز الإسلامى فى لندن والمراكز المماثلة فى المدن الأخرى وإيجاد مقابر خاصة بالمسلمين وإجراء مراسم الدفن والغسل حسب الشريعة الإسلامية .

مهمة المؤسسات الإسلامية :

أ ــ تهتم المؤسسات الإسلامية فى تلك البلاد بالدرجة الأولى بالحفاظ على أبناء المسلمين وحمايتهم من الذوبان فى المجتمع الأوربى ، وذلك عن طريق التعليم واللقاءات والندوات والاهتمام بالمناسبات الإسلامية والإعداد الخاص لها مثل شهر رمضان والاحتفال بالعيدين الفطر والأضحى والأيام الهامة فى تاريخ المسلمين ، والهدف من ذلك هو ربط الناشئة بتاريخهم ، ومن الوسائل التى تعكس هذا الاهتمام طبع مواقيت الصلاة على مدى العام وإعداد إمساكية شهر رمضان ، وإعداد تقاويم إسلامية يبين فيها التاريخ الهجرى مع التاريخ الأفرنجى .

ب ـ إعداد ونشر المطبوعات الإسلامية التى يحتاج إليها المسلمون والراغبون فى التعرف على الإسلام من غير المسلمين ، وقد كنا منذ حوالى خمسة عشر عاما نعانى نقصا كبيرا فى تقديم مطبوعات إسلامية باللغة الإنجليزية تمثله الصورة التالية : كنا نملك فى مكتبة المركز عددا محدودا من ترجمة معانى القرآن الكريم يطالع فيها من يتردد على المكتبة ، فإذا جاء راغب فى الازدياد من المعرفة بالإسلام لم نجد ما نقدمه له إلا الكتب العربية وهو لا يعرف العربية ، وحدث ذات يوم أن كنت فى أحد الشوارع التى تقام فيها الأسواق أيام السبت من كل أسبوع ، فوجدت قسيسا يدعو الناس إليه ويوزع عليهم نسخا من الإنجيل مطبوعة طبعا أنيقا باللغة الإنجليزية ، وأغرانى المنظر أنا وصاحبى فتقدمنا منه ، فدفع بنسخة إلى كل منا ، ولما تفرس وجوهنا أدرك أننا لسنا من أهل البلاد فسألنا عن لغتنا الأصيلة وما كاد يعرف أنها العربية حتى مد يده إلى أحد الرفوف فاستخرج نسختين من الإنجيل باللغة العربية ، ونسختين من اسطوانات عليها تراتيل باللغة العربية أيضا وأخذنى العجب من استعداد هؤلاء الناس ونشاطهم ، وأخذت أقارن فى نفسى بين اهتمام هؤلاء بالترويج لباطلهم ، وبين تهاوننا فى إيضاح الحق الذى بين أيدينا ، وعدم قيامنا بما يجب علينا نحو الدعوة إلى عقيدتنا أو اتخاذ الاستعداد الضرورى لتقديم بيان لمن يسأل أو يريد أن يعرف .

والدليل على هذا الفرق تلك الصورة التى عرضتها من الواقع الذى لمسته ، وفيها تقدم الكنيسة نسخ الإنجيل إلى من تلقاه عرضا باللغة العربية فى قلب لندن ، ويعجز المركز الإسلامى هناك أن يقدم ترجمة لمعانى القرآن الكريم لمن يريدها . وكلما زار المركز أحد الفضلاء من المسلمين قصصت عليه هذه القصة ، ولكن الله تداركنا برحمته ، فلم نلبث إلا قليلا حتى أخذت تتوارد على المركز مئات النسخ من ترجمة معانى القرآن الكريم ، وكان السيد حسن الشربتلى صاحب النصيب الأوفر فى ذلك العمل جزاه الله خيرا ، وقد غادرت المركز منذ قرابة أربع سنوات ، وبه آلاف النسخ والحمد لله غير ما كنا نبعث به لكل طالب فردا أو مؤسسة أو هيئة ، ويندر أن تجد مدرسة أو جامعة أو مركزا من مراكز الثقافة أو سجنا إلا وتجد فى مكتبة كل منها عددا من نسخ ترجمة معانى القرآن الكريم والكتب الاسلامية الأخرى .

وأصبح من الممكن لأى راغب فى التعرف على الإسلام أن يجد من المطبوعات الإسلامية باللغة الإنجليزية ما يقدم له صورة وافية عن مبادىء الإسلام وعقائده وعباداته .

جـ ـ استقبال وفود الطلاب أو المؤسسات الراغبة فى التعرف على الإسلام من شباب المعاهد والجامعات وأعضاء الهيئات والجمعيات ويقدم لهم برنامج يبدأ بعرض فيلم عن الإسلام يتناول موقفا تاريخيا أو صورة حضارية أويقدم عرضا لبعض العبادات فى الإسلام كالحج مثلا ، ثم يعقب ذلك حديث عن الإسلام ، تدور بعده مناقشة حول النقاط التى يرغب الحاضرون فى مزيد من الاستيضاح عنها سواء حول ما شاهدوه أو سمعوه أو كان من القضايا التى يريدون أن يعرفوا موقف الإسلام منها وبخاصة ما يتعلق بالزواج أو الطلاق أو حقوق المرأة فى الإسلام أو نظرة الإسلام إلى أهل الديانات الأخرى وكيفية تعامله معهم .

وقد تبين من واقع التجربة أن عرض فيلم لبعض المشاهد الإسلامية يعتبر وسيلة ناجحة فى جذب انتباه أبناء تلك البلاد . وقد لوحظ أن كثيرين ممن يحضرون فى هذه الوفود يبعثون بعد عودتهم مباشرة فى طلب مطبوعات إسلامية يستعينون بها فى إعداد بحوث عن الإسلام فى معاهدهم ، وبخاصة هؤلاء الذين ينتسبون إلى المدارس العليا التى تسمى High Schooles .

د ـ وأحيانا توجه هذه المؤسسات الدعوة إلى أحد العلماء المسلمين للتحدث إلى طلابهم عن الإسلام بالصورة التى قدمنا تفصيلا لها ، وقد يستبد العجب بالكثير منا حينما يعلم أن الكنائس أيضا كثيرا ما توجه الدعوات إلى المتخصصين للحديث عن الإسلام فى صالات اجتماعاتها إلى جمهور المترددين على الكنيسة ، لأنهم يرون فى ذلك وسيلة إلى جذب أكبر عدد ممكن للتردد على الكنيسة .

هـ ـ استقبال الراغبين فى التعرف إلى الإسلام واعتناقه ، وتنظيم لقاءات متعددة بهم يتم خلالها عرض شامل لمبادىء الإسلام ، ثم يزودن بعدد من الكتب الإسلامية لدراستها ، ومناقشتهم فى محتوياتها فى اللقاءات التالية ، وعادة ما ينتهى كل ذلك بدخول هؤلاء فى الإسلام وحصولهم على وثيقة من المركز بدخولهم فى الإسلام .

وقد لوحظ أن أعداد هؤلاء الراغبين فى اعتناق الإسلام فى تزايد مستمر فى السنوات الأخيرة ، وأن أغلبهم من الشباب من الجنسين ، ويتضح من المناقشات التى تدور مع هؤلاء ضعف ارتباطهم بالدين المسيحى وعدم اقتناعهم بما تسير عليه الكنيسة من طقوس لا تمس القلوب . وإنما تهتم بالشكليات فقط ، ولقد حاولت الكنيسة إغراءهم بالتردد عليها حتى إنها لجأت إلى بعض الأساليب التى تنفر منها الأديان ، وسهلت التقاء الفتى بالفتاة ، ولا عليها بعد ذلك أن تكون الكنيسة موئلا للعشاق والمراهقين .

والحقيقة أن انصراف الشباب عن الكنيسة قد دفع الكثيرين من علماء اللاهوت إلى البحث عن الأسباب الحقيقية التى أدت إلى موقف الشباب ، واضطروا إلى إعادة النظر فى المسيحية ككل ، ومن الغريب أنهم وصلوا بعض ما قرره الإسلام منذ البداية بالنسبة للعقيدة المسيحية من أنها غير مقنعة حتى انتهوا إلى اعلان أن فكرة ألوهية المسيح فكرة خرافية ، ودعوا إلى تطوير العقيدة المسيحية لتتمشى مع الواقع وتقبلها العقول ، وقد وصلوا إلى هذه النتيجة من خلال بحوث عكفوا عليها وسجلوها ونشروها فى كتاب طبع عام ١٩٧٦م بعنوان The Myth of God In Carnate وترجمته خرافة الإله المتجسد ، ولاشك أن مثل هذه الاتجاهات والبحوث تعكس الأزمة التى تمرّ بها الكنيسة ، وهذا يتطلب منا أن نتقدم بذكاء لنقدم البديل الذى يقنع العقل ، ويملأ القلب ، ويلبى هواتف الروح ، ويقدم المنهج العملى الذى يحقق التوازن النفسى بالمواءمة بين حاجات الجسد ، ورغائب الروح عملا بقول الله تعالى : ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾ وقول النبى ﷺ : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ، حينئذ تجد الحياة طريقها السوىّ ، وتخلو من المادية القاسية الجافة التى تميت نوازع الخير فى الإنسان ، وتفيض منابع الحب فيه وتقضى على الرهبنة السلبية التى تعتبر هروباً من الحياة لا يتفق مع المقصود من حكمة خلقها . ﴿ **هو الذى أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** ﴾ .

والحق الذى لا مرية فيه أن الطريق مهيأ أمام الإسلام ، ولكن العقبة الحقيقية تكمن فى المسلمين أنفسهم ، ويوم أن يغيروا من أوضاعهم سيتغير كل شىء ، كما يقول الحق سبحانه : ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ .

و ـ وتقوم المؤسسات الإسلامية فى انجلترا بدور اجتماعى فعال ، نابع من منطق الأخوة الإسلامية ، فهناك العديد من الأسر المسلمة التى تتلقى معونات مادية تساعدها على التغلب على مشاق الحياة ، وتحفظ لها ماء وجهها ، وهناك كذلك الكثير من الطلاب الذين انقطعت بهم السبل يجدون من المؤسسات الإسلامية وبخاصة من المركز الإسلامى عونا صادقا يتحمل عنهم نفقات دراساتهم عند الأزمات التى يمرون بها ، وتستغل حصيلة الزكاة فى القيام بهذه الالتزامات إلى جانب ما يقدمه القادرون من أهل الخير واليسار للإنفاق منه فى هذه الحالات .

نظرة إلى المستقبل : تقوم حركة نشيطة الآن فى أنحاء انجلترا تهدف إلى بناء مساجد ومراكز إسلامية ، وهى حركة يسودها فى الغالب الإخلاص ، ولكنها ينقصها التخطيط

وحسن القيادة ، وقد يترتب على انعدام التخطيط وحسن القيادة أن تضيع أموال المسلمين وتنفق فى غير الهدف الذى جمعت من أجله ، إذ كثيرا ما أدى التنافس الشخصى أو التعصب لبلد أو إقليم أو جماعة إلى تعطيل أعمال هامة كان من الممكن أن يستفيد منها المجموع ، ولم يخل الجو الإسلامى هناك من انتهازيين يريدون ركوب موجة التدين ، والتظاهر بالغيرة الإسلامية لتحقيق نفع مادى لأنفسهم ، ولهذا تجد أعدادا ضخمة من الرسائل والطلبات تقدم إلى الحكومات والمؤسسات الإسلامية فى العالم العربى تطلب مساعدات مادية لإقامة بعض المشروعات الإسلامية ، وقد تكون الحقائق الواقعة لهذه المشروعات أقل بمراحل مما هو مسطر فى الكتابات أو تكون مجرد فكرة فقط يبغى صاحبها من ورائها أن يجد وسيلة للسفر والوجاهة عند بعض المسئولين ، وضمانا لأن توجه المساعدات التوجيه الصحيح أضع الاقتراحات التالية :

أ ــ أن تنشأ لجنة تسمى لجنة المساجد والمؤسسات الإسلامية يمثل فيها أعضاء من سفارات الدول التى تقدم المساعدات المالية للأغراض الإسلامية وعضو من المركز الإسلامى بلندن ويحال إلى هذه اللجنة كل الطلبات التى تأتى من الجمعيات لطلب المساعدة لتدرسها وترى مدى جديتها وأهميتها ، وتحول فى الوقت نفسه الدول والمؤسسات المبالغ التى ترصدها للعمل الإسلامى فى ذلك البلد مثلا إلى نفس اللجنة ، وتعطى صلاحيات توزيع ما تراه مناسبا على أصحاب هذه الطلبات حسبما يبدو من الدراسة التى تجريها حول المشروع ومدى أهميته للمسلمين والاطمئنان إلى استقامة القائمين عليه وجديتهم . وأعتقد أننا نستطيع بهذه الطريقة أن نؤدى خدمة جليلة للمسلمين فى تلك البلاد ونوجه أموال المسلمين إلى الوجهة النافعة .

ب ــ أن تعد لجنة أخرى من المهتمين بأمر التعليم والثقافة الإسلامية ، وتضع خطة منظمة لإقامة مدارس إسلامية على غرار الاقتراح السابق تعد له ميزانية خاصة ، وتتولى اختيار الأساتذة الصالحين للتدريس بهذه المدارس ، وهذا اللون من المدارس موجود فى بلادنا للجاليات غير الإسلامية التى تعيش فى العالم الإسلامى فلماذا لا نقيم لأبناء المسلمين مدارس مماثلة .

وعن هذا الطريق نكون قد خطونا الخطوة الأولى فى تأمين مستقبل الأجيال القادمة وتزويدهم بثقافة إسلامية كافية إلى جانب ما يتلقونه من معارف العصر وعلومه ، والواقع أن هذا هو العمل الباقى الذى أخبر عنه النبى ﷺ حين قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » .

جـ ـ إقامة دار نشر متخصصة تقوم بطبع الكتب الإسلامية وإصدار صحف ومجلات إسلامية للكبار والصغار على السواء من رجال ونساء ، وتتعقب ما ينشر عن الإسلام والعالم الإسلامى فتقر الصحيح وترد على غير الصحيح .

د ـ إقامة مصرف إسلامى وشركات بناء إسلامية يقوم المصرف بالأعمال التجارية والاستثمارية حسب شريعة الإسلام ، ويحمى التجار المسلمين من المضاربات غير المأمونة ، ومن التعامل بالربا مع البنوك الأجنبية .

وقد دفعنى إلى تقديم هذا الاقتراح حوار دار بينى وبين أحد التجار المسلمين فى لندن ، قال لى فيه : إنه يكون أحيانا أمام بعض الصفقات التجارية ، ويحتاج إلى التقدم لشرائها ، ولكنه ليس فى يده مال سائل فى ذلك الوقت ، فهل يلجأ إلى البنك يقترض منه بالفائدة ليتم صفقته ؟

فقلت له : إن الفائدة ربا ، والربا حرام .

فعلق قائلا : وماذا نصنع ، وسيؤول الأمر أن نترك المجال للتجار غير المسلمين ، إذا أخذنا بما تشير به .

فقلت له : إن ذلك لا يبرر أن يتعامل بالفائدة .

فتساءل : وما الحل إذن ؟

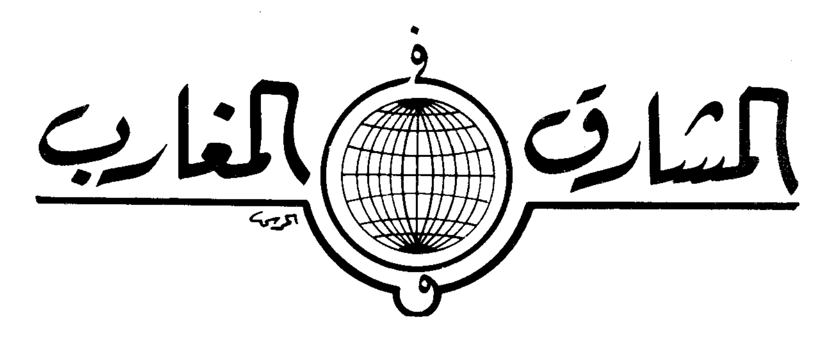
فأجبت : إن علينا أن ننشىء شركات استثمار وبنوك إسلامية تقدم العون للتجار المسلمين فى هذه الحالات ، وتدخل شريكا معهم حسب ما هو معروف فى المضاربة فى الفقه الإسلامى ، وأعتقد أن الأوان قد آن لتحقيق ذلك ، فإن المال بيد المسلمين كثير ، وسبل الكسب الحلال ميسر للجميع .

أما شركة البناء الإسلامية فاقتراحها نابع من الظروف التى يعيش فى ظلالها المسلمون فى انجلترا ، فقد يرغب أحدهم فى شراء مسكن له ولأولاده ، ولكنه ليس لديه من الثمن إلا بعضه ، فيتقدم إلى شركة البناء التى تدرس الموضوع من جانبها ، وتعرف مستوى دخل الشخص وقيمة البيت ، فإن اقتنعت قبلت أن تدفع باقى الثمن ، وتمكن الشخص من استغلاله نظير مبلغ يدفع شهريا لمدى عشرين عاما مثلا يؤول المسكن بعده إلى المشترى ، فإذا ذهبت تحسب المبلغ الذى استردته الشركة وجدته قد زاد أضعافا مضاعفة على المبلغ الذى دفعته ، وقد نصحنا المسلمين أن لا يتعاملوا بهذه الطريقة ، ونرى أن البديل لذلك أن

تنشأ شركات مبانى إسلامية يتوفر لديها رأس المال ، وتكون على استعداد لأن تحل محل شركات البناء الأجنبية ، ولكن من منطلق إسلامى ، يهيىء لها ربحا حلالا ، ويريح المسلم من التعامل بالربا ، وكيفية ذلك أن يتقدم الراغب فى الشراء إلى الشركة فتجرى الدراسات اللازمة للاطمئنان إلى سلامة الإجراءات . فإذا اقتنعت قبلت أن تدخل مع المشترى بصفة شريك حسب المبلغ الذى تقدمه ، ويتم البيع على هذه الصفة ، ثم تمكن الشركة المشترى من استغلال المسكن نظير مبلغ يدفع شهريا ، تحتسب نسبة منه إيجار نصيب الشركة ، ويعتبر القدر الباقى سدادا من ثمن نصيب الشركة ، فإذا استوفى الأجل الذى اتفق عليه آل المنزل كله إلى ملك المشترى ، وبذلك تربح الشركة ربحا حلالا ، وينجو المسلم من استغلال الشركات الأجنبية له استغلالا ربويا ، ويتحقق بذلك التعاون بين أفراد المجتمع المسلم وهيآته ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه .

والذى لا ريب فيه أننا لو أخذنا فى الاعتبار هذه الخطوات جميعها لأمنّا مستقبلا زاهرا للإسلام والمسلمين فى الغرب ، وصدق الله العظيم : ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد .





الدكتور عبدالله بن أحمد قادري
رئيس شعبة الفقه بالدراسات العليا

التبشير بالانجيل وسنة المعوقين :

فى هذا اليوم نشرت جريدة «كومباس» الصادرة فى جاكرتا عدد «٣٦» فى ٢ أغسطس «السنة ١٦» نشرة مقتضبة عن نتائج المؤتمر الدولى لمجلس الكنائس البروتستانتية تتضمن أربع مسائل :

الأولى : التضامن مع الشعب الأندونيسى : (أغلبية الشعب مسلمة) والمؤتمر مسيحى دولى ، وحقد المسيحيين وسعيهم الحثيث فى القضاء على الإسلام والمسلمين معروفان . فما معنى التضامن مع الشعب الأندونيسى وهل المقصود ـ هنا ـ الشعب الذى يخططون له ليكون فى المستقبل مسيحيا أو أغلبية مسيحية؟ . هذا ما يبدو .

الثانية : التبشير بالانجيل : (والتبشير حاصل ولكن الظاهر ان المقصود مضاعفة الجهد فى ذلك حسب الخطط المرسومة) .

الثالثة : تجديد الكنائس وتعميرها وتوحيدها .

الرابعة : مسائل عامة : ومنه اقرار البانتشاسيلا (الشعار الذى تضمن المبادىء الخمسة) وسيأتى قريبا إن شاء الله شرح هذا الشعار من منشورات الحكومة الأندونيسية التى توزع فى طائرتها وما تيسر من التعليق عليه لبيان هدفه وموقف العلماء هناك منه وفهمهم له .

ومن الأمور التى أقرها المؤتمرون ان السنة المقبلة ١٩٨١ هى سنة المعوقين .

ويرى القارىء من هذه الأمور المقتضبة جدا أن التبشير بالانجيل مقترن بمغريات من المادة : تعمير الكنائس وتجديدها وسنة المعوقين والمعوقون كثيرون فى كل شعب من شعوب العالم ، والمعوق يضيق من بقائه فى الأرض عندما يكون فقيرا وأسرته فقيرة ويضيق

منه أسرته ومجتمعه ويتمنى لو نزل به الموت وتتمنى أسرته ذلك .

والصابرون على البلاء هم المؤمنون حقا وأين هم هؤلاء المؤمنون حقا؟ . لذلك يشعر المعوق : الأعمى المشلول ، المقعد . . . بأن الذى يهتم به وينفق عليه ويكسوه ويعلمه ويؤنسه يشعر بأن له عليه فضلا كبيرا وأنه يجب أن يكافئه ، والنصرانى يبنى الملاجىء لهؤلاء المعوقين والمستشفيات والمدارس وما الذى يمكن أن يقدمه هذا المعوق من مكافأة لهذا المتفضل عليه المحسن الكريم ، وما الذى يريد المحسن من هذا المعوق من مكافأة؟! .

ان المكافأة التى يريدها هذا النصرانى هى ان يتنازل هذا المعوق (المسلم) عن إسلامه أولا ، وأن يكون بعد ذلك نصرانيا . وهذا المعوق الذى كشرت الدنيا فى وجهه ونال هذه العناية من هذا النصرانى جاهل بدينه لا يعرف قيمة عقيدته ويسهل عليه أن يلبى رغبة من أحسن إليه فيتنازل عن عقيدته فى سبيل أنه ينال عاطفة كانت مفقودة .

ثم سيرى أن الشهوات فى الدين الجديد مباحة له ، لاقيد ولا عيب .

نعم : الانجيل وسنة المعوقين ، وهذا يعنى أن الدعوة إلى النصرانية يرافقها خدمات اجتماعية مغرية فأين هذا الذى يصدر من أعداء الدين مما يقدمه دعاة الإسلام والمؤسسات الإسلامية : أين مدارسهم؟ . أين مستشفياتهم؟ . أين ملاجئهم؟ . أين مساجدهم؟ . أين مؤسساتهم الثقافية؟ . أين . أين . أين؟؟؟ . قد يجب مجيب ذاكرا بعض المراكز الإسلامية الذليلة أو بعض المساجد أو بعض المساعدات الخفيفة .

ولكن الذى يجب أن يعلم أن ذلك شىء لا يذكر بجانب ما يبذله أعداء الحق وانصار الباطل . فليتق الله المسلم الذى عنده ما يقدر على الاسهام به فى أبواب الخير التى تحصن المسلمين من دعوات أعداء الله الهدامة وليقدم فى سبيل الله ما استطاع بما منحه الله ليبتليه فيه ويجازيه عليه .

لعل جنّيا أدخل السحور : «٢٢/ ٩/ ١٤٠٠هـ» :

نام عبيد الله الأربعة كلهم ، ولعلى كنت آخرهم نوما فى هذه الليلة وكان من عادة الأخ عبد الله باهرمز أن يطلب من مديرى الفندق أن يبعثوا لنا بطعام السحور فى الساعة الثالثة صباحا وما فاتنا السحور طيلة أيام رمضان إلا هذه الليلة . قام الشيخ عبد القوى قبل أذان الفجر بثلاث دقائق تقريبا فأيقظنى قائلا : ذهب الوقت . فقمت مسرعا إلى الماء

فشربت . وشرب هو. وقلت له : اتصل بصاحبنا فاتصل هاتفيا ونادى المؤذن بالصلاة . فقال عبد الله : السحور موجود عندنا هنا فى الحجرة لا أدرى من أدخله ومن فتح الباب ! ! ثم أخذ عبد الله وعبد البر كل منهما ينسب إلى الآخر فتح الباب للفرّاش الذى أدخل السحور. فقال عبد الله : أنت فتحت الباب له ثم نمت ولم توقظنا . فقال عبد البر : بل أنت أنا ماقمت من نومى - وكان الباب مقفلا - فقلت : لعل جنيا غير مسلم أدخل السحور وأراد الاضرار بنا فلم يوقظنا من النوم . وقد فات السحور فلا داعى للنزاع . ثم قلت للأخ عبد الله : الاحتمال القوى أنك أنت كنت مستغرقا فى النوم وفتحت الباب ورجعت لتنام (شوية) حسب اصطلاح الشيخ عبد القوى فلم تفق إلا بايقاظنا أما عبد البر فإن نومه ثقيل يستبعد قيامه قبلك والله أعلم بالصواب . قال عبد الله : كأن الله أراد لكم أن يكون آخر ما تذوقون فى أندونيسيا الشاهى السعودى والقهوة السعودية . قلت والماء الأندونيسى .

إلى هونغ كونغ :

وفى الساعة السابعة إلا ربعا ذهبنا إلى مطار جاكرتا ، وبعد الفراغ من الجمرك والجوازات ودعنا الأخ عبد الله فدخلنا إلى قاعة الانتظار ثم صعدنا إلى الطائرة التى أقلعت فى الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين ، وجالت بنا فوق جاكرتا . ذات المنازل القصيرة المسنمة ، وترى العمارات الكبيرة متناثرة هنا وهناك .

ملحوظــــــات

وحيث أن هذه النظرة من نافذة الطائرة إلى مدينة جاكرتا عاصمة الشعب الأندونيسى هى النظرة الأخيرة فى هذه الرحلة فانه لابد من ابداء بعض الملحوظات لهذا الشعب المسلم .

الملحوظة الأولى : البانتشاسيلا :

١ - ان هذا الشعب هو أكثر الشعوب الإسلامية عددا ، ومنظمات هذا الشعب الإسلامية - على قلة امكاناتها - تكافح وتناضل من أجل نشر مبادىء الإسلام وتثبيت قواعده لالتفاف هذا الشعب حوله والولاء لله ورسوله وللمؤمنين ، الولاء الذى يجب أن يتميز به المسلم عن غيره وإلا لما كان هنالك فرق بينه وبين غيره ممن تعدد ولاءاتهم قال تعالى : ﴿**انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون**﴾ . وقال : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان**

الله **لا يهدى القوم الظالمين﴾**. وهذا الولاء يجمع المسلمين فى كل أقطار الأرض فالمؤمن فى الفلبين ولى المؤمن فى أمريكا و المؤمن فى مكة ولى المؤمن فى باريس ولندن والشعوب الإسلامية بعضها ولى بعض لا فرق بين شرقى وغربى ولا بين عربى وعجمى . وعندما كان هذا الولاء محققا فى الإسلام كانوا كلهم أعداء لأعداء الله يدعونهم إلى الله ويجاهدون من كفر بالله حتى كان الابن يقتتل هووأبوه فى معركة واحدة وكذلك الأخ وأخوه والقريب مع قريبه مهما كانت القرابة حتى جعل الله كل علاقات الإنسان من مال وقرابة وغيرهما فى كفة، وجعل تعالى طاعته والجهاد فى سبيله ومحبته فى كفة من رجح الكفة الأولى على الثانية كان فاسقا بعيدا عن هدى الله مستحقا لوعيده فى الدنيا والآخرة، ومن رجحت كفة الله على علائقه كلها كان وليا لله مهتديا مستحقا نصره ورضوانه، كما قال تعالى : **﴿قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾** .

وعندما كان الولاء محققا فى المجتمع الإسلامى حقق الله لهم العزة والنصر والغلبة على أعدائهم على الرغم من كثرتهم وكثرة عددهم وعندما ضاع هذا الولاء وحلت محله ولاءات أخرى لشعارات جاهلية باسم الأرض، أوباسم الجنس أوباسم أى مبدأ آخر تفرقت كلمة المسلمين فصارت كل طائفة توالى هذه الأرض أو هذا الجنس أو هذا المبدأ أذلهم الله وأذهب شوكتهم وأنزل الرعب فى قلوبهم بدلا من أنزاله فى قلوب أعدائهم .

وقد أدرك أعداء الله الكافرون أن ولاء المسلمين بعضهم لبعض إذا تحقق أخضع الله به لهم راية الكفر ورفع لهم راية الإسلام، وإذا تشتت هذا الولاء دب فيهم الضعف والوهن وكانوا أذنابا لغيرهم من أمم الكفر فوضعوا خطتهم لايجاد شعارات كثيرة تتعدد لها ولاءات الشعوب كما وضعوا شعارات كثيرة فى داخل الشعوب تتعدد لها ولاءات الأحزاب وقد نجحوا فى ذلك ايما نجاح عندما جعلوا العرب وهم حملة رسالة وأهل الولاء الأصيل لله ولكتابه ولرسوله وللمؤمنين يتركون الدعوة إلى الولاء لكلمة التوحيد وينادون بالولاء للجنس أو القوم ورفعت راية القومية العربية بدلا من الجامعة الإسلامية وهكذا أصبح لكل شعب من شعوب المسلمين راية قومية يدعون لها ويلتفون فى الظاهر حولها هذا تركى وهذا هندى، وهذا افريقى وهذا أندونيسى حتى أصبح بعض المنتسبين للإسلام لو رأى كتاب الله يداس بالاقدام أو كلمة لا إله إلا الله يستهان بها لم يتحرك قلبه ولم يتغير وجهه غضبا لذلك ولكنه لو رأى علم بلاده وقد رسم فيه حيوان أو غيره ينزل من مكانه ضاق بذلك ذرعا وغضب وعمل

كل ما يقدر عليه للانتقام من فاعل ذلك بعلم بلاده .

والحكام الذين لا يريدون الإسلام أو يخافون من انتشاره وسيطرة أحكامه على نفوس شعوبهم يحاولون ايجاد كل الوسائل لايجاد شعارات ومبادىء وطقوس يحلونها محل لا إله إلا الله محمد رسول الله ويدعون طوائف شعوبهم على اختلاف أديانهم لموالاة بعضهم بعضا على أساس تلك الشعارات أو المبادىء ويوهمونهم أن فى ذاك عزتهم وقوتهم وأن ولاءات الدين تغرق الشعوب وتضعفها . وهذا المعنى هو الذى يظهر المراد بأول مبدأ من المبادىء الخمسة التى تضمنها شعار: «البانتشاسيلا» على الرغم من التحفظ الذى يبدو فى أسلوب الشارح باللغة العربية .

المبدأ الأول : الربانية المتفردة، قال المعلق : «ولقد وضع الشعب ـ مبدأ الإيمان بالربانية المتفردة ـ فى المقام الأول من فلسفة حياته ويعتنق الشعب طائفة من الأديان، فهناك من يدينون بالإسلام، وهناك من يدينون بالنصرانية، ومن يدينون بالهندوكية، أو البوذية أو غير ذلك من المعتقدات .

المبدأ الثانى : الإنسانية العادية المهذبة، والمقصود بها ولاء الإنسان لأخيه الإنسان بصرف النظر عن الدين والعقيدة والخلق ـ وهى دعوى نظرية يصعب تطبيقها على الرغم من اصطدامها بأصل من أصول الإسلام وهو موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه ـ وأول ما تصطدم به هو :

المبدأ الثالث : الذى هو الوحدة القومية الأندونيسية، فالوحدة ليست إنسانية وإنما هى أندونيسية وكل قوم يدعون وحدة منسوبة إلى أرضهم أو جنسهم كالوحدة القومية العربية، ثم الوحدة المدعاة بين شعبين، ثم الوحدة المدعاة لشعب بعينه .

المبدأ الرابع : سلطة الشعب الموجهة بالحكمة والحصافة فى الشورى النيابية، وهذا المبدأ يصطدم اصطداما مباشراً مع مبدأ الطاعة المطلقة لله وحده ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، فالسلطة فى الدين الإسلامى لله وحده وان كان أولوا الأمر يجتهدون فى تطبيق النصوص الإسلامية إذا لم يرد بصفة معينة، كما أنهم يجتهدون فى قياس ما لم يرد فيه نص على ما ورد فيه نص، كما قال تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾** .

المبدأ الخامس : العدالة الاجتماعية لكافة الشعب الأندونيسى ، وهذا المبدأ مبنى على المبادىء الأولى التى منها المبدأ الرابع الذى يجعل السلطة للشعب ـ والمقصود أفراد من الشعب يغلبهم الهوى والجهل فيظلمون الشعب ويسمون ظلمهم عدالة .

وبعد أن أشار إلى هذه المبادىء صرح بأنها هى الأساس والمنطلق فى السياسة والاقتصاد والثقافة والتربية والتعليم ومختلف النشاطات الاجتماعية الأخرى. فالشعار بهذا المفهوم هو مصدر النشاط الأندونيسى ، وكأنه يقول إذا كان المسلم مأمورا أن يقول : ﴿**قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**﴾ . فان الأندونيسى مسلما وغير مسلم يجب أن يقول ان نشاطى كله (للبنتشاسيلا) .

وقد رحب بهذا الشعار غير المسلمين ، كما نص أن المؤتمرين النصارى أيدوا البنتشاسيلا فى مؤتمرهم .

أما المسلمون فمنهم الجاهل الذى لا يفرق بين الجمرة والتمرة إلا بعد الندم ولات ساعة مندم . . . ومنهم الذى ضعف إيمانه فيحاول التوفيق بين هذه المبادىء وبين الإسلام بطرق معوجة وتحريف الكلم عن مواضعه ، ومنهم من ينكر ويبصر ولو أحاطت به الاخطار ويقول : ﴿**حسبنا الله ونعم الوكيل**﴾ . كما قال إبراهيم ومحمد ﷺ .

ومن الأدلة الواضحة ان هذا الشعار قصد به صرف المسلمين عن ولاء الله ورسوله والمؤمنين. أن رئيس الجمهورية (سوهارتو) يصرح فى كل مناسبة أن أندونيسيا لا دينية ومن ذلك تصريحه فى مؤتمر الإعلام الإسلامى الذى نظمته رابطة العالم الإسلامى فى جاكرتا .
فقد قال : أننا نرحب بكم فى أندونيسيا وان كانت دولتنا لا دينية والشعار يمثل ذلك ويدل عليه .

وهذا يوجب على علماء الإسلام ان تكون تربيتهم لأبناء المسلمين مبنية على أصل العبودية المطلقة لله تعالى الذى له وحدة الألوهية المطلقة وأن يؤصلوا فى نفوسهم معنى الموالاة والمعاداة فى الله التى أهتم بها علماء السلف وألفوا فيها المؤلفات لعلمهم بما يترتب على ذلك من ترابط المسلمين وقوتهم .

الملحوظة الثانية :

ان الجمعيات والمنظمات الإسلامية تبذل جهودا قوية لتحصين أبناء المسلمين من

الكفر بأنواعه : النصراني والشيوعي والخرافي على الرغم من قلة الامكانات المادية ، والذي يؤخذ على كثير من علماء هذه الجمعيات السكوت عن كثير من المنكرات التي حرمها الإسلام ، إذ يكتفي الكثير منهم بالمواعظ العامة ولا يمسون الجوانب السلوكية كالسفور بالنسبة للمرأة ، والاختلاط ـ اختلاط الرجال والنساء ـ في المدارس والجامعات والمجامع العامة مع وجود الاغراء ووسائل الفتنة وغير ذلك فيما لا يجوز السكوت عليه ، كما أن بعض المؤسسات على الرغم من قيامها على أساس الإسلام ـ يوجد هذا الاختلاط فيها وكذلك اللباس غير ساتر . وهذا ما رأيته في كثير من المقاطعات التي زرتها ووجدنا بعض الشباب المتحمس يشكو من سكوت كبار علمائهم عن هذه الأمور وينتقدونهم .

الملحوظة الثالثة :

ان وجود ثقة المسلمين في أندونيسيا ـ وربما في غيرها من الشعوب الإسلامية ـ في البلدان العربية جعلهم ينظرون إلى العرب الذين يزورونهم نظر احترام ومحبة ، وقد يدعوهم ذلك إلى الاقتداء بهم وكثير من العرب الذين يزورون تلك البلدان لا يلتزمون بأوامر الإسلام ولا يجتنبون نواهيه وقد يظن الجهال في الشعوب الإسلامية ان تصرفات هؤلاء العصاة من الإسلام .

ومما ذكره بعض الشباب منكرا له أن بعض كبار الموظفين من بعض البلدان العربية المهمة كان يصحب معه قرينته التي ماكان لباسها يختلف عن لباس المرأة النصرانية أوغير الملتزمة بالدين والخلق وكان هؤلاء الشباب مستائين جدا من هذا التصرف الذي كانوا يودون أن يحصل عكسه وهو الالتزام بالإسلام ، وآدابه ليكون ذلك حافزا للفتيات الأندونيسيات على الاقتداء به .

ومما يدل على ثقة المسلمين بالشعوب العربية ان الطلبة الذين يجيدون اللغة العربية يتجمعون أمام الجدران التي تعلق عليها الصحف العربية لقراءتها بشغف مع أن تلك الصحف يصدر أكثرها من دول عربية معادية للإسلام وصحفها تحمل أفكار زعمائها .

لهذا كله فانه ينبغي أن تهتم الدول التي تدين بالإسلام ببعث الكتب الإسلامية والجرائد والمجلات الإسلامية لتملأ الفراغ الذي جعل لصحف أعداء الإسلام رواجا هناك .

ويجب كذلك أن يتقي الله زوار تلك البلدان من الشعوب العربية ولاسيما الشعوب

التى ينظر إليها المسلمون فى العالم انها قدوة فيلتزموا بالإسلام ولا يكونوا دعاة شر وفساد بأعمالهم السيئة .

الملحوظة الرابعة :

ينبغى للجامعات الإسلامية والمؤسسات الإسلامية فى الشعوب العربية أن تقوى صلاتها بالجامعات والمؤسسات الإسلامية فى أندونيسيا بتبادل الزيارات والاكثار من المنح الدراسية الشاملة بمعنى أن يكون الطلاب من جميع مناطق الجزر الأندونيسية لا من منطقة دون أخرى، وان كان لا يمنع ذلك أن تكون الكثرة من بعض المناطق لاعتبارات راجحة .

وكذلك ينبغى أن تخصص اعانات مالية لمساعدة تلك الجامعات والمؤسسات وكتب علمية مفيدة وغير ذلك مما يرفع معنويات المسلمين هناك الذين يواجهون تيارات مدعومة من دول ومؤسسات ضد مبادىء الإسلام .

الملحوظة الخامسة :

ينبغى أن تختار كتب ورسائل إسلامية مفيدة وتترجم وتطبع فى داخل أندونيسيا لتوزع على الجمعيات والمؤسسات الإسلامية هناك بدون مقابل أو تباع فى الاسواق بأثمان مستطاعة .

وأقترح الكتب الآتية : ويمكن اقتراح غيرها :

(١) كتاب العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية .

(٢) السياسة الشرعية له .

(٣) الحسبة فى الإسلام له .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم له .

(٥) كتاب الصلاة لابن القيم .

(٦) مفتاح دار السعادة له .

(٧) زاد المعاد له .

(٨) تحفة الودود فى أحكام المولود له .

(٩) جامع العلوم والحكم لابن رجب .

(١٠) الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (وقد ترجم كتاب التوحيد الشيخ عارفين أحد علماء سورابايا ويمكن النظر فى هذه الترجمة فإذا كانت صحيحة طبعت وهو كتاب مطبوع أخذنا منه نسخة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) .

(١١) مبادىء الإسلام للأستاذ المودودى .
(١٢) تذكرة دعاة الإسلام له .
(١٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للأستاذ أبى الحسن الندوى .
(١٤) رسالة التعاليم للأستاذ البنـا .
(١٥) رسالة إلى أى شىء ندعو الناس له .
(١٦) خصائص التصور الإسلامى لسيد قطب .
(١٧) معالم فى الطريق له .
(١٨) منهاج التربية الإسلامية (بقسميه) لمحمد قطب .
(١٩) كتاب التوحيد بجزئيه له .
(٢٠) كتب توحيد الخالق باجزائه الستة للزندانى :

وبتوحيد الخالق سبحانه ـ استودعك الله ياأندونيسيا، راجيا أن تهيمن كلمة الله على كل جزء من أجـزائـك ويحملهـا كل قلب من قلوب أبنائك مجاهدا فى سبيلها مواليا من ولاها معاديا من عاداها : ﴿**هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾ .

عروس تهديها عرائس

وأخـذت الطـائـرة تنهب الجو نهبا، فوق المحيط الهادى، الذى كانت قوافل السحاب تتناثر بيننا وبينه، فظهر بها كبساط أزرق مائل إلى الخضرة، وشبه أبيض، وكنا نشاهد قوافل الأمـواج الهـائجـة صفـوفا يتبع بعضها بعضا، كما كانت السحب الخفيفة الحمل طائرة فوق الطـائـرة سائـرة إلى حيث أمـرهـا الله، وبـدا القمـر على يسـارنا على شكل نصف دائرة، والسحب العالية تحجبه عنا تارة وتكشـف نفسها عن وجهه تارة أخرى .

حقا لقد كانت مناظر عجيبة، ولقد شبهت طائرتنا، وهى تسير فى هذا الجو بالعروس التى تهديهـا عرائس، وهى جميلة، وكـل واحـدة منهن أجمـل وزاد جمالهـا على جمالهن بسبب وقوعها فى وسطهن مثل البدر الذى أحاطت به هالته .

وكنت لا أدرى إلى أين ألتفت لأتمتـع بتلك المنـاظـر التى قد لا تحصل لمسافر ـ هكذا مجتمعـة ـ شمس ساطعـة، وسحب جميلة متفـرقـة، على بحـر أمـواجه هائجة ترى من بعد

كصفوف المصلين ذوو اللباس الأبيض، وقمر يداعبه السحاب فيحجبه تارة ويكشف عنه أخرى، الله أكبر ما أعظم خالق هذا الكون الجميل المنسق الذى يتعاون تناسقه على جماله، ولو أن بنى البشر تعاونوا فيما بينهم على حياة سعيدة فى هذه الدنيا، فآثر بعضهم بعضا، وكف بعضهم ظلمه عن بعض وبذل كل واحد وسعه فى ايجاد الأمن والاستقرار واجتهد أولياء الله فى نشر دينه واعلاء كلمته فأمن الناس على دمائهم وأعراضهم وأموالهم لاكتمل الجمال جمال الحياة البشرية وجمال الكون العظيم: **﴿أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾** .

وبدأت تظهر بعض الجزر المستديرة التى تشبه قصعات الطعام الموضوعة على طاولة مكسوة بالجوخ الأخضر، وصغارها تبدو كعيون البقر، والمحيط الهادى يحتضنها من جميع جوانبها ولم يغمرها يالله ما الذي يمنعه عنها غير خالقها وخالقه .

وظهرت جزر مكسوة بالغابات : جبالها وسهولها، وهى تفاخر البحر المحيط بها بملابسها الموشاة بالزهور المختلفة، وكأنها تقول له: إذا كنت تجود للناس باسماكك ولآلئك بعد أن يقتحموا الصعاب ويتجشموا الأخطار ومنهم من لا ينجو من قسوتك وعنفوانك على الرغم من اتعاب أنفسهم فى اتخاذ وسائل الوصول إليك، فانى أمد يدى بالخير لكل الناس قويهم وضعيفهم بثمر النارجيل، والموز والبرتقال والباباى والتفاح والأناناس بدون مشقة ولا خطر. ثم جاء قوس قزح ليشارك بالوانه الجميلة فاضاف إلى الجمال . . . جمالا . . .

الحمـــــد لله :

وفى هذا الجو الممتع المريح الذى يربط المخلوق بالخالق ذكرنا المضيفون بقول رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» . فقد كنا فعلا - ولكن القليل منا - نتمتع بالفطرة ونشعر بالغبطة والسرور، ولكن المضيفين بدأوا يغلقون النوافذ من أجل عرض فيلم الرحلة (وأفلام الرحلات كلها ثقيلة علينا) الثقيل ولعل القارىء يدرك من عاطفتى مع الكون ورغبتى فى صحبته باستمرار ان غلق النافذة بالنسبة لى يعتبر سجنا .

وأخذت أقرأ بعض الجرائد السعودية التى حصلت عليها من مكتب الأخ الشيخ عبد العزيز العمار فى جاكرتا، وكان الفيلم قذرا فى ميزان ذوى العقول ولاسيما عند المسلم، ولذلك

قال الشيـخ عبـد القـوى : يعملون هذا وهم فى الجـو ما يخافـون من ربهم ، قلت : ان الله يمهلهم ولا يهملهم وهو من ورائهم محيط .

وبعد أن قرأت بعض أخبار الجرائد ومقالاتها أخذتنى غفوة سمعت على أثرها الشيخ عبـد القـوى وهو يقول : الحمد لله ، فنظرت إلى الفيلم فوجدت أنه انتهى . فقلت مثل هذا الشيخ : الحمد لله ، وفتحت النافذة ورجعت إلى كتاب الله المنظور .

وعلى الرغم من بعد المسافة بيننا وبين البحر فان أثر هياجه كان واضحا فى بياض الماء الذى كان كل صف منه يتبع الآخر على أثر ارتطام أمواجه بعضها ببعض .

﴿ويخلق مالا تعلمـــون﴾ :

رأيت باخرة كبيرة ، وهى تمخر عباب المحيط ، وقد امتد وراءها انخفاض واضح كأنه واد بين جبلين ـ وهو الأثر الذى حدث من شقها طريقها فى البحر ـ فأحسست بطارق ينبهنى إلى آيات الله القرآنية الواردة فى تسخير الله تعالى لهذا الإنسان السماء والبحر وغيرها ، كقوله تعـالى : **﴿الله الـذى خلق السمـوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمـر دائبـين وسخـر لكم الليـل والنهـار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصـوهـا ان الإنسان لظلوم كفار﴾** . وقوله تعالى : **﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيـه إلا بشق الأنفس أن ربكم لرءوف رحيم . والخيـل والبغـال والحمـير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون﴾** . إلى قوله تعالى : **﴿وسخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمـره ان فى ذلـك لآيـة لقـوم يذكـرون ، وهـو الـذى سخـر البحـر لتأكلوا منـه لحما طريـا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾** .

ان حكمـة الله فى هذا التسخـير لهذه النعم لهذا الإنسـان هى ان تعم رحمته خلقه وان يشكر هذا الإنسان الخالق المنعم : **﴿ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾** .

ولكن هذا الإنســان ـ إلا من شاء الله ـ كلما زاده الله من نعمـه زاد طغيـانـه وتمـرده . ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الإنسان لظلوم كفار﴾ .

ويرى العاقل هذا الظلم وهذا الكفران فى هذا الإنسان فى السفر فى الجو وفى البحر وفى البر، وفى الحضر فى كل مكان. قد غفل - أو مات قلبه - عن التفكير فى نعم الله التى يجب أن تطرق قلبه فى كل وقت ليعود إلى المنعم فيعبده ويشكره.

وعدد البواخر التى شاهدتها فى المحيط فى هذه الرحلة أكثر من عشر كانت الأولى أكبرها.

مظاهرة عارمة :

وكان منظر السحاب فى هذا اليوم - يأخذ بالألباب - وقد شبهته بعدة تشبيهات حسب الحالة التى رأيته عليها :

فشبهته مرة بصفوف المصلين الذين اجتمعت حشودهم فى مصلى العيد فى الصحراء - كما هى السنة - كل إنسان بجنب صاحبه، وكل صف وراء أخيه وهكذا كان السحاب: كل سحابة بجانب أختها وكل صف من السحاب وراء الصف الذى قبله.

ورأيته تارة على هيئة مخيم الحجيج فى منى وقد ربطت كل خيمة فى وتد أختها وبين كل جملة من الخيام وأخرى ممر.

ثم بدأ لى - تارة أخرى - كأنه مدينة واسعة، ذات قصور عالية متناسقة خططت شوارعها بحكمة واتقان، إلا أنه لا يوجد فى تلك الشوارع الزرقاء إلا تتابع الأمواج الهادرة، ومساحة هذه المدينة لا تقاربها مساحة أى مدينة من مدن العالم البشرية.

وآخر قافلة رأيتها كانت تشبه أسرابا من الطائرات الحربية تحلق فوق هذه الأجواء الواسعة إلا أنها لا تلقى قنابل النابالم المحرقة، ولا تقذف الصواريخ المدمرة وإنما كانت - فى ذهنى - تقذف بالحق على الباطل فيدمغه. وكأنها فى مظاهرات عارمة ضد الملحدين: **﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾**.

وشاهدت جزيرة صغيرة من اليابس تحيط ببحيرة صغيرة من الماء وأمواج المحيط الهادى تتلاطم حولها، وهما على هيئة قذيفة صاروخية هكذا.

جزيرة صغيرة
بحيرة صغيرة
المحيط الهادى

ورأيت خضرة على اليابسة تشبه العشب لم أتبين ماهى لبعدها . والظاهر أن البحر يغمر هذه الجزيرة عندما يشتد هياجه ، فتغدو كلها من قاعه ، ويولى عنها عند جزره وهدوئه ـ النسبى ـ فتنكشف مرتفعاتها ويبقى البحر الصغير ـ البحيرة ـ فى وسطها .

فى مطار هونغ كونغ :

ثم أخذت الطائرة فى الهبوط رويدا رويدا فرأينا الجبال القريبة من هونغ كونغ فى وسط البحر ورأينا القوارب الصغيرة وهى تتحرك فى البحر فى كل اتجاه مثل الاسماك . وهبطت الطائرة فى مطار هونغ كونغ فى الساعة الواحدة إلا عشر دقائق بتوقيت جاكرتا الثانية إلا ربعا بتوقيت هونغ كونغ فكانت مدة الطيران أربع ساعات كاملة .

دبّر نفسك :

ودخلنا قاعة الجوازات فكان امامنا فى الصلاة هو شيخنا فى اللغة وقف الشيخ عبد القوى امام الموظفة فرطنت باللغة الانجليزية ـ بلهجتها الصينية السريعة التى يختلط على السامع مخارج حروفها ـ فلم يفهمها ، فختمت له ومشى ، فقلت له : لا تبتعد عنا لانا لا نستطيع التفاهم معها ـ أصلا ـ فقال : دبر نفسك ، وبدأت ترطن لى فناديته فجاء فتكلمت بكلام لم يفهمه فاشارت إليه ان يعود إلى مكانه وقالت لى : نو انجلش فهززت لها رأسى فختمت جوازى وجواز الابن عبد البر ونذرت صوما ، وقلت عندئذ للشيخ عبد القوى : لقد كادت الرؤوس تتساوى ـ أى فى اللغة .

أخافتهم الغترة عند الدخول :

ذهبنا إلى قاعة الجمرك فتسلمنا عفشنا وأخذ الموظفون يفتشون كل شىء بدقة ، وكان الموظف ـ على الرغم من التفتيش الدقيق ـ يسأل أعندكم سلاح . والشيخ يقول له : نو. قلت له : لا تجبه يكفيه ما يفعل .

وبعد أن فرغ من تفتيش الحقائب وكدنا نفارقه نظر إلى عبد البر فرأى رأسه مغطى بالغترة ـ أما الشيخان فكانا مكشوفى الرأس ـ فأخذ الموظف يمر بيديه على رأس عبد البر متحسسا ، وكأنه ظن أن تحت هذا الغطاء مفرقعات أو غيرها من الاسلحة ، فاقتربت أنا من الموظف وأشرت له إلى رأسى ـ أى فتش رأسى أيضا ، فابتسم وفهم اننا نستغرب تفتيش الرأس .

الفندق قبل السيارة :

خرجنا من قاعة المطار فلم نجد أحدا ينتظرنا وكنا قد اتصلنا من جاكرتا بمنزل الأخ مظهر السيد (باكستانى مقيم فى هونغ كونغ يشتغل بالتجارة) الذى كنت قد التقيت به فى المرة الأولى عندما كنا فى طريقنا من اليابان بعد زيارة أمريكا. ووقفنا ننتظر سيارة أجرة وكنا كلما أشرنا لسائق تجاوزنا إلى غيرنا من الواقفين، فاستغربنا ذلك. وبعد وقوف طويل كان يأتينا بعض الشباب يسألنا ماذا تريدون؟. فنقول: نريد استئجار سيارة فيتركنا ويذهب يوقف سيارة لغيرنا ويضع له أثاثه فى صندوق السيارة بنفسه ويفتح له الباب وإذا ركب أغلقه وودعه. فأخذنا نتساءل: ما سبب صدود الناس عنا أهو لباسنا العربى!؟.

ثم قلت لشيخنا القارى - شيخ اللغة الانجليزية - انظر إلى هذه اللافتات التى يقف الناس تحتها فتأتيهم السيارة بسهولة ويجدون من يحتفى بهم دوننا، فنظر فوجد أسماء فنادق. من أختار أحدها وقف تحت لافتته فجاءته السيارة التابعة لذلك الفندق فتوصله إليه، فقلت: اذن يجب أن نختار الفندق قبل السيارة، فأختر لنا ما تشاء فاختار فندق «امباسدور» وعندها يسر الله عسرنا، وكان من فنادق الدرجة الأولى.

جوهرة فى مزبلة :

ونزلنا فى هذا الفندق، واتصلنا بالأخ مظهر السيد الذى وعدنا بالمجىء إلينا، فاسترحنا، وجاءنا فى الساعة السادسة ونزلنا إلى السوق لشراء بعض المأكولات للأفطار وذهبنا إلى مسجد كولون الذى هدم ليبنى من جديد، وهوفى دور التأسيس، وقد شاركت فيه رابطة العالم الإسلامى فى اعانته وشارك غيرها من الكويت وبعض تجار المسلمين فى هونغ كونغ ولازالوا يجمعون له المساعدات لأنه سيبنى من طابقين وكان قد بنى قبل ثمان عشرة سنة بنته بريطانيا للمسلمين الذين شاركوا فى فتح البلدان لها مع جيشها وهم من الهند والباكستان، وكنت زرت هذا المسجد قبل ثلاث سنوات.وكان إمامه شيخا باكستانيا كبير السن ذكر لنا حاجته إلى بناء جديد وضمنت التقرير الذى قدمته للجامعة الإسلامية هذا الطلب وبعثت بصورة منه إلى فضيلة الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى، ولعله على أثر ذلك قدمت المساعدة من الرابطة.

وقد منحت الحكومة فى هونغ كونغ المسلمين قطعة أرض بجوار المسجد مباشرة اعارة يؤدون فيها صلاتهم حتى يتم بناء المسجد وقد بنوا على هذه القطعة مسجدا مؤقتا من الخشب وغطوه بغطاء من البلاستيك ليقيهم من حر الشمس والمطر.

وعندما وصلنا إلى هذا المسجد وجدنا المسلمين مجتمعين وقد وضعوا سفر الافطار على بسط المسجد وضعوا القصعات على تلك البسط ووضعوا أمام كل واحد من المصلين الذين لا يقلون عن ثلثمائة مصل حبات تمر وشيئا من الفاكهة - برتقال أو تفاح - وخبزا محشو بخضرة ولحم (سمبوسة) وقعب نحاس ملىء بشربة أرز وعدس ولحم ورحبوا بنا وفرحوا عندما رأونا ونحن فرحنا أيضا بهذا الجمع الغفير من المسلمين يفطرون كلهم فى مكان يصلون بعد الأفطار وراء امام واحد والبيئة التى تحيط بهذا المسجد كلها بيئة كفر ترى فيها النساء العاريات والأخلاق الفاسدة والغفلة عن الله وعن اليوم الآخر فكان وجود هذا المسجد فى هذا المكان بهذه الأوصاف مثل الجوهرة المرمية فى مزبلة ولعل هذه الجوهرة تحول تلك المزبلة كلها إلى جواهر فى يوم من الأيام وما ذلك على الله بعزيز .

فقد كانت الأرض كلها م بلة عندما بعث رسول الله ﷺ بالدعوة إلى الله فى مكة المكرمة .

راحت تتعجب فدخلت تلعب :

هذا مثل يمنى حفظته وأنا صغير ، ومعناه - فى الأصل - خرافى فهناك مرض يسمى بمرض الزار، إذا مرض شخص أى مرض أقعده فى منزله جاء بعض المرتزقين وأوهموه بأن شيطان الزار قد أصابه بهذا المرض ولابد من ذبح بعض الخرفان ودعوة الناس للأكل منها لاسيما هيئة شيطان الزار الذين هم رئيس الهيئة - رجل أو امرأة - وضاربو الدفوف وصاحب المزمار والمصفقون ويحضر المريض - أو تحضر الهيئة عنده إن كان لا يستطيع هو الحضور - فيأخذ ضاربو الدفوف فى ضرب دفوفهم ، ويأخذ صاحب المزمار فى زمره ، ويصفق المصفقون ، ويبدأ المريض يهز رأسه شيئا فشيئا ، وبعد أن يسخن جسمه تشتد حركته فيرقص ويغيب عقله ويقال أنه عندئذ يحضر شيطان الزار ثم يتقدم شيطان الأنس رئيس هيئة الزار ويغمز بعض أجزاء جسمه ويتحدث مع المريض والمريض يأتى بألفاظ غريبة وكأنه يتحدث على لسان شيطان الزار، ويخبر عن الأسباب التى جعلته يدخل الضرر على المريض ويشترط شروطا لابتعاده عنه يضمن له رئيس هيئة الزار تحقيقها ثم يصحو المريض ، وقد يشفيه الله ابتلاء وقد ينتقل إلى الدار الآخرة مشركا بالله معتقدا أن الجن تنفع وتضر، وتمرض وتشفى . هذه نبذه مختصرة لوصف مرض الزار وليس هذا هو المقصود، والظاهر أن القارىء قد ضاق صدره لادخال هذا المرض ووضعه فى هذا المكان من هذه الرحلة وتعب فى ربط هذا الكلام بالعنوان، فليصبر على ذلك وإليه بيان المراد .

تستأذن بعض النســاء من أولياء أمـورهن لحضـور حفلة الـزار لتتفـرج وهى ليست مريضـة، وعنـدمـا تقف فى الصف تنظر إلى المريض وهو يرقص فترتعش هى وتدخل تفعل مثل ما يفعل المريض (فقيل راحت تتعجب فدخلت تلعب) فصار ذلك مثلا يضرب لمن قلد شخصا أو حاكاه فى أمر ما كان ينبغى له أن يحاكيه أو يقلده لاستغنائه عن ذلك. وقد انطبق هذا المثـل على الشيـخ عبـد القـوى - والمثل يحكى كما هو ولا يغير - فقد اجتمع حولنا بعض الباكستـانيـين والهنـود الـذين يتحدثون باللغة العربية المفهومة، ولم يكونوا يظنون أن الشيخ يتحـدث اللغـة الاردية فتبادلنا الحديث معهم قليلا ثم لم يقدر الشيخ أن يستمر فى التحدث معهم باللغة العربية فانطلق يتكلم باللغة الاردية ولاسيما عندما كان بعض المتحدثين باللغة العربية يترجمون لبعض أصدقائهم باللغة الاردية فأوقفت الشيخ عن التحدث بلغته. وقلت له: اعطهم فرصة ليتمرنوا على اللغة العربية وذكرت عندئذ فى نفسى هذا المثل وسجلته فى مذكرتى : (راحت تتعجب فدخلت تلعب) .

الجو مهيأ للدعوة الإسلامية فى الصين الشيوعية :

التقينـا بشـاب عربى مسلم جاء لتـوه من الصـين الشيوعية، فاشتقنا لنسمع منه عن المسلمين فى الصين، وكان هذا الشاب قد تلقى بعض العلوم التجريبية فى الصين، فسألناه أن يحدثنا عن أحوال المسلمين فى الصين، فأعطانا خلاصة للحالة التى كانوا عليها فى عهد ماوتسى تونـغ، فقـال: لقـد كانـوا فى عهـده مضطهدين مطاردين غير مسموح لهم بدخول المساجد والصلاة فيها بل هدمت كثير من مساجدهم وقتل الكثير منهم .

أما الآن فقد حصل شىء من التسامح من الحكومة الجديدة، وسمحوا للمسلمين أن يقيمـوا شعـائـر دينهم فى مسـاجـدهم، بل ان الحكومة رممت لهم بعض المساجد المتهدمة كما سمحت لهم بتداول المصحف الشريف وكتبهم الدينية بل سمحت الحكومة ببناء الكنائس والمساجد وقد شرع المسيحيون فى بناء عشرين كنيسة فى بيكين .

ولـو أن المسلمـين فى الـدول العـربيـة وغيرها أمدوا إخوانهم المسلمين الآن فى الصين بالمصاحف المطبوعة والمسجلة والكتب الإسلامية والعربية وساعدوهم فى بناء المساجد لكان ذلـك خيرا من التأخـر لأن المسلمـين فى الصـين سيصـابون بخيبة أمل إذا أبطأ إخوانهم عن مساعدتهم وهم يرون المسيحين تنهال منهم الاعانات والمساعدات على بنى دينهم .

وقـال الأخ المـذكور : ان الجو الآن مهيأ للدعوة الإسلامية فى الصين ولكنه يحتاج إلى خطـة مدروسـة وأسلوب منـاسب لحالـة الانفتـاح الاقتصـادى فى الصـين، ولـو وجـد دعاة

مسلمون على هيئة تجار فإنهم يقدرون على الاتصال بالمسلمين ومساعدتهم وتفقيههم فى دينهم .

وقال ان المصاحف والكتب يمكن بعثها إلى بعض تجار المسلمين الصينيين فى هونغ كونغ وهم يبعثونها إلى أقربائهم فى الصين ويمكن بعثها إلى جامع بيكين مباشرة .

زرع المسلمون وحصد غيرهم : «٢٣/ ٩/ ١٤٠٠هـ »

جاء إلينا الأخ يوسف كريم ، وهو صينى مولود فى هونغ كونغ . وشاب نشيط متحمس لدينه الإسلامى ، جاء إلينا فى الساعة العاشرة صباحا وكانت معه شابة مسلمة مشهورة ـ أيضا ـ بالنشاط الإسلامى ولها كتابات فى المجلات والجرائد عن الإسلام ، وبدأنا نتشاور فى كيفية اللقاء بالمنظمات الإسلامية واعضائها فى لقاء واحد يتم فى مسجد كولون بعد عصر غد الثلاثاء ، وطلبوا منى عنوانا لموضوع محاضرة تلقى فى هذا الاجتماع فاخترت لهم هذا العنوان : «أثر الإيمان فى حياة الإنسان» .

وطلبت منا الأخت ربيعة أن نتصل بالسيدة سعاد الفاتح السودانية التى كانت تعمل عميدة لكلية البنات فى الرياض لما بلغها عنها من تحمس للإسلام وثقافة إسلامية طيبة ، قالت : ان وجودها هنا سيساعدنا كثيرا على اجتذاب الفتاة المسلمة إلى مبادىء دينها .

وقالت المناسبة لدعوتها هى أننا نريد أن ننظم ندوة عن المرأة فى الإسلام بمناسبة الاحتفال بالهجرة ، وتقوم ربيعة بعمل سكرتيرة لجنة الاحتفال هذا الذى تشترك فيه جميع المنظمات الإسلامية .

وقال الأخ يوسف كريم : أننا نعانى عدم وجود من يقوم بتدريس اللغة العربية لأبناء المسلمين ، والشيخ صلاح السودانى لا يكفى وحده وعندنا الكلية الإسلامية لو أن الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة منحتها مدرسين لأفادوا فيها ، فسألت عن هذه الكلية وعن نشأتها وطلابها وأساتذتها ومناهجها ، فأخبرت أن الذى أسسها رجل مسلم صينى اسمه قاسم تويت وهو رئيس الجمعية الإسلامية الصينية فى هونغ كونغ وقد التقينا به فيها بعد وأنه أسس هذه المدرسة ، فى الأصل ـ لأبناء المسلمين ولكن لجهل المسلمين وعدم وجود مدرسين متفقهين فى الدين منهم يضعون المنهج الإسلامى ويدرسون مواده . تسلمت المدرسة السلطات الحكومية ـ لا قهرا ولكن خداعا من جانبها وعجزا من جانب المسلمين ـ ووضعت مناهجها مثل مناهج بقية مدارسها وأساتذتها من رجال الحكومة نصارى أو صينيين وأكثر طلابها من غير المسلمين ، ونسبة المسلمين فيها ١٠٪ فقط .

قلت : لقد زرع المسلمون وحصد غيرهم ، ويجب أن تبذلوا جهدكم فى تعديل المناهج وايجاد المدرسين المسلمين ليقوموا بتدريس الطلاب الدين الإسلامى وتكثروا من أبنائكم فى المدرسة حتى تؤثروا أنتم فى غيركم بالمنهج والكتاب والمدرس لا غيركم يؤثر فيكم كما هو الشأن الآن .

قال الأخ يوسف : نحن لا نقدر على ذلك بدون مساعدة منكم فانقلوا رغبتنا إلى المسئولين فى المملكة العربية السعودية فى أن يساعدونا بمدرسين لأبنائنا وكتب إسلامية ووضع مناهج .

وقال الأخ يوسف : ادخلت الآن فى مناهج المدرسة هذه مادة التاريخ الإسلامى ويدرسها الأستاذ صلاح شيخ ومن تدريسه لها يستطيع أن يعطى الطلبة فكرة عن مبادىء الدين الإسلامى وهى مادة يدرسها المسلمون وغير المسلمون . وقال : توجد فى هونغ كونغ ثلاث جامعات : جامعة هونغ كونغ الأم ، وجامعة صينية يشترك فيها الصينيون والأوربيون ، وجامعة أمريكية تبشيرية كاثوليكية ولم يعترف بشهاداتها إلى الآن ، ويستفيد الأوربيون من الجامعة الصينية بل يكادون يسيطرون عليها .

وكثير من الشباب الإسلامى تكون صلتهم بالمنظمات الإسلامية ونشاطاتها الإسلامية جيدة ولكنهم عندما يدخلون فى هذه الجامعات ينعزلون عن اخوانهم وقد لا نراهم إلا بعد تخرجهم وذلك بسبب الواجبات الملقاة عليهم فى الدراسة وخشية فشلهم فيها وهم هنا لابد أن يتعبوا أنفسهم ليحصلوا على وسيلة جلب رزقهم .

وقال : ان المنظمات هنا لها كامل الحرية فى نشاطاتها لا فرق بين المنظمات اليهودية والنصرانية والصينية ، وكذلك المنظمات الإسلامية فتستطيع أى منظمة أن تقوم بأى عمل دون أن تصطدم بالمنظمات الأخرى ، واليهود هم الذين يسيطرون على الاقتصاد العام ورئيس الجهاز التعليمى يهودى . والبوذيون أغنياء بالأراضى والعمارات .

●●●●●●●●●●●



أختى العزيزة « هـل » :

هذه هى الرسالة الحادية عشرة أبعث بها إليك لأحدثك فيها عن الصيغة الثانية من هذه الصيغ التى تدخل فيها أختك همزة الاستفهام على (**لا**) النافية للفعل المضارع، وهذه الصيغة هى «**أفلا تتقون**» وقد وردت فى اثنتى عشرة آية من آيات القرآن الكريم :

الآية الأولى قوله تعالى : ﴿**وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون**﴾. الآية (**٦٥**) من سورة الأعراف .

الآية الثانية قوله تعالى : ﴿**قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون**﴾. الآية (**٣١**) من سورة يونس .

الآية الثالثة قوله تعالى : ﴿**ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون**﴾. الآية (**٢٣**) من سورة المؤمنون .

الآية الرابعة فى قوله تعالى : ﴿**ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين** (٣١) **فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون**﴾. الآيتان : (**٣١-٣٢**) من سورة المؤمنون .

الآية الخامسة فى قوله تعالى : ﴿**قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم** (٨٦) **سيقولون لله قل أفلا تتقون**﴾ (٨٧). الآيتان : (**٨٦-٨٧**) من سورة المؤمنون .

الآية السادسة فى قوله تعالى : ﴿**وإذ نادى ربك موسى أن أئت القوم الظالمين** (١٠) **قوم فرعون ألا يتقون**﴾ (١١). الآيتان: (١٠-١١) من سورة الشعراء .

الآية السابعة فى قوله تعالى : ﴿**كذبت قوم نوح المرسلين** (١٠٥) **إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون**﴾ (١٠٦). الآيتان: (١٠٥-١٠٦) من سورة الشعراء .

الآية الثامنة فى قوله تعالى : ﴿**كذبت عاد المرسلين** (١٢٣) **إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون**﴾ (١٢٤). الآيتان: (١٢٣-١٢٤) من سورة الشعراء .

الآيـة التـاسعـة فى قولـه تعـالى : ﴿**كذبت ثمود المرسلين** (١٤١) **إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون**﴾ (١٤٢). الآيتان (١٤١-١٤٢) من سورة الشعراء .

الآية العاشرة فى قوله تعالى : ﴿**كذبت قوم لوط المرسلين** (١٦٠) **إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون**﴾ (١٦١). الآيتان: (١٦٠-١٦١) من سورة الشعراء .

الآية الحادية عشرة فى قوله تعالى : ﴿**كذب أصحاب الأيكة المرسلين** (١٧٦) **إذ قال لهم أخوهم شعيب ألا تتقون**﴾ (١٧٧). الآيتان: (١٧٦-١٧٧) من سورة الشعراء .

الآية الثانية عشرة فى قوله تعالى : ﴿**وإن إلياس لمن المرسلين** (١٢٣) **إذ قال لقومه ألا تتقون**﴾ (١٢٤). الآيتان: (١٢٣-١٢٤) من سورة الصافات .

هذه الصيغة : «**أفلا تتقون**» جاءت فى الآيات المتقدمة على لسان رسل يخاطبون بها أقواما كافرين .

وقـد سمّى معظم هذه الآيـات أسـماء الـرسل الذين قالوا هذه الصيغة وأسماء الأقوام الـذين خوطبـوا بها، ولم ترد هذه التسميـة فى ثلاث آيات، ولكن سياق المعنى فى الآية الثانية والآية الخامسة يدل على أن القائل لهذه الصيغة هو محمد ﷺ خاطب بها المشركين من قريش .

أمـا الآيـة الـرابعـة فليس فيهـا ولا فيـما اكتنفها من الآيات ما يدل على اسم الرسول القائل لها ولا اسم القوم الذين خوطبوا بها .

وهمزة الاستفهام فى هذه الصيغة تفيد الإنكار والتوبيخ :

لقد أنكر هؤلاء الرسل على أولئك الكافرين الذين خوطبوا بهذه الصيغة، أنكروا عليهم تركهم تقوى الله تعالى والخشية من عقابه، ووبخوهم على ذلك .

وقبل أن أنتقل بك إلى الصيغة التالية أحب أن أنبهك على أشياء :

لعلك تسألين وتقولين إن هذه الصيغة التى جاءت فى الآية السادسة على لسان موسى يخاطب بها قوم فرعون جاءت بياء الغيبة «**ألا يتقون**» ولم تجيء بتاء الخطاب «**ألا تتقون**»، ثم إنه لم يُذكر قبلها (قال) أو (قل) كحال هذه الصيغة فى آياتها الأخر، فكيف يصح أن تقولى قالها موسى يخاطب بها قوم فرعون؟! .

لقد أجاب الطبرى فى تفسيره عما تسألين، فقد جاء فيه عند تفسيره لهذه الآية : ﴿**قوم فرعون ألا يتقون**﴾ . . . ومعنى الكلام قوم فرعون فقل لهم ألا يتقون، وترك إظهار (فقل لهم) لدلالة الكلام عليه، وإنما قيل «**ألا يتقون**» بالياء، ولم يقل «**ألا تتقون**» بالتاء لأن التنزيل كان قبل الخطاب . . . اهـ .

والشيء الثانى أن هذه الصيغة جاء ت فى خمس آيات من آياتها الاثنتى عشرة بصورة «**أفلا تتقون**» بالفاء فاصلة بين همزة الاستفهام و «**لا**» النافية، وهذه الصورة لا نزاع فى أن الهمزة فيها للاستفهام، والفاء عاطفة، و «**لا**» نافية للفعل المضارع .

أما الصورة الأخرى التى جاءت عليها هذه الصيغة وهى «**ألا تتقون، ألا يتقون**» بدون فاء فاصلة بين الهمزة و «**لا**» **فقد وقع فيها النزاع والخلاف** :

جاء فى البحر المحيط لأبى حيان فى تفسيره لهذه الآية : ﴿**وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون**﴾ جاء فيه : «والظاهر أن (ألا) للعرض المضمن الحض على التقوى، وقول من قال إنها للتنبيه لا يصح، وكذلك قول الزمخشرى : إنها للنفى دخلت عليها همزة الإنكار» اهـ .

وجاء فى الفتوحات الإلهية المعروفة بحاشية الجمل على الجلالين عند تفسير هذه الآية : «وفى السمين أن (ألا) للعرض، وقال الزمخشرى : إنها لا النافية دخلت عليها همزة الإنكار، وقيل هى للتنبيه» اهـ .



وعبارة الزمخشرى فى تفسيره لهذه الصيغة فى هذه الآية : «ويحتمل أن يكون (لا يتقون) حالا من الضمير فى الظالمين أى يظلمون غير متقين الله وعقابه، فأدخلت همزة الإنكار على الحال، وأما من قرأ (ألا تتقون) على الخطاب فعلى طريقة الالتفات إليهم وجبههم وضرب وجوههم بالإنكار والغضب عليهم» اهـ .

وتفيد عبارة الزمخشرى هذه أن الهمزة هنا تفيد الإنكار على كلتا القراءتين : القراءة بياء الغيبة والقراءة بتاء الخطاب .

والرأى - فيما يبدو لى - مع الزمخشرى، لأن هذه الصيغة جاءت اثنتى عشرة مرة، خمس منها بالفاء، وهذه لا نزاع فى أن الهمزة فيها للاستفهام و(لا) نافية، وفاء العطف الفاصلة بين الهمزة ولا النافية هى التى تقضى بذلك .

وسبع منها بدون فاء، وهذه تحتمل أن تكون (ألا) فيها مكونة من همزة الاستفهام ولا النافية وتحتمل أن تكون (ألا) كلمة واحدة تفيد العرض .

ولما كان القائل لهذه الصيغة فى آياتها جميعاً واحداً وهم الرسل، وكان المخاطب بها واحداً وهم الكفار، وكانت الحال البلاغية التى تقتضى أسلوبا معينا من القول واحدة وهى كفر المخاطبين وتكذيبهم الرسل وإنكارهم البعث، لما كان الأمر كذلك كان الصواب أن تحمل هذه الصيغة فى آياتها جميعا على معنى واحد هو الاستفهام الذى يفيد التوبيخ والتقريع والإنكار .

ثم إننا إذا نظرنا إلى هذه الصيغة التى وقع فيها الخلاف فى قوله تعالى : ﴿**وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون**﴾ . وجدنا أن هذه الصيغة قد سبقت بما لم تسبق به فى الآيات الأخر، فقوله تعالى ﴿**وإذ نادى ربك موسى**﴾ يدل على عظم ما نودى موسى من أجله، وهذا الأمر ﴿**أن ائت القوم الظالمين**﴾ يوحى بالقوة والشدة والإسراع، ثم إن وصف القوم بالظالمين وأنهم قوم فرعون يدل على سخط عليهم وغضب . فمن ذا الذى يتوقع بعد هذا كله أن يكون ما حمله موسى إلى قوم فرعون غير ما يدل على الإنكار والتقريع والتوبيخ . إن العرض وحتى لو ضمن معنى التحضيض يأباه كل الإباء سياق الكلام المتقدم الموحى بالسخط عليهم والغضب، وأخذهم بالشدة والغلظة والعنف .

الشىء الثالث : أصل (تتقون) فيما يتخيله علماء الصرف (تَوْتَقِيُونْ)، على وزن تفتعلون، استثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان : الياء التى هى لام الكلمة وواو الجماعة، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وضمت القاف التى قبلها لمناسبة واو

الجماعة، ثم إن الواو التى هى فاء الكلمة أبدلت تاء لوقوعها قبل تاء الافتعال ثم أدغمت فى تاء الافتعال، فصارت الكلمة تتَّقون على وزن تفتعون؛ والفعل المجرد لهذا الفعل المزيد هو: وقى يقى .

أختى العزيزة : «هـل» :

أنتقل بك الآن إلى الصيغة الثالثة من هذه الصيغ التى تدخل فيها أختك همزة الاستفهام على «**لا**» النافية للفعل المضارع، وهذه الصيغة هى «**أفلا تتذكرون**»، **وقد وردت هذه الصيغة فى تسع آيات من آيات القرآن الكريم :**

الآية الأولى قوله تعالى : ﴿وحاجّه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدانى ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى وسع ربى كل شىء علما أفلا تتذكرون﴾. الآية (٨٠) من الأنعام .

تتضمن هذه الآية الكريمة أن قوم إبراهيم عليه السلام جاءوه يجادلونه فى توحيده الله سبحانه وتعالى وفى نبذه الأصنام التى يعبدونها من دون الله، ويخوّفونه أن تمسّه هذه الأصنام بسوء .

فأجابهم إبراهيم عليه السلام منكرا عليهم هذا الحجاج والجدال قائلا: أتحاجونى فى توحيدى الله تعالى وإخلاصى العمل له دون سواه وقد هدانى إلى أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له؟!! .

أما أصنامكم هذه التى تعبدونها من دون الله وتخوفوننى أذاها فلا أخافها، إنها لا تستطيع أن تدفع عن نفسها الأذى، فمن أين لها القدرة على الإيذاء؟!! .

إنها لا تضر ولا تنفع إلا أن يشاء ربي بي شيئا فإنه ينالنى، فهو القادر على كل شىء ولا يعجزه شىء فى السموات ولا فى الأرض، قد وسع علمه كل شىء فلا تخفى عليه خافية .

ثم ختم محاجّته بقوله «**أفلا تتذكرون**» وهو استفهام إنكار وتوبيخ :

ينكر عليهم ويوبخهم ألا يتعظوا ويتدبروا هذا الأمر الذى وقع فيه الحجاج والجدال، وكأنه يقول لهم: أفلا تتعظون أيها الأغبياء الجاهلون وتعقلون فتدركوا أن هذه الأصنام لا تفقه ولا تعقل ولا تملك نفعا ولا ضرا ولا تستحق العبادة، وأن الله العالم بكل شىء والقادر على كل شىء والخالق الرازق الذى بيده ملكوت كل شىء هو وحده الذى يستحق العبادة .

الآية الثانية قوله تعالى : ﴿**إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون**﴾ . الآية (٣) من سورة يونس .

تتضمن هذه الآية الكريمة أن ربكم أيها الناس هو الله المعبود بحق ، وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش مدبرا أمر ملكه على أكمل وجه ، لا يشاركه أحد فى التدبير ، ولا يصيب تدبيره خللُ واضطراب ، ولا يشفع عنده يوم القيامة إلا من يأذن له . ذلكم أيها الناس هو الله الذى خلق هذا الخلق العظيم ودبّر أمور هذا العالم أكمل التدبير ، ذلكم هو ربكم الحق الذى ينبغى أن تخلصوا له العبادة وأن تفردوه بالربوبية وأن تتقربوا إليه بالطاعات ، وليس هناك من شيء يستحق أن يُعبد من دون الله ولا أن يُتخذ شريكًا له .

وفى ختام هذه الآية قال تعالى : ﴿**أفلا تذكرون**﴾ . وهو استفهام إنكار وتوبيخ :
ينكر الله سبحانه وتعالى على المشركين ويوبخهم أن لا يفكروا فى خلقه العظيم خلق السموات والأرض ، وفى تدبيره المحكم لأمور خلقه فيدركوا ما هم فيه من خطأ فاحش وضلال بعيد وإشراك بالله بغير حق ، ومن عبادة من لا يضر ولا ينفع ولا يقدر على شيء ، فيدركوا ذلك وينيبوا إلى الله جلت قدرته وعظم تدبيره ويوحدوه ويفردوه بالعبادة .

الآية الثالثة قوله تعالى : ﴿**مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون**﴾ . الآية (٢٤) من سورة هود

تتضمن هذه الآية الكريمة شبه الكافر والمؤمن :
فالكافر الذى عمي قلبه فلم ير الحق والهدى والإيمان ، وصمّت أذنه عن سماع الفهم والتدبر لآيات القرآن ، يشبه الإنسان الأعمى الأصم الذى لا يبصر بعينه الطريق الذى يوصله إلى غايته ، ولا يسمع بأذنه كلاما ينتفع به فى حياته ، ووجه الشبه إخفاق كل منهما فى الوصول إلى ما فيه النفع والخير والفلاح .

والمؤمن الذى أراه الله الحق والإيمان ، وفهم وتدبر بسمعه آيات القرآن ، يشبه الإنسان البصير السميع الذى يرى بعينه طريقه الذى يوصله إلى غايته ، ويسمع بأذنه كلاما ينتفع به

فى حياته، ووجه الشبه فوز كل منهما بما فيه النفع والخير والفلاح .

والتشبيه فى الموضعين من تشبيه المعقول بالمحسوس، وهذا هو الغالب على تشبيهات القرآن الكريم، لأن المشبه به المحسوس أوضح تصويراً للمشبه وأدق، وأشد تأثيرا فى النفوس وأعمق .

ومن هذين التشبيهين يتبين أن الكافر والمؤمن ليسا سواء عند الله تعالى فشتان ما بين الضلال والهدى، وشتان ما بين الكفر والإيمان .

وفى ختام هذه الآية قال تعالى : ﴿**أفلا تذكرون**﴾ وهو استفهام إنكار وتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى على الكافرين ويوبخهم أن لا يتدبروا ويفكروا فى حال كل من الكفر والإيمان وما بينهما من اختلاف وتباين، فى أيهما الخير والفلاح، وفى أيهما الشر وسوء المنقلب، فيرتدعوا عما هم فيه من الضلال إلى الهدى ومن الكفر إلى الإيمان .

الآية الرابعة فى قوله تعالى : ﴿**وياقوم لا اسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون (٢٩) وياقوم من ينصرنى من الله إن طردتهم أفلا تذكرون**﴾(٣٠) . الآيتان : (٢٩-٣٠) من سورة هود .

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن نوحا عليه السلام قال لقومه : ياقوم أنا أدعوكم إلى عبادة الله وحده لا تشركون به شيئا، ولا تظنوا أنى أطمع من وراء ذلك فى مال تعطوننى إياه أجرا على ذلك، إنما أجرى على الله تعالى، فهوالذى يثيبنى وعنده حسن الجزاء .

أما هؤلاء الذين تزعمون أنهم أراذلكم وتطلبون منى أن أطردهم وأعرض عنهم فما أنا بطاردهم، وكيف أطردهم وقد آمنوا بالله لا يشركون به شيئا، ثم إنهم ملاقوربهم، وأى شرف أعظم من هذا اللقاء؟!! .

ولكنى أراكم قوما تجهلون أن لهم فضلا عليكم وزلفى عند الله بهذا الإيمان، وأن أموالكم وأحسابكم ليست بالتى تقربكم عند الله شيئا .

ومن يمنعنى ياقوم من عقاب الله إن طردتهم وهم المؤمنون به الملاقون له المقربون عنده؟!! .

وفى ختام هذه الآية قال لهم ﴿**أفلا تذكرون**﴾ وهو استفهام إنكار وعتاب :

ينكر نوح عليه السلام على قومه ويعتب أن لا يتدبروا أمرهم وأمر المؤمنين من قومهم فيدركوا أن الإيمان بالله وباليوم الآخر ونبذ الآلهة التى تعبد من دون الله هو الفوز والفلاح

والعلو والشرف، وأن الإشراك بالله وإنكار البعث والحساب هو الخسران المبين .

الآيـة الخـامسة فى قوله تعالى : **﴿خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون (٣) خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين (٤) والأنعام خلقها لكم فيها دفـء ومنافع ومنها تأكلون (٥) ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون (٦) وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكـونـوا بالغيـه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم (٧) والخيـل والبغـال والحمـير لتركبـوهـا وزينة ويخلق مالا تعلمون (٨) وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعـين (٩) هو الـذى أنـزل من السماء ماء لكم منـه شراب ومنه شجر فيه تسيمون (١٠) ينبت لكم به الـزرع والـزيتـون والنخيـل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكـرون (١١) وسخـر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلـك لآيـات لقـوم يعقلون (١٢) ومـاذرأ لكم فى الأرض مختلفـا ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذّكـرون (١٣) وهـو الذى سخّر البحر لتأكلوا منه لحما طريّا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٤) وألقى فى الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون (١٥) وعلامات وبالنجم هم يهتدون (١٦) أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾** (١٧). الآيات : (٣-١٧) من سورة النحل .

تبين هذه الآيات الكريمة خلائق عظيمة خلقها الله تعالى لعباده، ونعما جليلة أنعم بها سبحانه وتعالى عليهم، وفى ختام هذه الآيات جاءت الآية الكريمة : **﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾** .

وقـد تضمنت هذه الآيـة الكريمة التباين بين من يخلق ويُنشىء ويبدع ابتداء وهو الله جل وعلا وبين من لا يخلق شيئا ألبتة ولا يستطيع أن يخلق وهى الأصنام ممن يعبد من دون الله .

وفى ختام هذه الآية جاء قوله تعالى : **﴿أفلا تذكرون﴾** وهو استفهام إنكار وتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى على الناس الذين لا يفردونه بالعبادة ويوبخهم على غفلتهم وجهلهم وسوء نظرهم وعدم تنبههم لأمر واضح جلي يدرك بأقل تفكر، ويعرف بأدنى تذكر، وهـو أن من يخلق هذه الخـلائق العظيمـة وينعم بهذه النعم الجليلة هو المستحق لأن يفـرد بالعبادة، وأن من لا يخلق شيئا ولا يستطيع أن يخلق هو شىء لا يستحق عبادة ما أبدا .

الآيـة السـادسـة فى قولـه تعالى : ﴿**بل قالوا مثل ما قال الأولون (٨١) قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون (٨٢) لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولـين (٨٣) قل لمن الأرض ومن فيهـا إن كنتم تعلمـون (٨٤) سيقـولـون لله قل أفـلا تذكرون**﴾ (٨٥). الآيات: (٨١-٨٥) من سورة المؤمنون .

تتضمن هذه الآيـات الكـريمـة أن المشـركين من كفار مكة قالوا مثل ما قال أسلافهم الأقـدمـون الـذين كذبـوا من أرسله الله تعـالى إليهم ، قالـوا لهم أإذا متنـا وبليت أجسـامنا وصارت ترابا وعظاما ، أإنا لمبعوثون من قبورنا أحياء كما كنا من قبل المات؟! إنّ هذا لن يكون .

وتتضمن أيضـا أن المشـركـين من كفـار مكـة قالوا للرسول ﷺ أنت يامحمد تعدنا أننا سنبعث بعـد المـات ، وهـذا وعد قد وعده آباءنا من قبل أناس قالوا عن أنفسهم إنهم رسل الله ، فما هذا الوعد إلا أكاذيب سطرها الأولون فى الكتب .

وتتضمن أيضـا أن الله سبحـانـه وتعالى قال لرسوله ﷺ : قل يامحمد لقومك المكذبين بالبعث: «لمن مُلْك هذه الأرض ومن فيها من الخلائق إن كنتم تعلمون ذلك؟ » .

ثم أعلمـه الله سبحـانه وتعالى أن قومه سيقولون فى جواب هذا السؤال مقرّين : إنها ملك لله وحـده ، ثم أخـبره سبحـانـه وتعالى أن يقول لهم بعد أن يجيبوا هذا الجواب : «**أفلا تذكرون**» وهو استفهام إنكار وتوبيخ :

ينكـر عليهم أن لا يتـدبـروا ويعقلوا أن من قدر على خلق هذه الأرض ومن فيها بدءاً وإبداعاً قادر على إعادتهم إلى الحياة مرة ثانية خلقا سويّاً كما بدأهم أول مرة .

الآية السابعة قوله تعالى : ﴿**الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون**﴾ . الآية (٤) من سورة السجدة .

تتضمن هذه الآيـة الكـريمـة أن الله سبحـانه وتعالى هو وحده الذى خلق السموات والأرض ومـا بينهـما فى ستـة أيـام ثم استـوى على العـرش ، فهو المتفرد بهذا الخلق العجيب العظيم ، فليس لكم أيهـا النـاس من ناصـر ينصـركم منه إن أراد بكم ضرا ، وليس لكم من شفيع يشفع لكم عنده إن عاقبكم على مخالفتكم أمره .

وفى ختام هذه الآية الكريمة قال تعالى : «**أفلا تتذكرون**» وهو استفهام إنكار وتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى على الكافرين ويوبخهم أن لا يفكروا فى قدرته العظيمة المبدعة وفى تفرده بتدبير أمور خلقه لا شريك له ، فيدركوا أنه وحده المستحق للعبادة ، وأن من دونه لا يستحقون شيئا .

الآية الثامنة فى قوله تعالى : ﴿**فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون (١٤٩) أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون (١٥٠) ألا إنهم من إفكهم ليقولون (١٥١) ولد الله وإنهم لكاذبون (١٥٢) أصطفى البنات على البنين (١٥٣) مالكم كيف تحكمون (١٥٤) أفلا تذكرون**﴾ (١٥٥) . الآيات : (١٤٩-١٥٥) من سورة الصافات .

مما تضمنته هذه الآيات الكريمة أن مشركى قريش كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله ، وقد وبخهم الله سبحانه وتعالى بأنهم لا يرضون الإناث لأنفسهم فكيف يرضون ذلك لله رب العالمين .

ومما تضمنته أيضا تبيان كذبهم بأنهم لم يحضروا ولم يروا خلق الله تعالى للملائكة حين خلقهم فمن أين عرفوا أنه جل وعلا قد خلقهم إناثا ، وكيف يحكمون بهذا الحكم دونما حجة ولا برهان .

وفى ختام هذه الآيات قال تعالى : «**أفلا تذكرون**» وهو استفهام توبيخ وإنكار :

يوبخ الله سبحانه وتعالى مشركى قريش وينكر عليهم أن لا يتدبروا ما يقولون ، وأن لا يفكروا فيما يحكمون ، فيعرفوا ما فى قولهم من خطأ وجهل وما فى حكمهم من إفك وبهتان ، فيرجعوا عن الضلال ويثوبوا إلى الرشد .

الآية التاسعة قوله تعالى : ﴿**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون**﴾ . الآية (٢٣) من سورة الغاشية .

تتضمن هذه الآية الكريمة أن من اتخذ معبوده ما تهواه نفسه ، وأضله الله على علم منه بأنه لا يهتدى ولو جاءته كل آية ، وختم على سمعه فلا يسمع آيات الله ويتدبرها ويدرك ما فيها من نور وهداية ، وختم على قلبه فلا يفقه به حقا ، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر آيات الله المنبثة فى جنبات الأرض وآفاق السماء الدالة على قدرته ووحدانيته فيعلم أنه لا إله

إلا هو، إن من كان على هذه الصفة لن يستطيع أن يهديه أحد من بعد الله تعالى .

وفى ختام هذه الآية جاء قوله تعالى : «**أفلا تذكرون**» وهو استفهام توبيخ وإنكار :

يوبخ الله سبحانه وتعالى أولئك المشركين وينكر عليهم أن لا يتدبروا أن معبوداتهم من دون الله لا تنفعهم إن أراد الله بهم ضرا، وأنها لاتغنى عنهم من الله شيئا، وأنه وحده الهادى إلى الصراط المستقيم، وأنهم لن يجدوا لأنفسهم من دونه وليّاً مرشدا .

أختى العزيزة «هـــل» :

فى ختـام هذه الـرسـالـة أحب أن أنبهـك على أن هذه الصيغـة قرئت فى بعض آياتها بتاءين «**أفلا تتذكرون**» وفى معظم آياتها بتاء واحدة «**أفلا تذكرون**»، وما جاء بتاءين فعلى الأصـل، والتـاء الأولى هى تاء المضـارعـة، والتـاء الثـانيـة هى تاء تفعّـل الزائدة فى الفعل الماضى، وحين يجتمع تاءان فى أول مضارع تفعّل يجوز أن لا تخففيهما فتبقيان على حالهما، ويجـوز أن تخففيهـما فتحـذفى إحـدى التاءين، وقد اختلفوا أيهما المحذوفة. فرأي سيبويه: أن المحذوفة هى الثانية لأن الثقل منها نشأ، ولأن حروف المضارعة زيدت على تاء تفعل لتكون علامة دالة على معنى المضارعة فهى أولى بالبقاء. وقال الكوفيون: المحذوفة هى الأولى، وجوز بعضهم الأمرين .

ومهـما يكن من أمـر فقـراءة التـاءين جاءت على الأصل، وقراء التاء الواحدة جاءت على التخفيف .

أختى العـزيزة :

أستودعك الله تعالى، وأسأله جل وعلا أن يعين على رسالة قادمة يكون فيها الخير والرشاد .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . . .

أخـــتك

همزة الاستفهام

مراجع ماجاء فى هذه الرسالة

(أ) المراجع على وجه الإجمـــال :

١ ـ تفسير أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ـ الطبعة الثالثة ـ الناشر: الحلبى بمصر .
٢ ـ تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى . الناشر: مكتبه ومطابع النصر الحديثة بالرياض .
٣ ـ تفسير أبى السعود . الناشر: دار المصحف ـ مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد بالقاهرة .
٤ ـ الفتوحات الإلهية المعروفة بحاشية الجمل على الجلالين . الناشر: الحلبى بمصر .
٥ ـ تفسير ابن كثير . الناشر: الحلبى بمصر .
٦ ـ تفسير الكشاف للزمخشرى . الناشر: الحلبى بمصر .
٧ ـ تفسـير القـرطبى «نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية» . الناشر: دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة .
٨ ـ شرح شافيـة ابن الحـاجب للرضى ـ تحقيق محمـد نور حسن وزميليـه . الناشر: محمود توفيق ، مطبعة حجازى بالقاهرة .

(ب) المراجع على وجه التفصيل :

١ ـ مراجع صيغة «ألا تتقون» فى آياتها الاثنتى عشرة :
ـ الآيـة الأولى (٦٥) الأعـراف : تفسير أبى السعود (ج٣ ص ٢٣١) . تفسير البحر المحيط : (ج٤ ص٣٢٣) . تفسير الطبرى : (ج٨ ص٢١٥) .
ـ الآية الثانية : (٣١) يونس : أبوالسعود : (ج٤ ص ١٤) . البحر المحيط : (ج٥ ص١٥٤) . الطبرى : (ج١١ ص١١٤) . القرطبى : (ج٨ ص٣٣٥) .
ـ الآيــة الثـالثـة : (٢٣) المؤمنـون : أبـو السعـود : (ج٥ ص ١٣٠) البحـر المحيـط : (ج٦ ص٤٠٢) . الطبرى : (ج١٨ ص١٦) .
الآية الرابعة : (٣٢) المؤمنون : الطبرى : (ج١٨ ص١٩) .
الآيــة الخــامسـة : (٨٧) المؤمنـون : الطـبرى : (ج١٨ ص٤٧) . البحـر المحيـط : (ج٦ ص٤١٨) . القرطبى : (ج١٢ ص١٤٥) . حاشية الجمل : (ج٣ ص٢٠٠) .
الآيـة السـادسـة : (١١) الشعـراء : الطـبرى : (ج١٩ ص٦٤) القرطبى : (ج١٣ ص٩١) . البحر المحيط : (ج٧ ص٧) . الزمخشرى : (ج٣ ص١٠٦) أبو السعود : (ج٦ ص٢٣٦) حاشية الجمل : (ج٣ ص٢٧٣) .
الآية السابعة : (١٠٦) الشعراء : البحر المحيط : (ج٧ ص٣٠) . الطبرى : (ج١٩ ص٩٠) . أبو السعود : (ج٦ ص٢٥٤) القرطبى : (ج١٣ ص١١٩) .
الآية الثامنة : (١٢٤) الشعراء : البحر المحيط : (ج٧ ص٣٣) . الطبرى : (ج١٩ ص٩٢) .

الآية التاسعة : (١٠٢) الشعراء : الطبرى : (ج١٩ ص٩٩) .

الآية العاشرة : (١٠٦) الشعراء : الطبرى : (ج١٩ ص١٠٥) .

الآية الحادية عشره : (١٧٧) الشعراء : الطبرى : (ج١٩ ص١٠٧) . القرطبى : (ج١٣ ص١٣٥) .

الآية الثانية عشرة : (١٢٤) الصافات : الطبرى (ج٢٣ ص٩١) . أبو السعود : (ج٧ ص٢٠٣) .

٢ - مراجع صيغة «أفلا تذكرون» فى آياتها التسع :

الآية الأولى : (٨٠) الأنعام : البحر المحيط : (ج٤ ص١٧٠) . الطبرى : (ج٧ ص٢٥٣) . أبو السعود : (ج٣ ص١٥٥) . ابن كثير : (ج٢ ص١٥٢) .

الآية الثانية : (٣) يونس : البحر المحيط : (ج٥ ص١٢٤) . الطبرى : (ج١١ ص٨٣) . ابن كثير : (ج٢ ص٤٠٦) . الزمخشرى : (ج٢ ص٢٢٥) .

الآية الثالثة : (٣٤) هود : البحر المحيط : (ج٥ ص٢١٣) . أبو السعود : (ج٤ ص١٩٩) . الطبرى : (ج١٢ ص٢٥) . حاشية الجمل : (ج٢ ص٣٩٠) .

الآية الرابعة : (٣٠) هود : البحر المحيط : (ج٥ ص ٢١٨) . أبو السعود : (ج٤ ص٢٠٣) . الطبرى : (ج١٢ ص٣٠) .

الآية الخامسة : (١٧) النحل : البحر المحيط : (ج٥ ص٤٨١) . الطبرى : (ج١٤ ص٩٢) . أبو السعود : (ج٥ ص١٠٤) .

الآية السادسة : (٨٥) المؤمنون : البحر المحيط : (ج٦ ص٤١٨) . أبو السعود : (ج٦ ص١٣٠) . الطبرى : (ج١٨ ص٤٧) . حاشية الجمل : (ج٣ ص٢٠٠) . القرطبى : (ج١٢ ص١٤٥) . ابن كثير : (ج٣ ص٢٥٣) . الزمخشرى : (ج٣ ص٤٠) .

الآية السابعة : (٤) السجدة : أبو السعود : (ج٧ ص٨٠) . الطبرى : (ج٢١ ص٩١) . القرطبى : (ج١٤ ص٨٦) . ابن كثير : (ج٣ ص٤٥٦) .

الآية الثامنة : (١٥٥) الصافات : البحر المحيط : (ج٧ ص٣٧٧) . أبو السعود : (ج٧ ص٢٠٨) . الطبرى : (ج٢٣ ص١٠٦) . القرطبى : (ج١٥ ص١٣٤) .

الآية التاسعة : (٢٣) الجاثية : الطبرى : (ج٢٥ ص١٥١) . القرطبى : (ج١٦ ص١٦٩) .

٣ - مرجع ما ورد من صرف فى صيغة «أفلا تتذكرون» :

شرح شافية ابن الحاجب للرضيّ : تحقيق محمد نور حسن وزميليه : (ج٣ ص٢٩٠) .

★★★★★

حديث مع البلبل

محمد بن عبدالله زربان الغامدي
وكيل عمادة شئون الطلاب بالجامعة

أيا بلبل الروض أين النغم — يفيض على القلب طيب النسم
وأين الأغاريد تلك التي — عهدنا ترددها من قدم
فقد غاب صوتك عنى فهل — غناؤك مازال أم بى صمم
فقال وفى مقلتيه الدموع — لقد زال عهد الرضا وانصرم
وجاء زمان يحار اللبيب — من العيش فيه ويخشى النقم
لقد كنت اشدوا وما فى الحمى — سواى يشاركنى فى النغم
تنقلت من فوق غصن لغصن — وغنيت من كل لحن لهم
وصوتى يردد فى العالمين — وتصغى له عربها والعجم
أمنت فنمت لرجع الصدى — وأدركنى الليل يهدى الظلم
فقلت: أيا ليل هل تنقضى — فزاد بظلمته وادلهم
أما آن ياليل أن تنجلى — ليطلع فجر يضيء الأكم
افقت إذا الأرض غير التى — عهدت فلم يبق فيها علم
سوى طلل يندب السابقين — ويحكى نهاية من قد ظلم
فأين صقور الحمى هاجرت — ولم يبق من بعد إلا الرخم
وبوم يعشش بين الخراب — وغربان تبحث بين الرمم
أمن بعد أن قادت العالمين — تقاد لأعدائها كالنعم
تقول فمن يستمع قولها؟! — وترمى المواثيق لا تحترم
إذا ما دعوا للهدى أدبروا — واما الهوى فأجابوا نعم
أما قرأوا سيرة السابقين — ومن قد مضى قبلهم من أمم
وكيف انتهى منهم الظالمون — وحل بهم من عظيم النقم
وآى الكتاب وهدى الرسول — وفيها الهداية والمعتصم

طريق النجاة لمن رامها ... وتنذر بالويل من قد ظلم
وبعد اجتماع نرى فرقة ... يذوب لها القلب مما ألم
وأمتنا جسد واحد ... فإن يشك عضو تداعى الألم
وصرح تماسك بنيانه ... وشد على بعضه فاحتكم
ولكنه اليوم جسم جريح ... ففى كل واد جرى منه دم
واهمل بنيانه فاعتدت ... عليه ايادى الردى فانهدم
وبعد السيادة العوبه ... واضحوكة تعتلى كل فم
ترى كل شىء غلا سعره ... وفيه التنافس إلا القيم
نصحت وأدركت من نصحهم ... يرون النصوح لهم متهم
وقلت لغيرى ألاّ تنصحون ... فأين الشهامة أين الشيم؟
ترامى لسمعى صوت حزين ... وأوقف سيرى وشد القدم
وقال وفى عينه دمعة ... لقد بح صوتى وجف القلم
ايا بلبل الروض لا تيأسن ... وتبقى صريع الأسى والألم
فقد لاح فى الأفق فجر يضىء ... يشع بأنواره فى القمم
فأصغى إلى: أحقا نقول؟ ... وقد كظم الحزن ثم ابتسم
فقلت له خفف الروع قد ... دنا جرحنا للشفاء والتأم
أما تبصر الجمع قد ضمهم ... لقاء بطيبة أرض الحرم
وفى مهبط الوحى حين التقوا ... على الخير والكل منهم عزم
آيا قادة العلم فى أمة ... تحيط بها حالكات الظلم
تداعى عليها الأعادى فكم ... عدو ينادى عدوا هلم
فذا طامع حاسد غيره ... وهذا حقود دعا نقتسم
وهذا الغثاء وقد ساقهم ... إلى الغى سبل الهوى كالغنم
والقى بهم فى بحور الضلال ... تقاذفه اليم يم ليم
وسارت بهم فى عميق البحار ... فعاث بهم موجها والتطم
فخافوا وكل بكى نفسه ... وعضوا جميعا اكف الندم
ألاّ فاذكروا اليوم تفريطكم ... وما كان من زلة للقدم
أيا قادة العلم حُمِّلتمُ ... أمانة علم، فأعلوا الهمم
ففى جمعكم أمل يرتجى ... لأفئدة باللظى تضطرم

تطاعُ فيكم الا حققوا	مناها فكم مسها من سقم
وأدوا الأمانة فى همة	تكونوا منارا لمن بعدكم
فما قام حق وأربابه	يرون المقيم له متهم
إذا باطل قام فى غفلة	من الحق ثم انتشى وانتقم
افاق له الحق فى عزة	فعاد لادراجه وانهزم
فتحيا البلابل فى روضها	وتهتف فيه بشكر النعم

وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ

وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ الأنفال



من تراثنا الشعرى المعاصر

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

للشاعر أحمد محرم

الأسـرة أجْـتَـمـعَـت فى الـدّار واحـدة   حيّـيـت من أسـرة، بوركـت من دار
مشـى بها من رسـول الله خير أب   يدعـو الـبـنـين فلبَّـوا غير أغـمار(١)
تأكـد الـعـهـد مما ضمَّ ألـفـتـهـم   واسـتـحـصـد الحـبـل من شد وإمـرار(٢)
كلّ له من سراة المسلمين أخ   يحمى الذمار، ويرعى حرمة الجار
يطوف منه بحقٍ ليس يمنعه   وليس يعطيه إن أعطى بمقدار
يجود بالدم، والآجال ذاهلة   ويبذل المال فى يسر وإعسار
هم الجماعة، إلاّ أنهم برزوا   فى صورة الفرد، فانظر قدرة البارى
صاح النبىُّ بهم، كونوا سواسية(٣)   يا عصبة الله من صحبٍ وأنصار
هذا هو الدّين، لا ماهاج من فتنٍ   بين القبائل دين الجهل والعار
ردوا الحياة فما أشهى مواردها   دنيا صفت بعد أقذاءٍ وأكدار
الجاهليَّةُ سُمٌ ناقعٌ وأذىً   تشقَى النّفوس بداءٍ منه ضرّار
تأهبوا، إنَّ ديناً قام قائمه   يومى إليكم بآمالٍ وأوطار(٤)
أما ترون رياح الشّرك عاصفةً   تطغى على أممٍ شتّى وأقطار؟
لن أترك النّاس فوضى فى عقائدهم   ولن أسالم منهم كل جبَّار
أكلّما ملك الأقوام مالكهم   رمى الضّعاف بأنيابٍ وأظفار؟
الشّرُّ غطَّى أديم الأرض فارتكست   أقطارها بين آثامٍ وأوزار(٥)
أخفى محاسنها الكبرى، فكيف بكمٍ   إذا تكشّف عن وجهٍ لها عار؟
لأنزلَنَّ ذوى الطغيان منزلةً   تستفرغُ الكبر من هامٍ وأبصار
ظنُّوا الضّعاف عبيداً، بئس ما زعموا   هل يخلقُ الله قوماً غير أحرار؟
ما غرَّهم إذ أطاعوا أمر جاهلهم   بواحدٍ غالب السُّلطان قهّار؟

---

(١) غير أغمار : غير حاقدين .
(٢) استحصد : قوى والإمرار الفتل .
(٣) سـواء .
(٤) الأوطار الحاجات ويومى يشير .
(٥) اديم الأرض وجهها ارتكس الرجل والشىء انتكس .

يرمى العروش إذا استعصت ويبعثها … مبثوثة فى جناحى عاصفٍ ذار[1]

بعثتُ بالحقّ يهدى الجامحين كما … يهدى الحيارى شعاع الكوكب السارى

أدعو إلى الله بالآيات واضحة … تهدى الغوىّ وتنهى كلّ كفار

فمن أبى فدعائى كلُّ ذى شطب … ماضى الرسالة فى الهامات بتار[2]

الله أكبر. هل فى الحق معتبة … لمستخفّ بعهد الله غدّار؟

ألم يكن أخذ الميثاق من قدمٍ … فما المقام على كفر وإنكار؟

إن الألى اتخذوا الأصنام آلهة … على شفا جرف من أمرهم هار

يستكبرون على من لا شريك له … ويسجدون على هون لأحجار

راحوا يجلونها من سوء ما اعتقدوا … والله أولى باجلال وإكبار

لكل قوم إله يؤمنون به … ما يبتغى الله من إيمان فجار؟

النار أعظم سلطاناً ومقدرة … فى رأى عبادها، أم خالق النار؟

سبحانه من إله شأنه جلل … يهدى النّفوس بآيات وآثار

لأكشفنّ عن الأبصار إذ عميت … ما أسدل الجهل من حجب وأستار

ما للسراحين بد من مصارعها … إذا انتضت سطوات الضيغم الضارى[3]

ضموا القوى، إنها دنيا الجهاد بدت … أشراطها، وترآى زندها الوارى

لابدّ من غارة للحقّ باسلة … وجحفل من جنود الله جرّار

خير الذخائر أبقاها، ولن تجدوا … كالعهد يرعاه أخيار لأخيار

لا تنقضوا العهد، إن الله منزله … على لسان رسول منه مختار

قالوا: عليك صلاة لله إنّ بنا … ما الله يعلم من عزم وإصرار

آخيت بين رجال يصدقون إذا … زلّبت قوى كل خداع وختار[4]

جنود ربك، إن قلْت: اعصفوا عصفوا … يرمون فى الحرب إعصاراً باعصار[5]

من كلّ منغمس فى النّفس مرتجس … وكلّ منبجس بالبأس فوّار[6]

---

(١) من ذرت الريح إذا هاجت التراب .

(٢) الشطب الطرائق فى السيف والبتار القاطع .

(٣) السراحين الذئاب والضيغم الضارى الأسد المفترس .

(٤) الختار الغدار .

(٥) الإعصار الريح العاتية تثير السحاب، أو التى يكون فيها برق ورعد .

(٦) ارتجست السماء رعدت، والسحاب صوت. وانبجس الماء ونحوه تفجر، والنقع الغبار يثور من حدة المعركة .

الرأى العام فى : المجتمع الإسلامى

للدكتور إبراهيم زيد الكيلانى
كلية الشريعة - الجامعة الأردنية

الرأى العام فى المجتمع الإسلامى —

الحمد لله رب العالمين وبه أستعين والصلاة والسلام على نبيه الكريم محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بأحسان إلى يوم الدين وبعد :

فقد رأيت أن أكتب في الرأى العام في المجتمع الإسلامى من خلال النقاط التالية :

٢ — تعريف الرأى العام .
٢ — تكوين الرأى العام والمؤثرات فيه .
٣ — وظيفة الرأى العام .

الرأى العام :

تعريفه : وردت تعاريف متعددة للرأى العام منها : « أنه ميول الناس نحو قضية ما ، إذا كان هؤلاء الناس من فئة اجتماعية واحدة »[١] .

ومنها : « أنه الحكم الذى تصل إليه الجماعة في قضية ما ذات اعتبار ما » .

ومن هذين التعريفين يتبين أن الرأى العام هو نتيجة أمور عديدة منها :

١ — أن تكون هناك قضية مطروحة .
٢ — أن تكون مناقشات وافية حول القضية المطروحة .
٣ — أن يكون « الحكم » الذى تصل إليه الجماعة أو « الرأى » متفقا مع :[٢]
أ — عقيدة الأمة .

---

(١) E.S.Bo gardus. the Making of Public opinio - P.5
والإعلام والدعاية نظريات وتجارب . د: محمد عبد القادر حاتم (ص: ١٢٣) .
(٢) المرجع السابق .

ب — ملبياً لحاجاتها محققاً لمصلحتها .

ومن الجدير بالذكر أن الرأى العام الذى ينشده الإسلام في المجتمع الإسلامي هو الرأى العام الصالح المتفق مع عقيدة الأمة وقيمها .

ومن الأهمية بمكان أن نقول إن هذا الرأى العام هو ثمرة ارتباط أفراد المجتمع الإسلامى برباط ثقافي موحد مستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومن شأن أفراده أن يرجعوا إلى حكم الله فيما يعرض لهم من حوادث ، وأن ينطلقوا من القيم الإسلامية مهتدين بهديها ليكون الرأى العام فيها وليد عقيدتهم ، راجعاً إلى هدى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

تكوين الـرأى العام :

يتكون الرأى العام فى المجتمع الإسلامى نتيجة للاطار الثقافى الذى وضع القرآن الكريم حدوده ، وبينته السنة المشرفة ، والمبادىء الإسلامية التالية من شأنها أن تبين معالمه :

١ ـ من مبادىء الإسلام أن يرجع المسلم فى أموره كلها إلى حكم الله قال تعالى : ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾ . (الأحزاب : ٣٦) .

٢ ـ من مبادىء الإسلام ألا يتسرع المسلم بالحكم على شيء قبل معرفة حكم الله فيه قال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم**﴾ . (الحجرات : ١) .

قال الإمام ابن كثير فى تفسير هذه الآية : «أى لا تتسرعوا فى الأشياء بين يديه ، أى قبله بل كونوا تبعاً له فى جميع الأمور، حتى يدخل فى عموم هذا الأدب الشرعى حديث معاذ ـ رضى الله عنه ـ حيث قال له النبى (ﷺ) حين بعثه إلى اليمن : «بم تحكم؟» . قال : بكتاب الله تعالى ، قال (ﷺ) : فإن لم تجد؟ قال : بسنة رسول (ﷺ) ، قال : فإن لم تجد؟ قال ـ رضى الله عنه :ـ أجتهد رأيى ، فضرب فى صدره وقال : «الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله (ﷺ) لما يرضى رسول الله (ﷺ) . » . رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة ـ قال ابن كثير : فالغرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ، ولو قدمه قبل البحث عنها لكان من باب التقديم بين يدى الله ورسوله[1].

---

(١) تفسير ابن كثير : (٤/٢٠٦) . ط دار الفكر .

٣ ـ حدد الإسلام المصدر الوحيد لتلقى الثقافة وهو الكتاب والسنة، ولا يجوز للمسلم أن يشوه فكره بثقافة مغايرة، وعلى أولى الأمر فى المجتمع الإسلامى أن يحموا افراد المجتمع من منابع الفكر الغريب المنحرف، حتى لا تقع الأمة فى مدارس فكرية مختلفة، فيحصل الانقسام، والفرقة، والتفكك، ومن المناسب هنا أن نذكر غضب رسول الله (ﷺ) واستنكاره عندما رأى صحيفة من التوراة بيد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وبين أن موسى عليه السلام لو كان حياً لما وسعه إلا أن يتبع رسالة خاتم الرسل ومكمل الرسالات السابقة برسالته محمد (ﷺ) .

المؤثرات فى تكوين الرأى العام فى المجتمع الإسلامى :

فى ظل هذه المبادىء والأسس التى رسمها الإسلام للمجتمع، نجد أن الإسلام دعا إلى قيام المؤسسات التوجيهية التى تربى أفراد الأمة تربية إيمانية صالحة على عقائد الإسلام وقيمه واتجاهاته ليكون الرأى العام فى المجتمع الإسلامى الثمرة المباركة لهذه المؤسسات وهى :

(١) المسجد :

كانت اقامة المسجد العمل الأول الذى بدأ به رسول الله (ﷺ) فى المدينة المنورة .

رسالة المسجد فى الإسلام :

وليس المسجد فى الإسلام مكاناً للعبادة فحسب، أنه مدرسة توجيه وارشاد يلتقى فيه افراد الحى كل يوم خمس مرات فيستمعون كتاباً واحداً هو القرآن الكريم ويتلقون توجيهاً واحداً من هدايته، ويستشعرون رابطة الوحدة والأخوة التى تجمعهم وهم صفوف مستوية متراصة تقتدى بإمام واحد .

(٢) العلماء :

وفى المسجد تلقى دروس العلم، ويلتقى ابناء الحى يتلقون ثقافة واحدة من هدى الكتاب والسنة وشروح العلماء .

وفى المسجد يلتقى ابناء الحى وتدور بينهم المناقشات حول قضاياهم الاجتماعية والاقتصادية التى من شأنها أن توحد رأيهم وتجمعهم على طريق سواء .

وللعلماء والعاملين الذين يتصفون بغزارة العلم، والزهد، والصدق والاخلاص والجرأة فى قول الحق دور كبير فى تكوين الرأى العام وتوجيهه نحو الخير .

فالعالم العامل حين يكون قدوة حسنه بعلمه ونزاهته وزهده وجرأته وصدقه واخلاصه جدير به أن يؤثر بالجماهير ويقودها، ولقد حفل تاريخنا الإسلامى بالأمثلة العديدة لهذه القيادة التى قاد بها العلماء الرأى العام لمواجهة بدع المعتزلة فى خلق القرآن وتأثير الفلسفة اليونانية فى الفكر الإسلامى وضرب هذا الاتجاه الفلسفى ضربة قاصمة بعلمه وصبره وجهاده وثقة الناس به الإمام أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ والشيخ العز بن عبد السلام ـ رضى الله عنه ـ قاد الرأى العام فى المجتمع الإسلامى لمواجهة الحاكم الذى تعاون مع الصليبيين ضد المسلمين، ولمواجهة الانحراف فى المجتمع والفساد الذى كان وراءه بعض الافراد .

والإمام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ وتلميذه ابن القيم قاد الرأى العام وأذكى شعلته لمواجهة التتار من جهة . ولمحاربة البدع والافكار الدخيلة فى المجتمع من جهة أخرى، وكان جهاده فى ميدان الفكر كجهاده فى ميدان المعركة يعطى الصورة الكريمة للعالم المسلم القادر على قيادة الجماهير بعلمه وموقفه، بقلمه وجهاده، حتى لا ينفصل العلم عن الموقف، ولأن الناس لا ينظرون إلى العلماء بالقابهم ووظائفهم ورتبهم فحسب، وإنما ينظرون إليهم بسيرتهم وحسن اقتدائهم برسول الله (ﷺ) جهاداً ودعوة .

(٣) فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

والعلماء فى المجتمع الإسلامى هم المسؤلون بالدرجة الأولى عن القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وللقيام بهذه الفريضة آثارها الكبيرة فى ايجاد الرأى العام الصالح فى المجتمع الإسلامى، ولهذا كانت الآيات الكثيرة فى القرآن الكريم مبينة هذه الفريضة داعية الأمة إلى القيام بها . ومنها :

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ . (آل عمران : ١٠٤) .

ومن صفات المؤمنين الصالحين أنهم : يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

﴿يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة﴾ . (التوبة : ٧١) .

ـ وهناك مؤثرات أخرى فى تكوين الرأى العام، عمل الإسلام على توجيهها وربطها بقواعده ومبادئه وهى :

(أ) البيت : وقد أشار القرآن الكريم إلى الذرية الصالحة التى تتبع الوالدين على

طريق الإيمان ﴿**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم**﴾ . (الطور: ٢١)، وأشار إلى خطر انفصال الولد عن أبيه والأسرة عن بعضها إذا انحلت عرى الإيمان فقال: ﴿**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم**﴾ . (المجادلة: ٢٢) .

وفى الحديث الشريف : «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه[1]» «وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» .

(ب) المدرسة : وهى بيوت العلم التى حرص الإسلام على أدائها لرسالتها مهتدية بقواعد الإسلام ومبادئه فى المنهج، والكتاب، والعلم، وحذر أشد التحذير من انحرافها عن الكتاب والسنة، ووجه لأن تكون العلوم المختلفة خادمة العقيدة والإيمان بالله ووحدانيته، حتى لا يتناقض ما يقرأه الطالب فى درس التربية الإسلامية عما يقرأه فى المباحث الأخرى، ولتكون الثقافة الواحدة التى يتربى عليها أفراد المجتمع فى المدارس ثقافة واحدة، توحد الفكر ولا تمزقه، وتساعد على ايجاد رأى عام واحد صالح يخدم أهداف الإسلام ويرعى مبادئه .

لقد أثمرت الثقافة الإسلامية الواحدة التى تلقتها الأمة فى المسجد والمدرسة وحدة فى الاتجاه العام والرأى العام جعل أبناءها فى العصور السالفة على اختلاف تخصصاتهم العلمية فى الحديث، والتفسير، والفقه واللغة، والفلك والكيمياء والفيزياء والطب والهندسة أبناء ثقافة واحدة، تسلك طريقهم، وتوحد خطاهم فى المجتمع، وتصنع وحدتهم وتقيم أواصر التعاون فيما بينهم. وحين وقع الانفصال بين الجامع والجامعة، وبين المدرسة والمسجد، وبين مصادر التوجيه، والدين، وأخذت تتسرب للأمة الثقافات المتعددة نتيجة الغزو الفكرى الاجنبى، وسيطرة المستشرقين وتلاميذهم على معظم الجامعات فى البلاد الإسلامية. . . وأنتقل هذا التأثير المنحرف إلى المناهج والكتب المدرسية فى مراحل الدراسة الابتدائية والاعدادية والثانوية فى بلاد المسلمين، حين حصل هذا وقع الانفصال بين ثقافة الأمة وشخصيتها الحضارية المستمدة من دينها وتاريخها وأصولها. وأصبح الرأى العام يتأثر تأثراً كبيراً بقيم جديدة وثقافات غريبة أوجدتها مراكز التوجيه المنحرفة. وأصبحت مهمة العلماء صعبة شاقة، ورسالتهم كبيرة ضخمة لايجاد التغيير فى المجتمع، والعودة إلى قيادة الأمة والرأى العام فيها من جديد .

---

(١) متفق عليـــــه .

بالاضافة إلى المؤثرات الإقتصادية والاجتماعية الأخرى التى شغلت الناس بالمادة عن الله وعبادته .

٤ ـ من مبادىء الإسلام أن يرجع المسلم إلى العلماء المشهود لهم بالصدق والنزاهة للتعرف على أحكام الله ، ومتابعتهم قال تعالى : ﴿**فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ .

﴿**ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم**﴾ . (النساء : ٨٣) .

٥ ـ من مبادىء الإسلام أن الذى يصيب مسلما بسوء يصيب المجتمع كله ، ومن هنا حرم الإسلام الاشاعات الباطلة ونزلت الآيات فى حديث الافك تربية للأمة وتطهيراً للرأى العام فيها وصيانة له من الانحراف والجرأة على الباطل بدون بينة[1].

٦ ـ من مبادىء الإسلام فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والآيات كثيرة تدل على وجوبها .

وسائل الإعلام والتوجيه المختلفة :

لوسائل الاعلام من إذاعة وتلفزيون وصحافة أثرها فى ايجاد الرأى العام ، فالرأى العام هو أساس الإعلام . . . فهدف الإعلام الأول ايجاد الرأى العام أو توجيهه نحو قضية ما أو وجهة نظر مطلوبة وتأثير الإعلام فى الرأى العام راجع إلى اتصاله المباشر بالجماهير على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم الثقافية .

ورجل الإعلام الناجح هو الذى يعرف نفسية الجماهير ورغباتهم ويحاول توجيهها لصالح فكرته ومؤسسته .

ودخول وسائل الإعلام كل بيت بغير استئذان ، وعرضها للفكرة بوسائل الاقناع المختلفة فى أوقات النهار المختلفة يجعل لها التأثير البالغ على عقول الجماهير وايجاد الرأى العام فى الأمة .

ومن هنا كانت خطورة أجهزة الإعلام وأهميتها البالغة ايجاباً أو سلباً ، ومن هنا كان على العلماء فى البلاد الإسلامية واجب كبير فى توجيه هذه الأجهزة والسيطرة عليها حتى تكون معبرة عن عقيدة الأمة وحضارتها ، داعية إليها بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهذا يقتضى أن تكون لهذه الأجهزة رسالة وفلسفة واضحة تلتقى مع رسالة أجهزة التوجيه

---

(١) نزلت «١٨» آية فى سورة النور فى هذا الموضوع .

الأخـرى فى المجتمـع وهى : **المسجـد والمـدرسة والصحافة والكتاب**، حتى لا تتناقض هذه الأجهزة ولا يهدم جهاز ما يبنيه الآخر، ولا تحدث الصراع والتمزق فى نفوس أبناء الأمة . كما يقتضى حسن اختيـار العـاملين فى هذه الأجهـزة كفـاءة وديـناً وخلقـاً ليكون رجال الإعلام القدوة الحسنة لما يدعون إليه الناس بسيرتهم وخلقهم، ولتكون دعوتهم مؤثرة فاعلة فى الجماهير .

إن انفصال رجل الإعلام عن قيم الإسلام وأخلاقه بسيرته وسلوكه جريمة كبرى فى أى بلد إسـلامى تجعـل من اللص «محـافظـاً على بيت المال» . «والمجرم» مسؤولاً عن حفظ الأمن . !!

كما تقيم الهـوة السحيقـة بين أجهـزة الإعلام وثقة الناس بها . ومن هنا كان من أعظم الواجبات التى يجاهد لتحقيقها العلماء انقاذ أجهزة الإعلام من التوجيه الفاسد المنحرف فى البلاد الإسلامية. والقيام بمسؤولياتهم فى توجيه الأمة من خلالها بلغة العصر وأسلوبه وكفاءته .

(٣) وظيفة الرأى العـــام :

للرأى العام فى المجتمع الإسلامى وظائف عديدة من أهمهـا :

١ ـ **رعاية تطبيق الاحكام الشرعية** .

٢ ـ **حراسـة المبـادىء الإسلامية** وصيانتها ومساندة هيئات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى هذا المجال

٣ ـ **حسن استنبـاط الأحكـام الشرعية** من أدلتها فى الكتاب والسنة عن طريق اعطاء الثقة بأهل الحل والعقد من العلماء والعاملين .

٤ ـ **رفع الروح المعنوية للأمة** وتقوية أواصرها وتعاونها .

٥ ـ **استثارة مشاعر الأمة** للقيام بواجب معين .

١ ـ رعاية تطبيق الأحكام الشرعية :

الأمة الإسلامية مخاطبة جميعها بتطبيق الأحكام الشرعية، والخطاب فى القرآن فى هذا المجال يتناول أفراد الأمة جميعاً . فقوله تعالى فى سورة النور مثلاً : ﴿**الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**﴾ . موجه لكل فرد فى الأمة . ونظراً لأن الأفراد لا يستطيعون القيام بهذه المسـؤولـيـة متجمعـين فلابـد أن يختاروا من يقوم عنهم بهذه المهمة وهو الحاكم أو الإمام فالحاكم فى الدولة الإسلامية وكيل الأمة فى اقامة أحكام الله المطلوبة منهم جميعاً .

ومن هنـا كان للرأى العـام سلطـانه فى دعوة الحكومة لتطبيق أحكام الله تعالى والتقيد بها وعدم الخروج عنها إلى قوانين وضعية أو مشاريع مستوردة .

يقول الإمام النسفى فى تفسير قوله تعالى : ﴿**الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**﴾ . والخطـاب للأئمـة لأن اقـامـة الحـد من الدين ، وهى على الكل إلا أنهم لا يمكنهم الاجتماع فينوب الإمام منابهم[1] .

٢ ـ حراسة المبادىء الإسلامية وصيانة قيمتها فى المجتمع :

ومن هذا المبدأ كانت مسؤولية الأمة عامة عن حراسة مبادىء الشريعة وقيمتها ، وكان الرأى العام فى المجتمع الإسلامى ذا سلطان قوى فى حراسة هذه المبادىء ورعاية هذه القيم وصيانتها .

وقد وجه القرآن الكريم الأمة الإسلامية ودعاها مجتمعة متعاونة لترفع صوتها فى الأمر بالمعـروف والنهى عن المنكـر ومساندة العلماء الذين يقومون بهذه المسؤولية . والأمر بالمعروف يعنى الأمـر بما قرره الكتـاب والسنـة من مبـادىء وقيم وأحكام للمجتمع ، والنهى عن المنكر يعنى النهى عما نهى عنه الكتاب والسنة من معاصى تعتبر خروجاً عن المبادىء الإسلامية وقيمها .

ومن المنـاسب ايـراد النصـوص التالية من الكتاب والسنة التى تصور حرص الإسلام على مساندة تعاليمه وأحكامه بسلطان الرأى العام المسلم :

(١) قال الله تعـالى : ﴿**ولتكن منكم أمـة يدعـون إلى الخـير ويأمـرون بالمعـروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ . (آل عمران : ١٠٤) .

(٢) عن النعمان بن بشـير ـ رضى الله عنهـما ـ عن النبى ﷺ : «مثـل القائم فى حدود الله ، والـواقـع فيهـا كمثـل قوم استهمـوا على سفينـة ، فصـار بعضهم أعـلاها ، وبعضهم أسفلهـا ، فكـان الـذين فى أسفلهـا إذا استقـوا من المـاء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنـا فى نصيبنـا خرقـا ، ولم نؤذ من فوقنـا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»[2] .

فالرأى العام مدعو هنا للتوجيه واصلاح الخطأ وانقاذ نفسه مع انقاذ المرتكبين للخطأ ،

---

(١) تفسير النسفى : (٣٢٣/٣) .

(٢) رواه البخارى والترمذى : الترغيب والترهيب (٤/٤ـ٥) .

إن الحديث الشريف يحذر الجماعة من شعور «اللامبالاة» وعدم الأهتمام بقضايا الجماعة العامة بحجة أن الذين يرتكبون الفساد قوم غيرهم .

(٣) والمسلم .. مدعو للجهاد والتضحية فى سبيل نصرة أحكام الشريعة إذا انتهك حرمتها حاكم ظالم. عن جابر - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه، فقتله»(١) .

إن الجمع بين حمزة بن عبد المطلب - رضى الله عنه - الذى أبلى بلاء حسناً فى قتال المشركين والتنكيل بهم حتى قضى شهيداً فى غزوة أحد، وبين من جهر بكلمة الحق فى وجه إمام ظالم، يصلنا بطبيعة المعركة التى خاضها حمزة - رضى الله عنه - فى وجه الجاهلية وظلمها، ويخوضها إخوان حمزة فى طريق العمل لاستئناف الدولة الإسلامية، أوفى مواجهة محاولات الظالمين لابعاد أحكام الشريعة عن التطبيق بالتدريج وبالوسائل المختلفة. إن ظهور أمثال هؤلاء الرجال فى ساحات المجتمع الإسلامى ومواجهة أعداء الشريعة من شأنه الهاب مشاعر الجماهير المسلمة واضاءة الطريق أمام الرأى العام ليقول كلمته ويتحمل مسؤ وليته .

(٤) ان دعوة الرأى العام فى المجتمع المسلم ليقف فى وجه الانحراف والفساد ومحاولات الخداع والتمويه تظهر صريحة فى حديث النبى الكريم: عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهومؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهومؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهومؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» .(٢)

(٥) ويحذر الإسلام افراد المجتمع المسلم من الجبن فى نصرة الحق والوقوع فى ذلة الجبن والخور أمام رأى الأكثرية الفاسدة .

عن ابى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُحَقِّرَن أحدكم نفسه، قالوا: يارسول الله وكيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: يرى أن عليه مقالاً، ثم لا

---

(١) رواه الترمذى والحاكم : وقال صحيح الاسناد/ الترغيب (٤/ ص٤) .

(٢) رواه مسلم : الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى (٤/٥) .

يقـول فيـه ، فيقـول الله عز وجـل يوم القيامة : ما منعك أن تقول فى كذا وكذا؟ فيقول خشية الناس : فيقول فأياى كنت أحق أن تخشى» . [1]

(٦) ويحـذر الله الجماعة المسلمة أن يفلت من يدها زمام الأمر فتغلب المعاصى وتنتشر الفاحشة فيستحقوا عذاب الله . وقد سألت عائشة ـ رضى الله عنها ـ رسول الله ﷺ : «أنهلك وفينا الصالحين؟ قال : نعم إذا كثر الخبث» . [2]

وعن جرير بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما من رجـل يكـون فى قوم يعمـل فيهم بالمعـاصى يقـدرون على أن يغيروا عليه ، ولا يغيرون إلا اصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا» . [3]

وعن ابى بكـر الصـديق ـ رضى الله عنـه ـ قال : يا أيهـا النـاس انكم تقـرؤون هذه الآية : ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** . . . ﴾ (المائدة : ١٦٠﴾ وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب عن عنده» . [4]

الرأى العام ودوره فى مقاطعة مجالس المنكرات :

ومن خير ما تتجلى به حراسـة الـرأى العـام فى المجتمـع الإسـلامى لمبادىء الشريعة وقيمها الحكم الشرعى الذى يأمر الجماعة المسلمة وكل فرد مسلم بمقاطعة مجالس المنكرات ، والأماكن التى يعصى فيها الله ، والمحافل التى يستهزأ فيها بدين الله ، قال تعالى :

﴿**وقـد نزل عليكم فى الكتـاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفـر بها ويستهـزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعـاً**﴾ . (النسـاء : ١٤٠) إن المسلم مدعـو إذا لم يستطـع أن يغـير المنكـر بيـده ولسـانـه ، أن يغـيره بقلبـه والتغيير بالقلب ليس حركة انفعالية نفسيه ولا تظهر أثراً ايجابياً فى إزالة المنكر ، بل هى حركة انفعالية نفسية عملية تساعد على التغيير بالانسحاب من مجلس يعصى فيه الله ، وهذا ما عبر عنه النبى ﷺ فى حديث له : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الإيمان» .

إن كلمة : «فبلسانه» و «فبقلبه» متعلقتان بالفعل فليغيره ، والتقدير : فليلغيره بيده ،

---

(١) رواه ابن ماجه : ورواته ثقات ـ المرجع السابق (٦) .

(٢) رواه البخارى : عن زينب بنت جحش ـ رضى الله عنها ـ المرجع السابق (٦/) .

(٣) رواه ابو داود : المرجع السابق (٨/) .

(٤) رواه ابو داود والترمذى .

أو فليغيره بلسانه أو فليغيره بقلبه . . . ولا يكون بالقلب تغيير إلا بحركة هى اضعف الحركات واقلها بعد اليد واللسان هى حركة الانسحاب من مجالس المنكرات ومقاطعتها

الرأى العام ودوره فى مقاطعة من عصى :

والرأى العام فى الإسلام حين يخاصم ويقاطع هدفه الإصلاح والعلاج ، لا التشهير والهدم ، وهذا ما يميزه عن المجتمعات المادية ، فالثلاثة الذين خلفوا عن الجهاد بغير عذر وأمر الرسول ﷺ الأمة بمقاطعتهم واستعمل رسول الله ﷺ سلاح الرأى العام هذا وسيلة صالحة لابراز أثر التخلف عن الجهاد على الأمة ، وقيام الأمة جميعها بواجب المقاطعة ، حتى أقارب المقاطع وزوجه يقاطعونه .

حتى إذا حققت المقاطعة ثمرتها التربوية للمتخلفين خاصة ، وللأمة عامة نزل الحكم من السماء بإنهاء المقاطعة والتوبة على الذين تخلفوا وتابوا وأنابوا .

قال تعالى : ﴿**لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم أنه بهم رؤوف رحيم ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم**﴾ . (التوبة : ١١٧ـ١١٨)[١] .

إن سلاح المقاطعة يمثل قمة التربية الإيمانية للشخصية المسلمة حين تحب فى الله ، وتبغض فى الله ، وتصل فى الله ، وتقطع فى الله ، وتحارب فى الله وتسالم فى الله .

وإن العقيدة التى توحد رأى أبنائها فى اصدار حكم على شخص بمقاطعته لانه تخلف عن الجهاد ، أوجاهر بمعصية لتمثل لنا اسلوباً من أساليب الدعوة الإسلامية فى تربية الجماعة واصلاحها ، والدارس للتاريخ الإسلامى يجد تطبيقاً كريماً لهذه المبادىء فى محيط الأسرة ، أو محيط الجماعة حين يخرج أحدهم عن الجادة ، ويجاهر بمعصية الله فيهجر فى الله ، وتعطى الأمة برأيها فيه بالمقاطعة العلنية .

وقد ظهر هذا الأسلوب فى مرحلة الدعوة الأولى فى مكة قبل الهجرة حين أمر رسولُ الله ﷺ بان يهجر المجالس التى لا توقر فيها آيات الله وشرائعه فقال تعالى : ﴿**وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره**﴾ . (الأنعام : ٦٨) .

(١) انظر قصتهم فى صحيح البخارى كتاب المغازى وفى الطبرى (١١/٥٨) .

قال القرطبى فى تفسير هذه الآية : «من خاض فى آيات الله تركت مجالسته وهجر مؤمناً كان أو كافراً . . . وقد قال بعض أهل البدع لأبى عمران النخعى : اسمع منى كلمة فأعرض عنه وقال : «ولا نصف كلمة» [1] وروى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : «من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام»[2] .

٣ ـ حسن استنباط الاحكام الشرعيه من ادلتها، واعطاء الرأى فى قضايا الأمة المهمة :

المقصود بهذا العنوان اظهار الاهمية التى يعطيها الإسلام للرأى العام من خلال بيان الرابطة بين جمهور الأمة وأهل الحل والعقد فيها ، وبيان صلاحيات أهل الحل والعقد ، ودورهم فى بيان احكام الشريعة باعتبارهم ممثلين شرعيين لجمهور الأمة ، ومعبرين عن رأيها العام فى أمور الشريعة ، وهذا يقتضى التعريف بأهل الحل والعقد وأهم اعمالهم .

أهل الحل والعقد كما يسميهم جمهور العلماء ، أو أهل الاختيار كما يسميهم الماوردى وغيره [3] أو أهل الاجتهاد كما يسميهم البغدادى [4] هم جماعة معينة من فضلاء الأمة يوكل إليهم النظر فى مصالحها الدينيه والدنيوية ومنها اختيار رئيس الدولة ، فهم المسؤولون عن تصفح احوال الذين يمكن صلوحهم لتولى هذا المنصب الخطير ، والاجتهاد فى ذلك ، وهذه الجماعة لا تقوم باختيار الإمام إلا نيابة عن الأمة جميعاً ، فهم بمباشرتهم هذا الاختيار لا يمثلون أنفسهم ، بل يمثلون الأمة كلها ، ولهذا فإنه عند مبايعة أهل الحل والعقد للإمام تجب مبايعته والانقياد له على سائر افراد الأمة [5] .

وقد بين العلماء أن أهل الحل والعقد هم : «العلماء والرؤساء ، ووجوه الناس الذين يتيسر اجتماعهم»[6] ويرى الشيخ محمد رشيد رضا أن أهل الحل والعقد هم المقصودون بأولى الأمر فى قوله تعالى : **﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾** . (النساء : ٨٣) . وقوله تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾** . (النساء : ٥٩) . وليس المراد بأولى الأمر فى الآيتين الأمراء والسلاطين كما يرى بعض العلماء بدليل أن الآية الأولى

---

(١) تفسير القرطبى : (١٣/٧/) .

(٢) المرجع السابق ، وانظر تفسير المنار (ج ٥٠٦/٧) والتحرير والتنوير (ج٢٨٨/٧) للشيخ محمد بن عاشور .

(٣) الأحكام السلطانيه للماوردى (ص٦) والأحكام السلطانيه لابى يعلى .

(٤، ٥) رياسة الدولة فى الفقه الإسلامى . د: محمد رأفت عثمان (/٢٥٦-٢٥٧) ط دار الكتاب الجامعى ـ القاهرة

(٦) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لشمس الدين محمد بن ابى العباس الرملى (٣٩٩٠/٧) .

نزلت فى أولى الأمر الذين كانوا على عهد الرسول ﷺ، ولم يكن هناك امراء ولا سلاطين، قال: «وما كان هناك إلا أهل الرأى من كبار الصحابة ـ عليهم الرضوان ـ الذين يعرفون وجوه المصلحة مع فهم القرآن. . . » وهكذا يجب أن يكون فى الأمة رجال أهل بصيرة ورأى فى سياستها، ومصالحها الاجتماعية، وقدرة على الاستنباط، يرد إليهم أمر الأمن والخوف وسائر الأمور الاجتماعية والسياسية وهؤلاء الذين يسمون فى عرف الإسلام أهل الشورى وأهل الحل والعقد. . . [1].

فيفهم من هذا القول ومما ذكره الفقهاء أن أهل الحل والعقد هم المتبوعون فى الأمة الحائزون على ثقتها ورضاها لما عرفوا به من التقوى والعدالة [2].

أما علاقة أهل العقد والحل فى الأمة فهى علاقة النائب والوكيل [3] أما كيف ينالون هذه المنزلة فإن الأمة هى التى ترفعهم إلى هذه المنزلة باختيارها لهم صراحة أوضمنا، وأن السوابق التاريخيه تبين لنا وكالة أهل الحل والعقد عن الأمة فى عصر الإسلام الأول ـ عصر الخلفاء الراشدين ـ كانت وكالة ضمنية لأنهم كانوا معروفين بتقواهم واخلاصهم وكفاءتهم وعلمهم شهد لهم القرآن الكريم والنبى صلوات الله وسلامه عليه بالثناء العام والخاص عليهم، فما كان هناك من حاجة لقيام الأمة بانتخابهم وتوكيلهم عنها صراحة .

ومن المقاييس المهمة فى معرفة نيل هذا العالم أوذاك لثقة الجماهير رجوعُها إليه فى الفتوى، وحضورها دروسه، وترددها على مجالسه، وأخذها برأيه، فى أمور حياتهم المختلفة .

ومع ذلك فإننا إذا أخذنا فى الوقت الحاضر بنظام الانتخاب المباشر لأهل الحل والعقد ضمن شروط يقرها الإسلام، منها أنه يجب أن تتوافر فيمن يرشح نفسه للانتخاب :

(أ) العدالة الجامعة لشروطها .

(ب) العلـــم .

(ج) الرأى والحكمة والخبرة [4] .

وإن مثل هذا الانتخاب على هذا النحو المذكور جدير بأن يترجم ارادة الأمة صراحة وتوكيلها لهؤلاء، وهو المناسب لعصرنا لأن اجازة التوكيل الضمنى فى هذا الزمن قد يفتح

---

(١) تفسير المنار: للشيخ السيد محمد رشيد رضا (١١/٧) .
(٢) أصول الدعوة للدكتور: عبد الكريم زيدان (/١٩٩) وتفسير المنار (١٨١/٥) .
(٣) المرجع السابق (/١٩٩) .
(٤) الأحكام السلطانية للماوردى (/٦)، وأصول الدعوة لعبد الكريم زيدان (/٢٠٠) .

باب شر خطير ويؤذن بالفوضى التى تضعها المزاعم الكاذبة والدعاوى الفارغة [1] .

الفرق بين سيادة الرأى العام فى الإسلام والنظم الديمقراطية :

(أ) ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن الأمة حين تبدى رأيها عن طريق ممثليها فى قضية من القضايا فلرأيها السيادة ولحكمها النفاذ فى النظم الديمقراطية الغربية ، أما فى الإسلام فإن أهل الحل والعقد لا ينفذ رأيهم إلا فى الأمور التى لم ينص عليها الشرع . . . فإذا جاء الله بحكم فليس لجماعة من الأمة أن تعارضه وليس للأمة بمجموعها ان تبطله .

ومن هنا كانت المسائل الفقهية الخاضعة لرأى الجماعة مقيدة بأمرين :

١ ـ ألا يكون قد نزل فيها نص صريح .

٢ ـ أن يرجع أهل الحل والعقد فى بيان الرأى فيها إلى أصول الشريعة ومقاصدها العامة .

(ب) أن القانون أو الحكم حين تصدره الدولة نابعاً من عقيدة الأمة ودستورها ، تجد اقتناع الرأى العام به قوياً صادقاً ، وتنفيذه سهلاً ميسوراً ، بينما نجد حرمان القوانين الوضعية من هذه الميزة . وخير مثال يوضح هذه الفكرة المقارنة بين تحريم الخمر فى الإسلام الذى تهيأ الرأى العام لقبوله وبين تحريمه فى امريكا . . . فنجح فى المجتمع الإسلامى ولم ينجح هناك .

٤ ـ رفع الروح المعنوية للأمة وتقوية أواصرها وتعاونها :

من أهم وظائف الرأى العام فى المجتمع الإسلامى رفع الروح المعنوية عند الجماهير التى تكونه ، لأن وحدة الجماعة المسلمة على رأى واحد من شأنه أن يبرز قوة هذه الجماعة وتعاونها ، ويعطيها الزاد والقوة على تحقيق أهدافها مهما بلغت التكاليف .

لقد وضع القرآن الكريم القاعدة المباركة لوحدة الجماعة المسلمة على الهدف الكريم بقوله : ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**﴾ . (المائدة : ٢) . وبقوله : ﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص**﴾ . (الصف : ٢) . وبقوله ﷺ : «ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر» [2] .

---

(١) المرجع السابق (/٢٠١) .

(٢) رواه البخارى .

وتظهر أثر هذه التربية الإيمانية للجماعة المسلمة فى وحدتها وتآلفها، فى وقوفها فى وجه المحن والشدائد صفاً واحداً، ومن ابرز الامثلة على ذلك فى تاريخ الإسلام خروج المسلمين، فى اليوم التالى لغزوة أحد، للثأر من عدوهم، ومسح آثار مصيبتهم، وهذا ما عبر عنه القرآن بقوله: ﴿**الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين أحسنوا منهم وأتقوا أجر عظيم**﴾ (آل عمران: ١٧٢).

لقد حرص الإسلام على دعم أهدافه بسلطة الرأى العام، وايجاد روح التعاون بين أبناء الأمة الإسلامية، والتقارب بين فئات الشعب، لتتوحد اتجاهاتها، وتسيطر على مبدأ أساسى فى حياة الأمة، وهو الاتفاق على الاهداف، وهذا الاتفاق يؤدى حتما إلى نجاح الأمة فى بلوغ غايتها وتحقيق أمانيها.

إن الأذان الذى يتردد كل يوم خمس مرات، عالياً مدوياً معبراً عن أهداف الإسلام الكبيرة، وإن الصلوات التى تقام كل يوم خمس مرات جامعة للأمة موحدة لرأيها، وان الجُمَع، والجماعات، وفريضة الحج التى من شأنها أن يظهر وحدة الأمة على أهدافها، وان القرآن الذى يتلى فى كل صلاة جامعا للأمة على اهدافه وغاياته، ان هذا كله جدير بأن يحقق فى المجتمع الإسلامى وحدة الاهداف ووحدة الرأى العام على هذه الأهداف، ويرفع معنويات الأمة لأداء دورها الكبير ورسالتها العظيمة فى الحياة، ولنتأمل فى روح العزة التى يصنعها الإسلام بالإيمان والعمل الصالح ﴿**من كان يريد العزة فللهّ العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾.

﴿**كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾.

وإلى رفع هذه الروح المعنوية فى ضمير الأمة بالتقائها على أهدافها ووحدة رأيها يشير النبى ﷺ بقوله:

«يد الله على الجماعة ومن شذ شذ فى النار».

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (١).

إن البنيان الذى يشد بعضه بعضا يصور لنا الروح المعنوية العالية التى يعطيها وحدة الرأى العام لافراد الأمة كما يصور لنا معانى التعاون على أهداف الإسلام الكريمة فى

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى.

الحياة، وان الجماعة التى تباركها يد الله وترعاها وتنصرها جديرة بأن تتغلب على أسباب الضعف وتحقق أسباب قوتها ونموها وازدهارها .

استثارة مشاعر الأمة للقيام بواجب معين :

فى كل مسجد جامع منبر وظيفته مخاطبة الرأى العام كل أسبوع يدعوه إلى واجب أو يحذره من أمر، أو يبصره بقضية لها أهميتها فى حياته .

لقد سن رسول الله ﷺ للأمة كيف تكون يدا واحدة فى مواجهة الاحداث، يأخذ قويها بيد ضعيفها، وغنيها بيد فقيرها، وأنه من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

والدارسون لسيرة رسول الله ﷺ وسير الخلفاء الراشدين والتابعين لهم باحسان، يجد أن النبى الكريم كان يدعو المسلمين إلى المسجد عند كل حدث مهم يخبرهم به، أو واجب يدعوهم إليه، حين يوجه الحملات للجهاد، فيدعو إلى البذل والنفقة، كما يدعو إلى المشاركة بالجهاد .

وحين يرى طائفة من المسلمين تعانى ضائقة مالية فيدعو المسلمين إلى مساعدتهم وكذلك كان الصحابة - رضوان الله عليهم - فأبو بكر - رضى الله عنه - يوجه الجيوش لفتوح الشام والعراق، وكلما دعا الداعى لامداد جيش وجه النداء للأمة وندبها إلى الخروج مع هذا القائد أو تلك الحملة .

وفى تهيئة الأمة لقبول حكم معين كان الخليفة يوم الجمعة يعلن فى الناس ويمهد لقراره ويقنع الجماهير به، ففى مسألة تحديد المهور استشار عمر الناس فى المسجد فردت عليه امرأة رأيه بالآية الكريمة: ﴿**وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً**﴾ . فأعلن رجوعه عن رأيه وقال: «اللهم، غفرا كل الناس افقه من عمر، أخطأ عمر واصابت امرأة» (١) .

وفى الصورة المقابلة نجد خطبة الجمعة التى من شأنها أن تعالج قضايا الأمة يعرضها أولو الأمر من العلماء والحكام لتقوم بتهيئة الرأى العام لقبول القرار الذى ستتخذه الدولة أو رفضه بمناقشته وبيان مدى تحقيقه لأهداف الشريعة ومقاصدها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) حقوق النساء فى الإسلام للشيخ محمد رشيد رضا (ص١٣) .

دور الإعلام في :
التضامن الإسلامي

الدكتور إبراهيم إمام
أستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فإن التضامن الإسلامي هو المبادرة النابعة من أصول العقيدة الإسلامية، لإرساء قواعد الحياة على أسس متينة في عالم تتنازعه المطامع، وتشن فيه المبادىء الملحدة حرباً شرسة ضد التراث الحضاري الإسلامي بقيمه النبيلة، ولقد كان التضامن هو السر فيما حققت الأمة الإسلامية من مجد وسؤدد، يوم كانت متمسكة بدينها حق التمسك، آخذة بتعاليمه حق الأخذ .

وتكمن إحدى معجزات الإسلام الكبرى في قوة التضامن، عندما وحد بين قلوب القبائل المتنافرة، ثم بين الأقطار والشعوب المتباينة، وأصبح التضامن من أهم سمات الحياة الإسلامية وليست رابطة الأرض أو مكان الإقامة أو الولادة كما هو الحال في الفكر الغربي، لأن مفهوم الأمة في الإسلام يقوم على الاشتراك في وجهة عامة، فقد أشار القرآن الكريم إلى المسلمين على أنهم أمة واحدة، فلم يفرق بين شعب وشعب، ولم يخص بلداً أو قبيلة أو فئة بالأمر بالوحدة، بل كان خطابه عاماً شاملاً يضم كل من آمن بالرسالة المحمدية وتبع هديها وطريقها. قال تعالى : ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾[1] وقال تعالى : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾[2] وقال تعالى : ﴿**إنما المؤمنون أخوة**﴾[3] وقال عز من قائل : ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا**﴾[4] .

---

(١) الأنبياء : ٩٢ .

(٢) آل عمران : ١١٠ .

(٣) الحجرات : ١٠ .

(٤) آل عمران : ١٠٣ .

ويشير القرآن الكريم إلى إعجاز الوحدة الإسلامية وعظمة ما تعنيه فى مدلولها فيقول تعالى : ﴿**هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت مافى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم**﴾[1] .

فالأمر الآلهى بالتضامن فرض جوهرى فى صلب العقيدة الإسلامية ، والأخوة هى إحدى النعم الكبرى التى منّ الله بها على عباده المسلمين ، وقد برأ الله تعالى رسوله الكريم من العاملين على تفرقة كلمة المسلمين وهدم وحدتهم ، فيقول جل جلاله : ﴿**إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء**﴾[2] .

ويؤكد الرسول الكريم ﷺ أهمية الأخوة الإسلامية والتضامن بين المسلمين ، ولا يدع فرصة مواتية إلا وعبر عن أهميتها فيقول ﷺ : (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا إشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) .

وقال ﷺ : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وقال أيضا : (من خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها فليس منى ولست منه) .

لقد كان الرسول الكريم ﷺ يحث على الإخاء الإسلامى على مستوى الأفراد والجماعات فأوصى بالمودة بين أفراد الأسرة الواحدة وبين الاخوان والجيران ، وهكذا تلتئم خلايا المجتمع التئاماً متدرجاً حتى يتم بناء الأمة الإسلامية بأسرها على أسس من المحبة والود والإخاء والتضامن .

الإعلام سلاح فى يد الأعداء

فالتضامن الإسلامى فرض من فروض الإسلام على الأمة أن تنهض به ، وهو ليس مجرد عمل سياسى أو شعاراً مؤقتا وإنما هو جزء لا يتجزأ من جوهر الدعوة الإسلامية ، ولا يستقيم للمسلمين عمل ولا حال إلا إذا تحققت أركان التضامن بينهم .

ومن واجب الدولة الإسلامية أن تحقق التضامن ، وأن تسعى إلى تثبيت أصوله وحمايته من التصدع ، ولا ينبغى أن يسعى إقليم أو قومية أو دولة لتحقيق مصالحها على حساب الوحدة الإسلامية ، إذ أن هذه الآفة هى التى حركت مطامع الدول الأجنبية فى المسلمين وشجعتها على الانفراد بكل قطر على حدة .

---

(١) الأنفال : ٦٢ .

(٢) الأنعام : ١٥٩ .

ولقد دبر أعداء المسلمين شتى الخطط التآمرية على الأقطار الإسلامية ولجأوا إلى مختلف الطرق والأساليب من أجل إضعاف التضامن، ووضع العقبات والعوائق للحيلولة دون اتصال المسلمين ببعضهم وتحقيق تضامنهم. وقد كان الإعلام من أهم الأسلحة المستخدمة لبث روح الفرقة والانقسام بين المسلمين، إذ أن أعداء الاسلام يعلمون تماماً أنهم ما كانوا ليحققوا ما حققوه لو أن الصف الإسلامى كان موحداً ومتماسكاً وقوياً .

الإعلام الطباعى

لقد كانت المطبعة هى السلاح الأول الذى جلبه الصليبيون والمبشرون إلى العالم العربى لشن حملاتهم التبشيرية عن طريق الكتاب والصحيفة، ففى أحد الأديرة المارونية فى لبنان وفى دير قزحيا طبع كتاب المزامير سنة **١٦١٠** بالحرف السريانى، ثم أنشأ الشماس عبد الله زاخر أول مطبعة عربية سنة **١٧٣١** بقرية الشوير اللبنانية، وتخصصت هذه المطبعة فى نشر كتب التبشير المسيحى .

وفى سنة **١٨٣٤** أنشأ المبشرون الأمريكيون من أمثال كورنيليوس فان دايك، ووليم ورتبات وغيرهما مطبعة فى بيروت لطبع الانجيل، وتزويد الجمعيات التبشيرية بالكتب الدينية، ومن المعروف أن هذه الجمعيات كانت تضم الكثير من القسس والأطباء والعلماء الذين نذروا أنفسهم للتبشير بين المسلمين فى العالم العربى .

وأنشأ المبشرون مدارس دينية ومدرسة عليا هى الكلية السورية الانجيلية التى تحولت إلى الجامعة الأمريكية فى بيروت، ومن الغريب أن هذه المعاهد قد اتخذت من بيروت والقاهرة ولاهور وأنقرة، وهى من أركان العالم الإسلامى، مراكز للتبشير فى جميع أجزاء العالم الإسلامى، وبث الفرقة بين أقطاره المختلفة، وكان الإعلام الطباعى يغذى هذه الحركات التبشيرية بالكتب والصحف والمجلات والأطالس .

وخاف اليسوعيون الكاثوليك أن يتفوق الأمريكيون البر وتستانت عليهم فى مضمار الإعلام التبشيرى المسيحى والدعوة الصليبية بفضل مطبعتهم، فقرروا فى سنة **١٨٤٨** إنشاء مطبعة يواجهون بها منافسيهم، فاستوردوا من فرنسا مطبعة كبيرة طبعوا عليها الكتب الدينية والأدبية والعلمية، وفى الربع الأخير من القرن الماضى أصبحت طابعات هذه المطبعة الكاثوليكية تدار بالبخار لأول مرة فى لبنان .

لقد كانت خطة الأمريكيين البروتسانت والفرنسيين الكاثوليك هى تعليم اللبنانيين والسوريين طرق التبشير وفنون الكتابة وأساليب الإعلام وأصول التحرير الصحفى، وتقنيات الطباعة لكى يصيروا دعاة لهم فى جميع أنحاء العالم العربى، ثم فى جميع أركان العالم الإسلامى، لبث الفرقة والانقسام بين أبنائه، والحيلولة دون تضامن العالم الاسلامى بأى شكل من الأشكال .

وبالفعل نجد أن ناصيف اليازجى وبطرس البستانى فى لبنان وبلاد الشام، ثم يعقوب صروف الذى أنشأ مجلة المقتطف، وشاهين مكاريوس وفارس نمر اللذان اشتركا فى تأسيس المقطم مع خليل ثابت، بالاضافة إلى شبلى شميل وأنطون فرح، ثم سلامة موسى ولويس عوض، وهم جميعا من أنصار الاتجاهات المادية والاشتراكية، فضلا عن الترويج للمذهب الداروينى فى النشوء والتطور، والهجوم على كل ما يتصل بالإسلام .

ولا يفوتنا ذكر ما لقيته الصوفية المنحرفة، من تشجيع فقد أنشأ الايطالى (بلفنطى) مطبعته الحجرية التى طبعت بعض الدواوين الصوفية إلى جانب الكتب المسيحية، فالتبشير المسيحى يهتم بالتصوف الذى يحث على التواكل والتكاسل، ويشجع انتشار روح الفرقة بين المسلمين، ويعبر المستشرقون فى كتاباتهم عن الاعجاب الشديد بالفلسفات الشرقية الغنوصية، وبالشطحات الصوفية مثل الفتوحات المكية لابن عربى وقصائد الحلاج وكتابات السهروردى وغيرها من الأفكار المدسوسة على الإسلام بما فيها من جبرية ووحدة الوجود ومذهب الحلول المنحرف الكافر .

الإعلام الصهيونى

ولقد تسابق اليهود والمسيحيون فى إرساء قواعد الإعلام عن طريق إنشاء المطابع فى فلسطين، ففى سنة ١٨٣٠ أنشأ نسيم باق مطبعته فى القدس لطبع كتب الديانة اليهودية، وكانت حروف تلك المطبعة عبرية، وفى سنة ١٨٤٨ أسس جماعة من الانجليز مطبعة بالقدس أسموها مطبعة لندن لانتشار الانجيل، كما أنشأ الأرمن فى السنة نفسها مطبعة وضعوها بديرهم المجاور لجبل صهيون، ولم يكتف اليهود بمطبعة نسيم باق بل ثنوها بمطبعة أسسها داويد ساسون سنة ١٨٥٠ .

وهكذا أخذت المطابع اليهودية ترتبط بالحركة الصهيونية، وكانت الدعاية توجه إلى يهود العالم، ثم إلى العالم المسيحى توطئة للأحداث المؤسفة التى فرقت شمل العالم

العـربى ، وعملت على تمزيق الصف الاسـلامى أيضـا ، وليس مجرد صدفـة أن معظم قادة اليهـود من رجـال الإعـلام والصحـافـة بدءاً من تيـودور هرتـزل الـذى ترأس مؤتمر بازل فى سويسرة سنة ١٨٩٧ حتى رجال الصحافة والسينما والتلفزيون الذين يهيمنون على وكالات الأنباء والصحف وغيرها من دور النشر والإذاعة والسينما .

ويكفى أن نلقى نظـرة سريعـة على اهتـمام اليهود بالإعلام والصحافة بوجه خاص ، فهم يملكون :

١ — ٢٤٤ صحيفة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، منها ١٥١ دورية .
٢ — ٣٠ دورية فى كنـــدا .
٣ — ١١٨ صحيفة فى أمريكا اللاتينية .
٤ — ٣٤٨ صحيفة فى أوروبا بجميع اللغات الأوروبية .
٥ — ٣ صحف فى الهند .
٦ — خمس دوريات فى تركيا .
٧ — ٤٢ دورية فى أفريقيـــا .

وتعلن إسرائيل رسميا أن الصهيونية تسيطر على ٨٨٩ صحيفة فى الدول الغربية .

وقـد استطـاع الصهيـونى روبـرت مردوخ أن يشترى أعظم صحف بريطانيا وأقواها نفوذاً وهى صحيفة التايمز التى كان يملكها اللورد طومسون .

وقـد عرضت مجلة نيـوزويـك الأمـريكيـة المشهـورة للبيع فاشترى أكثر أسهمها أحد اليهـود بمبلغ ٨٠٠ ألف دولار ، وأصبحت هذه المجلة التى لها شهـرتهـا وانتشـارها وتأثيرها سلاحاً دعائياً جديداً فى يد الصهيونية ، وكم قامت هذه المجلة وغيرها بتشويه صورة الإسلام والمسلمين ، وبذر روح الفرقة والانقسام بينهم ! .

الإذاعـــات التنصيريـــة

وهكـذا استطـاع اليهود والصليبيون السيطرة على وسائل الإعلام فى العالم وسخروها لخدمـة أهـدافهم الشيطـانيـة ولم يستطـع الإعلام الاسلامى حتى الآن أن يتغلب على هذه القوى الشريرة ، لذا استطاع الإعلام الصهيونى أن يحجب الاهتمام بالقضايا التى تهم عالمنا الإسلامى حتى تموت فى ضمير المسلمين ، وفى نفس الوقت يركز على قضايا جانبية أوظواهر

بها الخطر المحدق بمجتمعاتنا الإسلامية يمهد لها ويعمل على نشرها وبث الزخارف المضللة حولها كالأفكار والمذاهب الهدامة والاباحية إلى غير ذلك .

وقد سخروا لهذا أحدث أنواع الأساليب والوسائل الإعلامية من مجلات ونشرات وجرائد ونشرات متخصصة حتى للأطفال والنساء بصورة جذابة وبمختلف اللغات ينفقون عليها حتى تظهر بصورة مغرية جذابة منها ما يوزع مجانا ومنها ما يوزع بثمن ضئيل .

كما أن هناك معاهد متخصصة فى هذا المجال فى أمريكا وغيرها ، وقد سخرت مطابع ودور نشر لهذه الأغراض علاوة على طباعة الانجيل ونشره وتوزيعه وترجمته إلى لغات عديدة . هذا فى مجال الكلمة المطبوعة أما فى الكلمة المسموعة فقد بلغت شأواً بعيداً فى هذا المضمار حيث أنشئت برامج إذاعية تنصيرية بل أنشئت محطات خاصة للتنصير فى مناطق عديدة منها :

١ — إذاعة ساعة الإصلاح بالخرطوم فى السودان .
٢ — إذاعة نور على نور فى مرسيليا .
٣ — صوت كلمة الحياة فى مالاكا بأسبانيا .
٤ — نداء الرجاء فى شتوتجارت بألمانيا الغربية .
٥ — إذاعة المحبة والوفاء فى بيروت .
٦ — إذاعة مونت كارلو بمونت كارلو .
٧ — المدرسة الاذاعية الانجيلية مرسيليا .
٨ — المركز المعمدانى فى بيروت .
٩ — دار الهداية بسويسرا .
١٠ — الاذاعة التنصيرية فى ليبيريا .
١١ — الاذاعة التنصيرية فى سيشيل .

هذا وقد عقدت المؤتمرات واللقاءات فى هذا المضمار حيث عقد فى هوس بنيجيريا اجتماع ضم حوالى أربعين من زعماء الكنائس الأفريقية اللوثرية ومديرى المحطات الاذاعية ورجال الاعلام لبحث تضافر الجهود وتطوير أسلوب الاذاعات التنصيرية فى غرب أفريقيا ، كما عقد اجتماع فى تنزانيا فى مارس ١٩٨١ خاص بشرق أفريقيا .

وفى أكتوبر عام ١٩٨٠ عقد مؤتمر كبير فى سوزايلند ضم مجموعة من العاملين فى مجال البث الاذاعى يمثلون ١٢ دولة من أفريقيا حضر معهم مجموعة من المراقبين فى أوروبا .

ومن المعروف أن للطائفة المعمدانية فقط حوالى ١١١ محطة إذاعية تنصيرية منتشرة فى ثمانية وثمانين بلداً. كما تم تخصيص عشرين مليون دولار ابتداء من عام ١٩٨٠ لتقوية إذاعة آسيا التنصيرية لمنطقة جنوب شرق آسيا خاصة وقارة آسيا عامة وهذه الإذاعة متمركزة فى الفلبين وتبث برامج بلغات كثيرة بلغت ٢٨ لغة آسيوية .

أضف إلى ذلك محاولة تجنيد رجال التنصير فى المؤسسات الإعلامية فى الدول الإسلامية ليضمنوا السيطرة بشكل أوبآخر على هذه الأجهزة، بل تعدئ الأمر إلى انتاج برامج خاصة بالتنصير بأساليب خادعة لتفوت على رجال الرقابة فى المؤسسات الإعلامية الإسلامية المسموعة والمرئية .

الفيلم وقضايا المسلمين

وعلى حين تغطى أفلام الترفيه والضياع أسواق العالم الإسلامى فى السينما والتلفزيون، فإن القضايا الإسلامية الخطيرة، ومشاكل المسلمين العديدة، لا تجد مجالاً فى تلك الأسواق. فمثلاً قضية فلسطين وهى أكبر تحد واجهه المسلمون منذ ضياع الأندلس، تقف إمكانات المسلمين عاجزة عن انتاج فيلم واحد يشرح قضيتها، ويبصر الناس بمأساتها، فى حين أن اليهود قد عرضوا فى عامى ١٩٧٤ و١٩٧٥ أكثر من ٣٠٠ فيلم فى المهرجان اليهودى الدولى للسينما والتلفزيون .

وقد بذل مجلس الجامعة العربية جهوداً كبيرة للحصول على أفلام يوزعها على مراكزه فى الخارج، وفى سنة ١٩٦٤ اعتمد المجلس مبلغ نصف مليون دولار لانتاج فيلم عن فلسطين بالتعاون مع منتج معترف به دوليا، غير أن الفيلم لم يظهر إلى الوجود نظرا للعجز فى الامكانات، ولعل الحقيقة تكمن فى العقبات التى يضعها أعداء الإعلام الإسلامى فى سبيل إنجاز أى انتاج يكون له تأثير على الرأى العام .

ومع ذلك فعندما احتج سفراء الدول العربية والاسلامية على عرض فيلم «الخروج» الذى يقدم دعاية سافرة عن إسرائيل واليهود، قامت قيامة الصحف الغربية، وأخذت تكيل السباب والشتائم للعرب والمسلمين .

مسؤولية الاعلام عن بث روح التضامن

والحق إن من أهم وظائف الإعلام تنوير العقول وتهذيب النفوس فى ضوء تعاليم

الإسلام، فمن واجب الإعلام الإسلامى الدعوة لوحدانية الله، وتحرير الإنسان من عبودية العباد وانقاذه من سيطرة الأهواء والشهوات والغرائز .

فالإعـلام مرفق هام من مرافق الـدولـة الإسـلاميـة ولاينبغى العبث به أو استخدامه لإثـارة الشهـوات، وتحريك الرغبات الدنيا بين الشباب والناشئة، بل من المفروض أن ترقى اهتمامات الناس، وأن يسمو الإعلام بعقولهم وعواطفهم .

ولعـل الهـدف الأسمى للإعـلام هو توحيـد الأمـة فكراً وسلوكاً وولاء وإيجاد التعارف والتـآلف بين أبنـائهـا، والإصرار على معانى الأخوة والتراحم والتواد بين أفرادها، بل يجب على السلطـان أن يضـرب بيـد قويـة على كل من تسـول له نفسـه العبث بوحدة الأمة، أو تعريض وحدتها للخطر، وهذه جريمة من جرائم الخيانة العظمى .

ولاشـك أن أهم ما ينبغى أن نسـارع إليـه هو وقف حملات التشهير والسباب والشتم والمهـاتـرات بين أقطـار العـالم الإسـلامى، كما يجب مواجهـة الحمـلات الإعلامية المعادية، والتفرغ للدفاع عن الأمة ومقدساتها وتنشيط الروح الجهادية عند المسلمين .

وبدلاً من إذاعة برامج لتعليم اللغة الانجليزية بالراديو أو نشر اللغة الفرنسية أو غيرها من اللغات الأجنبية، ينبغى أن تتوفر إذاعاتنا الإسلامية على محو الأمية بأشكالها المختلفة، ونشر التعاليم الإسلامية، ومحاولة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .

وبـدلاً من الـدعـايـة للحضارة الغربية، والتحدث عنها باكبار وتقدير، وتقديم نماذج للشباب يقتدون بها، يجب على الإعلام فى الدولة الإسلامية أن يتخذ مثله العليا من أبطال الإسلام وعلمائه، مع تعرية الحضارة الغربية والثقافة الشيوعية والدعاية الصهيونية والمذاهب المنحرفة، وتسليط الأضواء على المعطيات الحضارية للإسلام .

إن الطالب فى كثير من الجامعات التى تنتشر فى العواصم الإسلامية يعرف عن فرنسا وإيطـاليـا وبـريطـانيا وأمريكا أضعاف أضعاف ما يعرف عن أندونيسيا والباكستان ونيجيريا والعراق، ويعرف عن فولتير وشكسبير وروسو ولويس التاسع ودانتى أكثر بكثير مما يعرف عن عبد الرحيم الغافقى ومحمد الفاتح وحسان بن ثابت والمتنبى والجاحظ وابن قتيبية .

ولعـل من أهم أسبـاب تقـويـة روح التضـامن الإسلامى العمل على تعميم وسائل الإعـلام، بنشـر بعض الصحف اليـوميـة لكى يتـداولها الناس فى جميع العواصم الإسلامية باللغـة العـربيـة وبعض اللغـات الإسـلاميـة الحيـة، على أن تتبنى هذه الصحف القضايا الإسـلاميـة وتطـالب بحقـوق المسلمين المستضعفين وتعرف الناس بالأقليات الإسلامية وما

تتعرض له من مشكلات ، ولاشك أن اطلاق القمر الصناعى العربى بعد تسعة أشهر - بإذن الله - سوف يتيح فرصاً سانحة عظيمة لنشر الدعوة الإسلامية وربط أواصر العالم الإسلامى والعمل على تضامنه ووحدته .

الاعلام وأصالة التضامن الإسلامى :

والتضامن الإسلامى ليس دعوة مستحدثة ، ولا فكرة جديدة ، ولا هو عمل سياسى لغايات مؤقتة ، وعلى الإعلام أن يرسخ فى أذهان المسلمين أن التضامن هو جوهر الدعوة الإسلامية ، وبغيره لا يمكن أن يستقيم للمسلمين حال ، ولا أن ينتظم عمل ، ولا أن يحقق الإسلام ذاته فى ديار المسلمين .

إن وحدة المسلمين واتفاق كلمتهم قد جعلت من العرب قوة ناجزت أعظم قوتين فى العالم هما دولة الفرس ودولة الروم ، كما سارت مواكب المجد الإسلامى - بفضل الوحدة - مشرقة ومغربة توسع ديار الإسلام ، رافعة رايته خفاقة ، وحاملة رسالته مضيئة منيرة مشعة فى الخافقين .

والمسلمون لا يجهلون أن سقوط الأندلس يرجع إلى تمزق الصف العربى والإسلامى وكثرة دويلات المسلمين ، وتسلل العناصر المتآمرة إلى صفوف تلك الدويلات ، والركون إلى الترف والتعرض للأفكار المنحرفة والعقائد الشاذة .

على أن الحاجة إلى تنظيم الدعوة للتضامن قد أصبحت ملحة للغاية ، ولابد أن تقوم على أسس مدروسة وخطط علمية ، وهنا يقوم الاعلام بدور هام فى تعميق الاحساس بالحاجة إلى التضامن ، وتصوير الإطار الذى تدور فيه كل الوسائل والعوامل السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية المؤدية إلى وحدة الأمة الإسلامية وتضامنها بما هو يعود على دينهم ودنياهم بالخير والنفع والبركة .

الإعلام وتحقيق التضامن الإسلامى :

ولا تخلو الساحة الإسلامية من الجهود الطيبة لاذكاء روح التضامن ، مثال ذلك إنشاء رابطة العالم الإسلامى التى تعتبر بحق من أروع مظاهر التضامن الإسلامى ، وهى التى تبذل جهوداً طيبة فى حقل الإعلام لتجسيد دعوة التضامن وأبرازها إلى حيز الوجود على أسس عملية وعلمية فى آن واحد .

لقد ظهرت رابطة العالم الإسلامى بنتيجة القرار الذى اتخذه « المؤتمر الإسلامى » الذى انعقد فى مكة المكرمة عام ١٣٨١هـ ، وقد عبرت المقررات التى اتخذها المؤتمر عن مدى الأحساس بضرورة تقوية الروابط بين المسلمين ، وتحقيق التقارب والتعاون فيما بينهم ، فجاء فى مقدمة تلك القرارات :

« يؤكد المؤتمر الإسلامى إيمانه برابطة الأخوة بين المسلمين ، ويعتبرها الرابطة الحقيقية بين سائر الشعوب الإسلامية ، كما يعلن المؤتمر أن أخوة الإسلام فريضة الله على كل مسلم تربطه بأخيه المسلم مهما كان جنسه ووطنه ، وأن هذه الأخوة ظلت دائماً ركيزة القوة وخصيصة المجتمع الإسلامى فى كل عهود العزة والمنعة فى تاريخ المسلمين ، وأن كل عصبية دون الإسلام تقع تحت قول رسول الله ﷺ « ليس منا من دعا إلى عصبية » وكل دعوى باسم القومية أوغيرها تفرق بين المسلمين وتتخذ بطانة من دونهم هي من دعاوى الجاهلية الباطلة التى أنكرها رسول الله ﷺ ، ولا يستفيد منها إلا أعداء الإسلام والمسلمين » .

« ويجد المؤتمر من واجبه أن يهيب بالعرب خاصة أن يذكروا أن اجتماع شملهم إنما كان فى حجر الإسلام أول مرة ، وأنه لم يجتمع لهم شمل إلا فى ظل أحكامه وسلطانه ، وأنهم حملوا رسالة الإسلام إلى الدنيا فدانت لدعوتهم شعوب آثرت أخوة الإسلام على قومياتها ، وأصبح ولاؤ ها منذ أسلمت للإسلام وأمة الإسلام ، فجدير بالعرب حملة الرسالة الأولى أن يكونوا القدوة فى الحفاظ على أخوة الإسلام ، وأن يعتبر وا كل توهين لها عدواناً على تاريخهم وانتقاصاً من قوتهم ، وانحرافاً عن طريق وحدتهم » .

والذى يهمنا فى هذا الصدد هو دور الإعلام فى تحقيق التضامن الإسلامى عن طريق التعاون الثقافى بين الدول الإسلامية ، وتعريف كل من الشعوب الإسلامية بالمعطيات الثقافية التى أنتجتها شعوب إسلامية أخرى ، وبأوضاع كل دولة إسلامية وحياتها ومشكلاتها وانجازاتها .

ومن الممكن إنشاء مؤسسة ثقافية إسلامية كبرى ذات نشاط إسلامى شامل تمارس عملها فى جميع أنحاء العالم سواء بنشر المؤلفات أو ترجمتها أو باصدار الكتب والصحف الإسلامية التى تنطق باسم المسلمين جميعاً وتكون ذات شكل إعلامى حديث عصرى متطور ، بالاضافة إلى تبادل الخدمات والبرامج والأشخاص بين المؤسسات الإعلامية الإسلامية .

وإن الدور الذى يلعبه التعاون الثقافى والإعلامى بين الدول الإسلامية كفيل بتنظيم الرأى العام الإسلامى وتوجيهه وفق مقتضيات مبادىء التضامن الإسلامى بأشمل معانيه وكافة تفاصيله ، كما يمكنه قيادة تطوير المجتمع الإسلامى نفسه على ضوء الشريعة الإسلامية ، وتحقيق التجانس والتقارب بين فئاته بصورة تجعل كل شعب إسلامى قادرا على الاستفادة من التجارب المفيدة للشعوب الإسلامية الشقيقة الأخرى .

أساليب الإعلام والدعوة الإسلامية :

ويتمثل الدور الذى يقوم به الإعلام فى تحقيق التضامن الإسلامى فى عدة أمور أهمها تبليغ دعوة الإسلام وشرح مبادئها وتعاليمها ودحض الافتراءات والشبهات عنها ، ومجاهدة المؤامرات الماكرة الخطيرة التى يريد بها أعداء الإسلام من الصهاينة والشيوعيين والصليبيين فتنة المسلمين عن دينهم وتمزيق وحدتهم وأخوتهم .

ومن أهم وسائل الدعوة اجتماع علماء المسلمين المرموقين وكبار دعاة الإسلام لتبادل الرأى وتنسيق الجهود والنظر فى تقوية وسائل الدعوة وتجديدها باستمرار ، وتبادل الخبرات والتجارب فى ميدان الدعوة والإعلام الإسلامى .

ولما كان الحج من أهم المواسم الدينية والإعلامية فى وقت معاً ، كان من الضرورى انتقاء صفوة من أقوى الدعاة بمختلف اللغات لإذكاء مشاعر الأخوة والتضامن ، مع عقد ندوات كبيرة لقادة الرأي والتوجيه ، لاتخاذ القرارات والتوصيات فى المشكلات والقضايا الإسلامية ، هذا بالاضافة إلى تحقيق التعارف والمودة بين الحجيج .

كما ينبغى دعم أجهزة الاذاعة الاسلامية بالرجال والبرامج وبعدة لغات حتى تبلغ الدعوة آذان أكبر عدد ممكن من الناس ، وهنا ينبغى الاستفادة من القمر الصناعى العربى لتحقيق وصول الدعوة الاسلامية إلى جميع أركان المعمورة ، لأن الإسلام دين عالمي شامل وعام . وينبغى ألا تكتفى الإذاعات الإسلامية بتلاوة القرآن الكريم وتقديم بعض المواعظ ، إذ أن العبرة تكمن فى تقديم البرامج العامة أدبية وعلمية وسياسية من منطلقات إسلامية ، وعلى هدى تعاليم الإسلام ومبادئه ، أما أن تترك البرامج سادرة فى غيها ومتردية فى شكلها ومضمونها ، فذلك مما يتنافى مع طبيعة الإعلام الإسلامى .

الإعلام قوة حضارية إسلامية :

لقد سارت خطوات التضامن الإسلامى سريعة إلى الأمام بفضل النظرة الشاملة

لعوامل الاخاء والتعاون . ولعل أهم معالم هذه النظرة الشاملة تبدو فيها قرره مؤتمر وزراء خارجية ثلاث وعشرين دولة إسلامية الذى انعقد فى كراتشى سنة ١٩٧٠م وبحث موضوع إنشاء مصرف إسلامى دولى تساهم فيه جميع الدول الإسلامية ويستفاد منه فى مشروعاتها الانمائية ، كما درس موضوع إنشاء وكالة أنباء إسلامية دولية تكون هى المصدر الرسمى لأنباء الوطن الإسلامى فى العالم كله ، كما بحث موضوع دعم المراكز الثقافية الإسلامية فى العالم أجمع ، وإنشاء مراكز إسلامية جديدة ، كما درس موضوع تعميم الثقافة الإسلامية وترسيخ قواعدها وجعلها ثقافة عصرية حضارية تقيس على أسس ثابتة من القيم الإسلامية ، كما كان موضوع الحق الإسلامى فى فلسطين على رأس الموضوعات .

وهكذا يتضح لنا الفهم الحقيقى للإعلام على أنه قوة حضارية تتفاعل مع سائر القوى السياسية والاقتصادية والثقافية الأخرى ، فجاء الاهتمام بإنشاء وكالة الأنباء الإسلامية حتى نتخلص من الاعتماد على الوكالات الأوروبية والأمريكية الدولية فى استقاء أخبار العالم الإسلامى بوجه خاص والعالم الدولى بوجه عام ، فالاستقلال الاقتصادى بإنشاء المصارف الإسلامية يسير جنباً إلى جنب مع الاستقلال الإعلامى بتقوية وكالة الأنباء الإسلامية التى أقيمت فى جدة ، ثم تعزيز المراكز الثقافية الإسلامية فى العالم كله للحفاظ على ذاتية الحضارة الإسلامية وتفردها باعتبار أن الأمة الإسلامية هى أمة متفردة فى العالم كله .

لذلك يسعى الإعلام إلى تعزيز روح التضامن بين البلاد الإسلامية وتهيئة الجولروح الوحدة ، مع الاهتمام بإشاعة روح التعاون والمساواة التامة بين الدول الإسلامية فى الحقوق والواجبات ، وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية للدول الأخرى ، واحترام سيادة كل دولة ووحدتها ، وحل المنازعات بالطرق السلمية الإسلامية عن طريق التفاوض والمناقشات الودية الأخوية ، وتعزيز المبادىء الإسلامية والعمل بمقتضاها ، مع احترام حقوق الإنسان وفقاً لمبادىء الشريعة الإسلامية السمحة .

وينبغى على الإعلام الإسلامى أن يعمل على نشر اللغة العربية الفصحى بين الشعوب المسلمة وجعلها لغة التفاهم بين الجميع ، على أن تخصص الصحف والإذاعات برامج مدروسة لتعليم اللغة العربية وتداولها بين المسلمين .

الإعلام وإشاعة روح التضامن :

أهم ما يسعى إليه الإعلام فى الأمة الإسلامية العمل الايجابى على بث روح

التضامن والوحدة بين أجزائها . يقول عليه الصلاة والسلام : (ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) . وأقدس واجبات الإعلام ، ومسؤوليته العظمى تكمن فى السهر على إشاعة روح الترابط والتماسك للمحافظة على كيان الأمة وحمايتها من الأخطار .

يقول عز من قائل : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض** ﴾[1] .

وكما تنضم خلايا الجسم لتكوين الجسد الحى ، فإن الأفراد ينضمون بعضهم إلى بعض ليكونوا الأمة . والسر فى هذا الانضمام هو تولد روح التضامن والتكامل التى تؤدى إلى الترابط والتماسك ، فالمجتمع الإسلامى ينشأ من حمل فرد مثلا أعلى إلى آخر وهذا هو التبليغ .

والرابطة التى تربط الأمة هى العقيدة الواحدة والهدف الواحد ، والمثل الأعلى الواحد ، والكتاب الواحد والسنة الواحدة ، والثقافة الواحدة والقيم الواحدة والشريعة الواحدة .

والتبليغ وهو الإعلام واجب مقدس لإشاعة روح الترابط والتضامن فى الأمة الإسلامية ، وكتمان هذا البلاغ من كبائر الذنوب .

﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلناه من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾[2] ولا يكون البلاغ إكراها ﴿ **لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغي** ﴾[3] وإنما يكون إقناعاً وترغيباً ، وأما من يعرضون عن البلاغ المبين فهم الذين لا يعلمون أو الذين لم يبذل الجهد الكافى لإقناعهم ﴿ **بل إكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون** ﴾[4] .

مسؤولية الإعلام الإسلامى ومستقبله :

ومما يؤسف له أن الإعلام فى البلاد الإسلامية كان مسرحاً للقوى الاستعمارية

(١) الشورى : ٥٢-٥٣ .
(٢) البقرة : ١٥٩ .
(٣) البقرة : ٢٥٦ .
(٤) الأنبياء : ٢٤ .

والمؤامرات الصهيونية والأفكار الشيوعية التى اصطنعت أقلاماً ووجوها تنشر المبادىء الهدامة والقيم غير الإسلامية . وحسبنا فى هذا الصدد كلمات صدرت عن المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة الذى عقد فى صفر سنة ١٣٩٦هـ . بالمدينة المنورة ، فقد ورد فى قرارات المؤتمر :

« ويندد المؤتمر بالهوة السحيقة التى تردى إليها إعلامنا ولا يزال يتردى ، فبدلاً من أن يكون منارة إشعاع ، ومنبر دعوة إلى الخير ، صار صوت إفساد وسوط عذاب وسكت القادة فأقروا بسكوتهم ، أوجاوزوا ذلك فشجعوا وحموا ، وخفت صوت الدعاة وسط ضجيج الإعلام الفاسد ولم يعد الأمر يحتمل السكوت » .

ونأمل أن ينهض الإعلام بالمسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقه وأن تعود الصحافة الإسلامية إلى سابق مجدها ، فقد لمعت والحمد لله صحف فذة من أمثال المنار للشيخ محمد رشيد رضا ووادى ميزاب للعلامة الجزائري عبد الحميد بن باديس ، وقد قامت الصحافة بدور خطير فى قيادة الرأى العام الجزائري لمقاومة الاستعمار بفضل صحيفة البيان وصحيفة الشريعة .

وقد أصدر الحزب الإسلامى فى أفغانستان مجلة إسلامية اسمها « الموقف » وأصدرت جمعية أفغانستان الإسلامية مجلة « صوت الجهاد » لتنطق بلسان المجاهدين هناك ، وهاتان المجلتان صدرتا بعد الاحتلال الشيوعى الغاشم لأفغانستان المسلمة ، وهذا دليل على قوة الصحوة الإسلامية ، وقدرة الإعلام على المشاركة فى الجهاد .

وإن واجب الإعلام أن يبين للأمة سبل التضامن ، ويقيننا أن الركب واصل - بإذن الله تعالى - إلى هدفه المنشود ، لجمع ما تشتت من شمل الأمة ، ولإعادة بناء ما تهدم من بنيانها ، ولفتح صفحات جديدة فى تاريخ العالم ، مؤكداً أن أمة محمد عليه الصلاة والسلام لن تموت ما وفت للرسالة ، وما قامت بالدعوة ، وما عملت بالأمر الآلهى بالوحدة والتضامن والتآلف والتعاضد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين .

حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والإشارة إليها بالحروف

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

● سألتنا الأخت : «س : ر : ج» من الكويت عن حكم الاشارة إلى اسم رسول الله ﷺ بحرف أو بعدة حروف . . . وقد تلقينا من فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز ما يفي الغرض من مشروعية الصلاة على النبي ﷺ وعدم الاشارة إليها ببعض الحروف .

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده وآله وصحبه أما بعد :ـ

فقد ارسل الله رسوله محمداً ﷺ إلى جميع الثقلين بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا ، ارسله بالهدى والرحمة ودين الحق ، وسعادة الدنيا والآخرة لمن آمن به وأحبه واتبع سبيله ﷺ ، ولقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ، وجاهد فى الله حق جهاده فجزاه الله عن ذلك خير الجزاء وأحسنه وأكمله .

وطاعته ﷺ وامتثال أمره واجتناب نهيه من أهم فرائض الإسلام وهى المقصود من رسالته . والشهادة له بالرسالة تقتضى محبته واتباعه والصلاة عليه فى كل مناسبة وعند ذكره لأن فى ذلك أداء لبعض حقه ﷺ وشكراً لله على نعمته علينا بإرساله ﷺ .

وفى الصلاة عليه ﷺ فوائد كثيرة منها امتثال أمر الله سبحانه وتعالى والموافقة له فى الصلاة عليه ﷺ والموافقة لملائكته أيضاً فى ذلك قال الله تعالى : **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾** .

ومنها أيضاً مضاعفة أجر المصلى عليه ورجاء إجابة دعائه وسبب لحصول البركة ودوام محبته ﷺ وزيادتها وتضاعفها وسبب هداية العبد وحياة قلبه فكلما أكثر الصلاة عليه وذكره استولت محبته على قلبه حتى لا يبقى فى قلبه معارضة لشىء من أوامره ولاشك فى شىء مما جاء به .

كما أنه صلوات الله وسلامه عليه رغب فى الصلاة عليه بأحاديث كثيرة ثبتت عنه منها ما روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا» وعنه رضى الله عنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبرى عيداً، وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم» وقال ﷺ: «رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على».

وبما أن الصلاة على النبى ﷺ مشروعة فى الصلوات فى التشهد ومشروعة فى الخطب والادعية والاستغفار بعد الأذان وعند دخول المسجد والخروج منه وعند ذكره وفى مواضع أخرى فهى تتأكد عند كتابة اسمه فى كتاب أو مؤلف أو رسالة أو مقال أو نحو ذلك لما تقدم من الادلة. والمشروع أن تكتب كاملة تحقيقا لما أمرنا الله تعالى به، وليتذكر القارىء عند مروره عليها ولا ينبغى عند الكتابة الاقتصار فى الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ على كلمة (ص) أو (صلعم) وما أشبهها من الرموز التى قد يستعملها بعض الكتبة والمؤلفين لما فى ذلك من مخالفة أمر الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز بقوله: ﴿**صلوا عليه وسلموا تسليماً**﴾ مع أنه لا يتم بها المقصود وتنعدم الافضلية الموجودة فى كتابة «ﷺ» كاملة. وقد لا ينتبه لها القارىء أو لا يفهم المراد بها، علما بأن الرمز لها قد كرهه أهل العلم وحذروا منه.

فقد قال ابن الصلاح فى كتابه علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح فى النوع الخامس والعشرين من كتابة الحديث وكيفية ضبط الكتاب وتقييده قال ما نصه:

التاسع: أن يحافظ على كتابة الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ عند ذكره ولا يسأم من تكرير ذلك عند تكرره فإن ذلك من أكبر الفوائد التى يتعجلها طلبة الحديث وكتبته ومن أغفل ذلك فقد حرم حظاً عظيماً. وقد رأينا لأهل ذلك منامات صالحة، وما يكتبه من ذلك فهو دعاء يثبته لا كلام يرويه فلذلك لا يتقيد فيه بالرواية. ولا يقتصر فيه على ما فى الأصل.

وهكذا الأمر فى الثناء على الله سبحانه عند ذكر اسمه نحو عز وجل وتبارك وتعالى وما ضاهى ذلك إلى أن قال: «ثم ليتجنب فى إثباتها نقصين أحدهما أن يكتبها منقوصة صورة رامزاً إليها بحرفين أو نحو ذلك، والثانى: أن يكتبها منقوصة معنى بألا يكتب وسلم وروى عن حمة الكنانى - رحمه الله تعالى - أنه كان يقول كنت أكتب الحديث وكنت اكتب عند ذكر النبى صلى الله عليه ولا اكتب (وسلم) فرأيت النبى ﷺ فى المنام فقال لى مالك لا تتم الصلاة على؟. قال: فما كتبت بعد ذلك صلى الله عليه إلا وكتبت (وسلم) إلى أن قال ابن

الصلاح : قلت ويكره أيضاً الاقتصار على قوله (عليه السلام) والله أعلم . انتهى المقصود من كلامه ـ رحمه الله تعالى ملخصا .

وقال العلامة السخاوى ـ رحمه الله تعالى ـ فى كتابه فتح المغيث شرح الفية الحديث للعراقى ما نصه : واجتنب أيها الكاتب (الرمز لها) أى الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فى خطك بأن تقتصر منها على حرفين ونحو ذلك فتكون منقوصة صورة كما يفعله (الكسائى) والجهلة من أبناء العجم غالبا وعوام الطلبة فيكتبون بدلا من ﷺ (ص) أو (صم) أو (صلعم) فذلك لما فيه من نقص الأجر لنقص الكتاب خلاف الأولى .

وقال السيوطى ـ رحمه الله تعالى ـ فى كتابه تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى : ويكره الاقتصار على الصلاة أو التسليم هنا وفى كل موضع شرعت فيه الصلاة كما فى شرح مسلم وغيره لقوله تعالى : ﴿**صلوا عليه وسلموا تسليماً**﴾ إلى أن قال : ويكره الرمز إليها فى الكتابة بحرف أو حرفين كمن يكتب (صلعم) بل يكتبها بكمالها . انتهى المقصود من كلامه ـ رحمه الله تعالى مخلصا .

هذا وصيتى لكل مسلم وقارىء وكاتب أن يلتمس الأفضل ويبحث عما فيه زيادة أجره وثوابه ويبتعد عما يبطله أو ينقصه . نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعا لما فيه رضاه انه جواد كريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

السفر إلى بلاد الكفرة

● تقوم بعض المؤسسات بالنشر فى الصحف داعية أبناء المسلمين لقضاء العطلة الصيفية فى البلاد الغربية لتعلم اللغة الانكليزية .

وللأجابة على ذلك ننشر توضيح فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز حول هذا الموضوع :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبى بعده نبينا محمد وعلى آله وأصحابه واتباعه إلى يوم الدين أما بعد . . .

فقد أنعم الله على هذه الأمة بنعم كثيرة وخصها بمزايا فريدة وجعلها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤ من بالله . وأعظم هذه النعم نعمة الإسلام الذى ارتضاه الله لعباده شريعة ومنهج حياة وأتم به على عباده النعمة وأكمل به

الدين قال تعالى : ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾ . ولكن أعداء الاسلام قد حسدوا المسلمين على هذه النعمة الكبرى فامتلأت قلوبهم حقدا وغيظا وفاضت نفوسهم بالعداوة والبغضاء لهذا الدين وودوا لو يسلبون المسلمين هذه النعمة أو يخرجونهم منها كما قال تعالى فى وصف ما تختلج به نفوسهم : ﴿**ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء**﴾ . وقال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون**﴾ . وقال عز وجل : ﴿**إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون**﴾ . وقال جل وعلا : ﴿**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا**﴾ . والآيات الدالة على عداوة الكفار للمسلمين كثيرة . والمقصود أنهم لا يألون جهدا ولا يتركون سبيلا للوصول إلى أغراضهم وتحقيق أهدافهم فى النيل من المسلمين إلا سلكوه ولهم فى ذلك أساليب عديدة ووسائل خفية وظاهرة فمن ذلك ما ظهر فى هذه الأيام من قيام بعض مؤسسات السفر والسياحة بتوزيع نشرات دعائية تتضمن دعوة أبناء هذا البلد لقضاء العطلة الصيفية فى ربوع أوروبا وأمريكا بحجة تعلم اللغة الانجليزية ووضعت لذلك برنامجا شاملا لجميع وقت المسافر. وهذا البرنامج يشتمل على فقرات عديدة منها ما يلى :

(أ) اختيار عائلة انجليزية كافرة لإقامة الطالب لديها مع ما فى ذلك من المحاذير الكثيرة .

(ب) حفلات موسيقية ومسارح وعروض مسرحية فى المدينة التى يقيم فيها .

(ج) زيارة أماكن الرقص والترفيه .

(د) ممارسة رقصة الديسكو مع فتيات انجليزيات ومسابقات فى الرقص .

(هـ) جاء فى ذكر الملاهى الموجودة فى إحدى المدن الإنجليزية ما يأتى (أندية ليلية ، مراقص ديسكو، حفلات موسيقى الجاز والروك ، الموسيقى الحديثة ، مسارح ودور سينما وحانات انجليزية تقليدية) .

وتهدف هذه النشرات إلى تحقيق عدد من الأغراض الخطيرة منها ما يلى :

١ ـ العمل على انحراف شباب المسلمين واضلالهم .

٢ ـ إفساد الأخلاق والوقوع فى الرذيلة عن طريق تهيئة أسباب الفساد وجعلها فى متناول اليد .

٣ ـ تشكيك المسلم فى عقيدته .
٤ ـ تنمية روح الاعجاب والانبهار بحضارة الغرب .
٥ ـ تخلقه بالكثير من تقاليد الغرب وعاداته السيئة .
٦ ـ التعود على عدم الاكتراث بالدين وعدم الالتفات لآدابه وأوامره .
٧ ـ تجنيد الشباب المبلم ليكونوا دعاة التغريب فى بلادهم بعد عودتهم من هذه الرحلة وتشبعهم بأفكار الغرب وعاداته وطرق معيشته .

إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد الخطيرة التى يعمل أعداء الإسلام لتحقيقها بكل ما أوتوا من قوة وبشتى الطرق والأساليب الظاهرة والخفية وقد يتستر ون ويعملون بأسماء عربية ومؤسسات وطنية امعانا فى الكيد وابعادا للشبهة وتضليلا للمسلمين عما يرومونه من أغراض فى بلاد الإسلام . لذلك فإنى أحذر إخوانى المسلمين فى هذا البلد خاصة وفى جميع بلاد المسلمين عامة من الانخداع بمثل هذه النشرات والتأثر بها وادعوهم إلى أخذ الحيطة والحذر وعدم الاستجابة لشىء منها فإنها سم زعاف ومخططات من أعداء الإسلام تفضى إلى إخراج المسلمين من دينهم وتشكيكهم فى عقيدتهم وبث الفتن بينهم كما ذكر الله عنهم فى محكم التنزيل قال تعالى : ﴿**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**﴾ الآية كما أنصح أولياء أمور الطلبة خاصة بالمحافظة على أبنائهم وعدم الاستجابة لطلبهم السفر إلى الخارج لما فى ذلك من الاضرار والمفاسد على دينهم وأخلاقهم وبلادهم كما أسلفنا وارشادهم إلى أماكن النزهة والاصطياف فى بلادنا وهى كثيرة بحمد الله والاستغناء بها عن غيرها فيتحقق بذلك المطلوب وتحصل السلامة لشبابنا من الأخطار والمتاعب والعواقب الوخيمة والصعوبات التى يتعرضون لها فى البلاد الأجنبية . هذا وأسأل الله جل وعلا أن يحمى بلادنا وسائر بلاد المسلمين وأبنائهم من كل سوء ومكروه وأن يجنبهم مكائد الأعداء ومكرهم وأن يرد كيدهم فى نحورهم كما أسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمرنا لكل ما فيه القضاء على هذه الدعايات الضارة والنشرات الخطيرة وأن يوفقهم لكل ما فيه صلاح العباد والبلاد إنه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه واتباعه بإحسان إلى يوم الدين .

مختارات من صحف

آراء ومواقف جلالة الملك لخدمة الإسلام بمناسبة اختياره لجائزة الملك فيصل

استقبلت الاوساط العالمية والثقافية فى العالمين العربى والإسلامى . . . نبأ اختيار جلالة الملك فهد من قبل جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام . . . بارتياح كبير . . . لتجاوبه مع طبيعة قناعاتها بعظمة الدور الذى يضطلع به جلالته على الساحتين لخدمة العقيدة الإسلامية ونشرها فى مختلف ربوع الأرض، ورعاية شئون المسلمين، وخدمة مصالحهم فى كل مكان من هذا العالم . . .

● **حيثيات القرار :**

أولا : اجمعت اللجنة على اختيار جلالته فائزا وحيدا بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لهذا العام وذلك لما عرف به جلالته شرقا وغربا قبل توليه رئاسة الدولة وبعدها من عزيمة ثابتة وجهد صادق وعمل فى خدمة الإسلام والمسلمين فى كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . . . وغيرها وعلى الأخص فيما يأتى :

(١) جهود جلالته الخيرة فى جمع الشمل ورأب الصدع للأمة العربية والإسلامية . . . ومسعى المملكة العربية السعودية بقيادته لتحقيق التضامن الإسلامى . وما بذله ويبذله من جهود جادة ومستمرة من أجل انهاء مشكلة لبنان وتخفيف آلامه، ودعم القضية الفلسطنية . . .

(٢) اسهامات جلالته الخاصة والرسمية باسم المملكة فى كل ما يضمد جراح المسلمين من آثار المحن والكوارث ومد يد العون لجميع الأقليات الإسلامية فى بلاد العالم والوقوف بجانبها . . .

(٣) تركيز الدعوة إلى الله ونشرها وحمايتها ومساندتها بما يرسل من دعاة يتحملون أعباء هذه الأمانة فى مختلف البلاد الإسلامية وغيرها . . .

(٤) العمل المستمر فى سبيل نهضة البلاد وعمله المتميز المتواصل فى سبيل خدمة الحرمين الشريفين ورعاية وفود الرحمن وتيسير اداء مناسك الحج والعمرة إليها . . .

من هذه الحيثيات نخرج بأن اختيار جلالته جاء إقراراً لواقع قائم بالفعل فلا أحد يطاوله بل ولا أحد يمكن أن يقترب من درجته فى الوقت الراهن فيما أدى للإسلام من خدمات وفيما اسبغ على الأمة الإسلامية من رعاية وعناية . فجلالته على مسرح الأحداث العربية والإسلامية . . . بل وكذلك الدولية يصول ويجول يهدى من عقيدته الراسخة ويهدى من تعاليم الإسلام القوية . . . فهو فى كل سلوكه انما يتصرف تصرف المؤمن الذى يخشى الله ويتقيه فخشية الله تنسحب على منهاج حياته كإنسان وكمسئول . . .

● **الإسلام فى سلوك الفهـــــد :**

فمنذ أن كان جلالته وليا للعهد كانت اهتمامات جلالته إسلامية بحتة . . . ففى لقاء مع اعضاء ندوة دور المساجد فى المجتمع المعاصر والتى عقدت فى الرياض فى ١٣٩٨/٣/٨هـ أكد جلالته أن هدف المملكة نصرة الإسلام والمسلمين ونصرة العقيدة وقال جلالته : أن العالم فى جميع قاراته يحمل العرب مسئولية كبيرة تجاه نشر العقيدة . وقال : ان دفع التضامن الإسلامى والاستمرارية فى الدفاع عن العقيدة الإسلامية هى مسئولية الجميع امام الله وامام الأجيال . وأكد جلالته ان المملكة تبذل محاولة اكيدة مع الدول الصديقة فى جميع القارات لفتح مدارس إسلامية من أجل تثقيف بنين وبنات المسلمين للمحافظة على عقيدتهم ولغتهم . . . وبهذه المناسبة نذكر ان جلالته عندما كان وليا للعهد تبرع بمبلغ ٢٩٦٨٦ دولار لمشروع شراء مركز إسلامى وبناء مسجد فيه بولاية انديانا بأمريكا (فى ١٣٩٩/٨/٢٤هـ) .

وكذلك أقام جلالة الملك فهد وعلى نفقته الخاصة أيضا مشروع مسجد ومدرسة ومستوصف وصالة للألعاب الرياضية ومكتبة تضم الآف الكتب وذلك بمدينة طنجة بالمغرب (فى ١٤٠٣/٥/٢١هـ) .

هذان النموذجان لاهتمام جلالة الفهد بالدعوة الإسلامية وهو ولى للعهد ثم وهو ملك انما هما مثالان فقط . . .

وسنأخذ خطاب جلالته عندما كان وليا للعهد وذلك فى ١٣٩٨/١٢/٧هـ الذى وجهه جلالته للحجاج كنموذج لمفهوم الإسلام عند جلالة الفهد قال جلالته :

«أيها الأخوة فى الله يسعدنى وقد التقى جمعكم الكريم هذا فى أقدس البقاع وأطهرها

املا فى الرحمة ورجاء فى المغفرة وتطلعا إلى خير العواقب وإنى أرحب باسم جلالة الملك خالد وباسمى واسم اخوانكم شعب وحكومة المملكة العربية السعودية واتمنى لكم حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا . . .

أيها الأخوة فى الله ان المملكة العربية السعودية قادرة بعون الله وتوفيقه على تحمل مسئولياتها التاريخية تجاه الأمة الإسلامية والعربية تجاه الإنسانية باسرها وسعيدة بما شرفها الله من خدمة لضيوف بيته العتيق . . . ونحن ننطلق فى هذا من منطلقين هما :

أولا : تعزيز الدعوة إلى الله ونشرها والعمل على جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم ودعم قدراتهم حتى نتمكن معا من استرداد الحق التاريخى لهذه الأمة الرائدة ونجعلها من جديد فى مصاف الأمم القوية القادرة على أن تؤكد وجودها وتحقق أدوارا هامة وتساهم فى صناعة وبناء المجتمع البشرى إن شاء الله . .

ثانيا : تكريس الأمن والاستقرار فى الداخل ليكونا اساسا فى التعامل مع الغير ومنطلقا إلى خدمة الأمم الأخرى والعيش ضمن اطار الاسرة الدولية على أرفع درجات . . .

أيها الأخوة فى الله ان الأمة الإسلامية العظيمة يجب ان تقوم بدورها الصحيح الطبيعى فى انقاذ البشرية من الضلال وقيادتها من الظلام إلى النور . . .

وعلينا أن ندرك تماما بان لا عزة لنا بدون الإسلام . والخطاب يسير على هذا المنوال من وضع دستور اخلاقى يجدد منهج العمل فى المملكة العربية السعودية ونظرتها نحو الإسلام ونحو الدعوة الإسلامية ونحو الإنسان المسلم القوى القادر الذي يحيا بين حضارة تقوم على أعظم رسالة عالمية هى الإسلام ولو كان الأمر فيه متسعاً لاتينا على باقى هذا الحديث الذى يصدر من قلب مؤمن بالله محب لجميع المؤمنين والمسلمين .

وقد أكد الفهد على قوة المسلم وذلك فى حديث نشرته جريدة البلاد بتاريخ **٢٣ / ١ / ١٣٩٩**هـ وكان وليا للعهد . قال جلالته :

«إذا كان هناك خيار بين الحرب والسلم فنحن نختار السلام القائم على العدل والحق . أما إذا فرضت علينا الحرب فإننا لن نتخاذل ونبذل كل قوانا ومجهوداتنا فيها» .

وقال : جلالته أننا نؤمن دوما ان النجاح فى السلام أو فى الحرب مرهون بقوتنا كأمة وبوحدتنا وتضامنا . . .

وأشار جلالته ان القوة الحقيقية هي قوة الإنسان وقال: ان طريقنا الوحيد لحل مشكلاتنا هو تحقيق القوة فى الفرد العربى والمجتمع والقوة بتوحيد الجهود المبعثرة...

وفى حديث لمجلة نيوزويك الأمريكية ونشر فى صحيفة الرياض بتاريخ ١١/٢/١٣٩٩هـ :

كرر جلالته القول: «بأننا دعاة وحدة الكلمة وجمع الشمل على الصعيدين الإسلامى والعربى... ونحن دعاة السلام العادل الشامل الذى يرضى أصحاب الحق بالدرجة الأولى». وقال جلالته: «نحن دعاة الرخاء وتوازن الاقتصاد العالمى على ان نكون جميعا شركاء فى مسئولية اتاحة الرخاء والتوازن العالمى».

وفى كلمة ألقاها جلالة الفهد أمام أعضاء المؤتمر الجغرافى الإسلامى الذى عقد اجتماعاته فى الرياض فى ٢٢/٢/١٣٩٩هـ عندما كان وليا للعهد طالب بتصحيح العقيدة الإسلامية... والعناية بها والتجمع على اساسها إذا ما أرادوا اليوم ان ينهضوا وأكد جلالته على أهمية العقيدة الإسلامية فى جمع شمل المسلمين وتوحيد كلماتهم.

وحرصا من جلالته على سلامة القرآن الكريم فقد أصدر جلالته تعليماته وتوجيهاته إلى الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية فى ٢٦/١/١٤٠٠هـ بتعميم قرار مجلس هيئة كبار العلماء القاضى بتحريم كتابة القرآن الكريم بالحروف اللاتينية أو غيرها من حروف اللغات الأخرى - على السفارات فى الخارج لتقوم بابلاغه لجميع الجهات والهيئات والجمعيات العاملة فى مجال العمل الإسلامى لتكون على علم ودراية لما تقرر...

وفى ٣٠/٢/١٤٠٠هـ نشرت هذه الصحيفة هذا الخبر :

«أصدر صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز توجيهاته بضرورة العناية بمنطقة المشاعر حتى يمكن للمسلمين قضاء مناسكهم بسهولة ويسر بحيث تعبر هذه العناية عن تلبية احتياجات المسلمين ومتطلباتهم.

وقد تضمنت هذه التوجيهات توسعة منطقة الجمرات بمنى بزيادة عرض الشوارع الفردية لها إلى ٣٥ مترا خصوصا شارعى جلالة الملك فيصل وسوق العرب وذلك لضمان انسياب افواج ضيوف الرحمن بسهولة ويسر...

كما أصدر سموه توجيهاته بدراسة انشاء ٦ انفاق فى منطقة المشاعر لتسهيل المواصلات مما يقضى على الأختناقات وتبلغ التكاليف الاجمالية لتنفيذ هذه المشروعات ٢٠٠ مليون ريال...

وفى أول خطاب ملكى وجهه جلالة الملك فهد والذى حدد فيه ابعاد المرحلة القادمة قال جلالته (فى **٢٤** شعبان **١٤٠٢**هـ) مركزا على ضرورة التمسك بكتاب الله وسنة رسوله إذ لا تقدم إذا ما انفصلت الأمة عن تراثها الدينى والحضارى وقال: «ان الإنجاز الأساسى قبل كل شىء هو العقل فصناعة الإنسان هى الأساس فالمال يذهب والرجال وحدهم الذين يصنعون المال إننا نريد قاعدة شعبية متعلمة وهذا هو السر فى التركيز على بناء المدارس والجامعات ومعاهد التدريب . . .

وأكد جلالته على التضامن العربى والإسلامى لتحقيق رفعة الأمة الإسلامية وتمكينها من أن تبدأ وضعها الطبيعى فى العالم ولتمكينها من التصدى للأطماع والأخطار. . .

وأكد جلالته على التوجيه الإنسانى من مفهوم تردى الحضارة المادية واستبعادها عن العامل الروحى الذى يحدث التوازن والذى يحول بينها وبين النزعات الشريرة والعدوانية . . . ويتأتى ذلك بتكثيف الدعوة الإسلامية .

وفى خطاب جلالة الملك فهد امام رؤساء بعثات الحج والشخصيات الإسلامية وضيوف الرحمن فى **١٥** ذى الحجة **١٤٠٢**هـ قال جلالته :

«إننا لا نكتفى إن شاء الله بما تحقق من انجازات وسوف نواصل العمل على تطوير مناطق الحج فى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة وعلى تطوير مدينة الرسول ﷺ المدينة المنورة» .

وقال جلالته : «إننا مهما بذلنا من جهد فهو أقل من طموحنا ولايزال امامنا الكثير مما نريد عمله بعون الله وتوفيقه حتى نخفف مما يلاقيه الحاج من مصاعب ونحن نعلم مهما بذلنا من الجهود ان المشقة جزء من أداء المناسك وقد قال تعالى فى محكم كتابه: ﴿**ما كنتم ببالغيه إلا بشق الأنفس**﴾ ولاشك أن هذه إرادة الله سبحانه وتعالى ليجزل لعباده فى الأجر والثواب والمغفرة فى هذا النسك العظيم . . .

واستطرد جلالته يقول :

«اننى أعلنها صريحة امامكم انه ليس لدينا التزامات أو ارتباطات مع اية دولة أجنبية على حساب عقيدتنا أو على حساب وطننا ومواطنينا أو على حساب دولة شقيقة عربية كانت أم إسلامية .

وفى الحفل الأول لجائزة الدولة التقديرية فى الأدب فى **٢٨** محرم **١٤٠٤** دعا جلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى الأمة العربية إلى التمسك بالعقيدة الإسلامية وأكد جلالته أنه لن يكون للأمة العربية أى وزن وقيمة إلا إذا عادت إلى القاعدة الصحيحة . وهى

القاعدة الإسلامية وهكذا نرى جلالته فى كل مناسبة يدعوفيها إلى التمسك بأهداب الإسلام والقيم الإسلامية والعودة إلى الأصالة . . .

● **الاهتمام بفلسطين من منطلق إسلامى :**

تقع فلسطين عامة والقدس خاصة فى قلب اهتمامات جلالة الملك فهد وهذا الاهتمام يأتى أساسا من منطلق إسلامى لما للقدس من موقع هام فى المقدسات الإسلامية .

وقد امتد اهتمام جلالة الملك بفلسطين والقضية الفلسطينية منذ أن كان وليا للعهد .

فجلالته فى خطابه فى بون بالمانيا الغربية امام المستشار هيلموت شميث مستشار المانيا الغربية طالب الدول الأوربية بالمساهمة فى حل القضية الفلسطينية وقال :

«لاشك ان دول أوروبا تستطيع أن تلعب دورا رئيسيا وبناء فى حل هذه القضية حلا عادلا وسريعا يعيد الحق إلى نصابه والأرض إلى أصحابها ويمكن الشعب الفلسطينى من الوصول إلى حقوقه. والقدس ياصاحب الدولة لابد أن تعود إلى وضعها الطبيعى تقام فيها شعائر الأديان كما كان فى الماضى ويتم فيها الوصول إلى المثل العليا التى تنادى بها تلك الأديان ونادى بها كل الأنبياء» .

وفى تصريح لجلالته أدلى به لمندوب وكالة الأنباء السعودية حول نتائج مؤتمر القمة العربى التاسع الذى انهى اعماله ببغداد ونشرته صحيفة المدينة فى ١٣٩٨/١٢/٧هـ قال جلالته : «ان المملكة لا تقبل المساس بأى قضية إسلامية فى أى مكان ومن باب أولى القدس الشريف» .

وفى حديث نشرته صحيفة البلاد فى ١٣٩٩/١/٢٣هـ أكد جلالة الملك أن سياسة المملكة كانت ولا تزال محددة وثابتة بالنسبة للقضية الفلسطينية لا تردد فيها ولا تعديل وهى من حق الشعب الفلسطينى فى العودة إلى أرضه وتقرير مصيره وبناء دولته المستقلة وعودة الأراضى المحتلة سنة ١٩٦٧م بما فيها القدس إلى العرب وان الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى هى منظمة التحرير الفلسطينية .

وفى حديث لجلالة الفهد فى باريس أمام الصحفيين أكد جلالته ان المملكة العربية السعودية لها موقف عربى وإسلامى ثابت تجاه القدس العربية . . . وقال جلالته ان هذا الموقف يتطلب بالضرورة استعادة القدس إلى الأمة العربية سواء تم ذلك من خلال السلام أوعن طريق الحرب (فى ١٣٩٩/٦/١٨هـ) .

وفى روما أدلى جلالته بتصريح للصحفيين فى ١٣٩٩/٦/٢١هـ أكد فيه أن حل مشكلة القدس ضرورة لحل مشكلة الشرق الأوسط وأكد جلالته على عدالة القضية العربية المؤيدة من قبل الأمم المتحدة والمجتمع الدولى .

وعند وصول جلالته إلى الرياض فى ١٣٩٩/٦/٢٣هـ بعد جولة فى عدد من الدول الأوربية صرح جلالته بقوله : «القدس بالنسبة لنا حياة أو موت ولا خلافات إلا فى خيال مختلقيها فقط .

وفى حديث صحفى لجلالته لصحيفة (لوموند الفرنسية) أكد جلالته ان التزام المملكة العربية السعودية تجاه حق الشعب الفلسطينى فى العودة إلى أرضه وتقرير مصيره وضمان استقلاله يتساوى مع التزامها بالدفاع والمحافظة على سيادتها . وقال جلالته : «ان حقوق الشعب الفلسطينى جزء لا يتجزأ من تراثنا العربى والوطنى والإسلامى والاخلاقى وانه لا يمكن ان يتخلى إنسان عن كل هذه القيم» .

وقال جلالته فى حديث لمجلة الحوادث اللبنانية :
«يمكنكم أن تنقلوا على لسانى أنه لا سلام بلا القدس العربية وبلا حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره» .
وأضاف جلالته يقول : «لابد أن يمارس الفلسطينيون حقهم فى تأسيس دولة لهم مثل أى شعب مستقل أخر» .

وفى تصريح لوكالة الأنباء السعودية نشرته (عكاظ) فى ١٤٠٠/١٠/٣هـ أكد جلالته أنه لابد أن نقف جميعا وقفة واحدة فى معركة واحدة مع اسرائيل مهما طال زمنها وارتفع ثمنها وأن نضع فيها كل الإيمان والتصميم والطاقات والإمكانات وكل غال ورخيص .

وقال جلالته حول اقدام اسرائيل على اعلان كل القدس عاصمة لها أنه عندما بدأت الحركة الصهيونية مدعمة بعصاباتها الارهابية التى كان مناحم بيجن يتزعم واحدة منها باغتصاب اجزاء من فلسطين عام ١٩٤٨م اعلنت بعض الاوساط العربية حينذاك الجهاد المقدس ضد تلك الغزوة الصهيونية . . واليوم تعلن اسرائيل كل القدس عاصمة موحدة وابدية لها متحدية مشاعر العرب والمسلمين . . . فهل يلومنا العالم بعد اليوم إذا ما أخذنا الأمور بأيدينا وتصدينا للدفاع عن مقدساتنا ضد هذه الحملة الصهيونية الدينية والعسكرية .

هذا وقد قوبلت دعوة الفهد إلى الجهاد المقدس بالتأييد من العالم العربى والإسلامى كله .

وفى ١٤٠١/١/٥هـ أكد جلالة الفهد عن أهمية الجهاد المقدس وقال جلالته : «ان الدعوة إلى الجهاد المقدس لم تكن فقط دعوة المسلم إلى حمل البندقية والسيف والتوجه إلى القدس ولكنها دعوة عامة للمسلمين عموما ومن الممكن تنظيمها فى مؤتمر القمة أو المؤتمر الإسلامى حتى تكون الدعوة للجهاد دعوة كاملة .

وفى حديث جلالته لضيوف الرحمن فى ١٤٠٢/١٢/٧هـ قال : «لقد شهد العالم الإسلامى فى العام الهجرى الحالى قضايا ومشاكل بعضها جديد وبعضها قديم متجدد وتعرض لحروب وصراعات دامية وهذه الحروب والصراعات وغيرها استنزفت بلايين الآلاف من المسلمين وان أكثر هذه الأحداث مأساه واثارة للأحزان والآلام المذبحة التى تعرض لها أخواننا الفلسطينيون واللبنانيون فى مخيمى صبرا وشاتيلا فى بيروت مؤخرا ومما يزيد من عمق الأحزان ان الضحايا كانوا من المدنيين العزل من السلاح .

وبهذه المذبحة المروعة تضيف اسرائيل حلقة سوداء إلى عدوانها الشامل الاجرامى الذى قامت به هذا العام على المقاومة الفلسطينية والشعب اللبنانى . . . وانى إذ أحيى بطولة الشعب الفلسطينى والشعب اللبنانى المجاهدين الصامدين فى معركة بيروت الخالدة لآمل من قادة وشعوب الأمة الإسلامية تقديم الدعم الكامل والفعلى للمقاومة الفلسطينية ماليا وعسكريا وهى تدخل مرحلة جديدة من الكفاح» .

واستطرد جلالته يقول :

إننا نجتمع اليوم فى هذه الرحاب الطاهرة بعد ان جمع الله كلمة أمتنا العربية فى فاس ووحد صفوفها وهداها إلى هذه القرارات التاريخية ولله الحمد على جمع صفوفها وتنسيق جهودها والعودة إلى التضامن والتعاون حيث أثبت قدرتها التحدث بلغة واحدة فيها من وضوح الرؤية والتحسب لابعاد المصير ما يدعونا إلى التفاؤل بمستقبل مشرق لقضايانا إن شاء الله خصوصا إذا وضعت أمتنا الإسلامية ثقلها كما تفعل دائما مع أشقائها العرب وخصوصا إذا تحملت الدول المحبة للسلام فى العالم مسئولياتها تجاه الضغط على اسرائيل وحملها على قبول السلام العادل المنصف الذى يعطى الأخوة الفلسطينيين حقهم فى تقرير مصيرهم وحقهم فى انشاء دولتهم المستقلة بما فى ذلك عاصمتها القدس الشريف واعادة الأرض العربية إلى أهلها وضمان حق الجميع فى العيش بسلام» .

● **جلالة الملك وباكستان :**

وباكستان من الدول المسلمة تلقى التأييد من جلالة الفهد الذى يؤمن بعزة الإسلام ومنعته والذى يرى فى قوة البلاد الإسلامية قوة للإسلام نفسه .

وفى زيارة قام بها جلالة الفهد «سمو الأمير فهد فى ٢ / ٢ / ١٤٠١هـ» لباكستان صرح جلالتـه بان العـالم الإسـلامى يواجه تحديات خطيرة . وقال ان المملكة العربية السعودية قوة مساندة لباكستان المسلم . ودعا جلالته الأمة الإسلامية إلى تحكيم الشريعة فى حياتها .

وقال جلالته :

«لابـد لنـا ونحن فى مطلع القـرن الخـامس الهجرى من وقفة لالقاء نظرة كاملة بعيدة على أوضـاع المسلمـين فى كل مكـان وعلى حقـوقنـا وواجبـاتنـا وأن نعـد أنفسنـا لمواجهـة التحـديـات الخطـيرة التى نواجههـا وأن نعمل جاهدين ومؤملين بان يشهد هذا القرن عزة المسلمين واحقاق حقوقهم التى أهدرت فى القرن الماضى وان نشهد سلاما قائما على العدل فى العالم» .

«ودعـا جلالتـه كل المسلمـين إلى تحكيم كتـاب الله فى كل شئـونهم وألّا يستسلمـوا لأسباب الفرقة» .

وقال جلالته : «باكستان القوية بقوة إيمانها وعقيدة شعبها هى صمام امان للسلام» .

وقال جلالته أيضا : «المملكة العربية السعودية والباكستان متضامنتان تحت راية الإسلام» .

● **أفغانستان البلد المسلم :**

قال جلالة الفهد أثناء استقباله لاعضاء المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى فى ٤ ديسمـبر **١٩٨٣**م : «ان الأمـة الإسلامية تواجه الآن الكثير من المخاطر والتحديات ولابد من أن تصمد امام كل هذه المصاعب وأن تثبت انها أمة قوية بالحق وراسخة برسوخ العقيدة المتمكنـة فى نفـوس أبنـائهـا» . . . واردف يقـول جلالتـه : «بان الأمة الإسلامية تستطيع ان تكـرس كل عوامـل الأمن والاستقـرار والطمأنينـة فى العالم إذا تمسكت بشريعة الله وحافظت عليها وسعت إلى تبنيها فى حياتها ومعاشها ولم تنجرف وراء المادة وتفقد خصائصها المتميزة .

من هذا المنطلق يقف جلالتـه بكـل حزم وصـلابـة ضد الغـزو السـوفيتى الشيـوعى لافغانستان الدولة المسلمة وعداء جلالته للشيوعية القديم . . . ويبرز هذا العداء فى حديث جلالته عندما كان وليا للعهد فى ٨ / ٣ / ١٣٩٨هـ أمام أعضاء ندوة دور المسجد فى المجتمع .

فقد أكد جلالته ان هدف المملكة هو نصرة الإسلام ونصرة العقيدة. وأشار جلالته إلى المبادىء والعقائد الهدامة التى تحاول النيل من العقيدة فأكد ضرورة التصدى لها واظهار العقيدة الإسلامية على حقيقتها وفى اطارها الصحيح وقال أن عقيدتنا لم تمنع شيئا إلا وفيه خير للبشرية ولم تمدح شيئا إلا لصالح البشرية جمعاء .

وأضاف جلالته ان العقيدة الإسلامية استمرت شامخة رغم محاولات التصدى المتكررة التى تعرضت لها من المستعمرين فى كافة البلدان التى غزوها .

وفى حديث لجلالته لمجلة نيوزويك الأمريكية فى ١٨ / ٢ / ١٣٩٩هـ قال جلالته : «ان المملكة لا تغير مبادئها فى تطبيق الشريعة السمحاء ومحاربة الالحاد . . . نحن دعاة سلام ولكن نسعى للسلام المبنى على العدل .

وفى ٢ / ٢ / ١٤٠١هـ توجه جلالته اثناء زيارته لباكستان إلى مدينة بيشاور ولاهور للالتقاء بالمجاهدين الافغان وصرح جلالته : «ان على الاتحاد السوفيتى ان يرحل عن افغانستان وان ينسحب من الأراضى الافغانية حتى يتمكن الشعب الافغانى من ان يحكم نفسه بنفسه» .

وقال الفهد امام اللاجئين الافغان فى ٣ / ٢ / ١٤٠١هـ : «ان الازمة الافغانية جرح عميق فى العالم الإسلامى» .

وردا على سؤال عن المساعدات التى تقدم للاجئين الافغان قال جلالته : «هذا واجب إسلامى ونأمل ان تنتهى هذه المشكلة ويترك الشعب الافغانى فى تقرير ما يريده بنفسه وفى نفس الوقت نأمل من جميع الدول ان تساعد الشعب الافغانى سواء فى الداخل أو فى الخارج بالمساعدات الأستثنائية مثل المواد الغذائية والطبية وما يحتاجه الإنسان واعتقد ان هذا شىء مجاز فى أى ظروف كانت ومن المعروف ان الشعب الافغانى يحتاج إلى مثل هذه الأمور وبالأخص اللاجئين الافغان إلى الباكستان حيث لمست حاجتهم إلى مثل هذه الأمور» .

وفى البيان السعودى الباكستانى المشترك الذى أذيع فى إسلام آباد والرياض عقب انتهاء زيارة جلالة الفهد لباكستان جاء تأكيد حق تقرير المصير للشعب الافغانى ومساندة نضاله العادل ودعا البيان القوى العظمى إلى عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأعضاء .

وفى كلمة جلالته إلى حجيج بيت الله فى ١٤٠٢/١٢/٧هـ قال جلالته عن أفغانستان :

«وفى ناحية أخرى من العالم الإسلامى يحارب أخوة لكم فى افغانستان من أجل دينهم والمحافظة على استقلالهم وان حركة المقاومة الافغانية تستحق من العالم الإسلامى وكل الشعوب المحبة للسلام التأييد الكافى لتحقيق أهدافها فى الحرية والسيادة .

كما أننا نتطلع ان يأخذ قادة الاتحاد السوفيتى بعين الاعتبار مشاعر العالم الإسلامى تجاه هذه القضية وتأثير ذلك على علاقته ببلادهم وفى مقدمة هذه الاعتبارات حق افغانستان فى تقرير المصير والمحافظة على استقلاله .

● **الدعوة إلى سوق إسلامية مشتركة :**

كان جلالة الفهد من أول الداعين لإقامة سوق إسلامية مشتركة وفى ذلك قال جلالته :

«إذا ما نظرنا إلى اقتصاديات الشعوب الإسلامية نجد أن كثيرا من البلاد الإسلامية تعانى من زيادة السكان والبطالة والتضخم .

وهذا الوضع يدعونا إلى النظر بجدية إلى اقامة سوق إسلامية مشتركة ومنح الأفضلية والأولوية فى التجارة وتشغيل العمال والاستثمارات بين الدول الإسلامية وسيكون لذلك إن شاء الله أثر مهم فى تخفيف المشاكل الاقتصادية فى الدول الإسلامية وزيادة المنافع بين المسلمين وتقوية الروابط الإنسانية والسياسية بينهم وتقليل الاعتماد على الاخرين» .

من هذا المنطلق دعت المملكة فى مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامى الرابع عشر الذى انعقد فى دكا فى اوائل ربيع أول سنة ١٤٠٤هـ إلى أن يولى الجانب الاقتصادى اهتماما بالغا أصبح حقيقة بارزة وملموسة وذلك بمساعدة الدول الإسلامية عن مجابهة الصعوبات التى تعترضها لانجاز مشاريع تنتجها وقد استعرض مندوب السعودية فى المؤتمر ما تم من انجازات فى هذا المجال من خلال المجهودات التى بذلت عبر منظمة المؤتمر الإسلامى واللجان والمؤسسات المختلفة التى كرستها لهذه الاغراض مثل البنك الإسلامى للتنمية وصندوق التضامن الإسلامى وأكد أن المملكة قد أدت واجبها ووفت بجميع التزاماتها وبما وعدت بتقديمه وهو مبلغ ١٠٠٠ مليون دولار الذى أعلنه جلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى أثناء انعقاد مؤتمر القمة الإسلامى فى مكة المكرمة والذى خصص لدعم برنامج التنمية .

وقال رئيس وفد المملكة فى المؤتمر ان مجموع القروض الانمائية الميسرة التى اعتمدها الصندوق السعودى للتنمية للدول الإسلامية منذ اعلان مكة المكرمة حوالى ٥٢٣٢ مليون ريال سعودى خصصت للمساهمة فى تمويل ٧٣ مشروعا فى ٢٥ دولة من دول الاعضاء فى

منظمة المؤتمر الإسلامى بالاضافة إلى ما تقدمه المملكة بصورة مباشرة للدول الإسلامية من مساعدات غير مستردة وقروض نقدية ميسرة. مؤكدا ان المملكة العربية السعودية بقيادة جلالة الفهد لم ولن تتوقف عن بذل كل جهد وسلوك كل سبيل يؤدى إلى تدعيم هذا التعاون وتقويته وترسيخه إلى الغاية التى يرنو إليها كل مسلم.

● **الإسلام والسلام :**

وحول سؤال عن ما إذا كان فى نية جائزة الملك فيصل التوسع وايجاد جوائز جديدة فى ميادين جديدة واستحداث جائزة للسلام فى ظل ظروف الحرب التى تضم اجزاء كثيرة من العالم قال سمو الأمير خالد الفيصل : ان كل الجوائز العالمية المنبثقة عن جائزة الملك فيصل هى جوائز للسلام. فخدمة الإسلام جزء من السلام فالإسلام يدعو إلى السلام والمحبة والاخاء والتعايش السلمى بين أبناء البشر.

فالجائزة التى نالها بحق جلالة الفهد وهى جائزة خدمة الإسلام إنما هى أيضا جائزة للسلام. وجلالة الفهد بذل فى سبيل السلام مالم يبذله أحد قط. فهو فى خدمة الإسلام كان يسعى إلى السلام والتضامن والوفاق بين الشعوب الإسلامية.

● أليس هو الذى سعى للوفاق والسلام بين سوريا والأردن.

● أليس هو الذى سعى إلى السلام والوفاق بين سوريا والعراق.

● أليس هو الذى سعى إلى السلام وحقن الدماء وانهاء الحرب العراقية ـ الايرانية والتى قال عنها أنها لا تخدم هدفا وليس فيه منتصر ومنهزم وأنها دماء تسيل بغير طائل وكان اجدر بها ان تسيل من أجل استعادة الحقوق المسلوبة فى فلسطين.

● أليس هو الذى حقن دماء الطوائف اللبنانية المتشاحنة فى لبنان وأن السلام الذي ينعم به اللبنانيون الآن فى هذه الهدنة إنما هو من صنع يديه الكريمتين.

● أليس هو الذى حقن دماء الفلسطينين الذين اقتتلوا فيما بينهم من غير طائل ولا هدف.

إن جلالة الملك بحق صانع السلام فى هذا العصر ولذلك استحق جائزة خدمة الإسلام. لكل هذا فإن الجائزة... اعتراف بالجهود الكبيرة التى صنعت الاستقرار والسلام... بدافع من اخلاقيات القرار السعودى الذى يعمل على تكريسه جلالة الملك فهد.

وهى فى نفس الوقت تعبير مخلص من مؤسسة علمية كبيرة... فى عالمنا الإسلامى عما تكنه الشعوب الإسلامية لشخص جلالة الملك فهد من عرفان ومن اعزاز لخدمة قضاياها ورعاية شئونها...

« **جريدة عكاظ** »

إعداد الشيخ محمود محمد سالم

جائزة الملك فيصل العالمية

صاحب الجلالة المعظم فهد بن عبد العزيز

ينال الجائزة فى مجال خدمة الإسلام

●● أعلن يوم الأربعاء الموافق الثالث من ربيع الأول ١٤٠٤هـ أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية. وقد اهتمت الأوساط العلمية والثقافية فى العالم العربى والإسلامى والمحيط الدولى بخبر الإعلان عن أسماء الفائزين بهذه الجائزة ذلك لما جاء فيهم من شخصيات لها تأثيرها الفعال فى مجريات الأحداث السياسية والأدبية والثقافية والعلمية .

فقد حصل جلالة الملك فهد بن عبد العزيز المعظم حفظه الله على جائزة الملك فيصل العالمية فى مجال خدمة الإسلام - فقد قدرت لجنة الاختيار ما قام به جلالته من جهود وعمل دءوب فى خدمة الإسلام والمسلمين فى كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

●● وفاز الشيخ مصطفى الزرقا بجائزة الملك فيصل للدراسات الإسلامية لما قام به من دراسات علمية دينية قامت على إبراز سمو الشريعة الإسلامية بمقارنة الفقه الإسلامى بالقانون وقد قدم هذه الدراسة فى موسوعة فقهية رائعة، وفضيلته عضو بارز فى المجمع الفقهى منذ إنشائه ١٣٩٨هـ وقدم للمجمع عدة دراسات فقهية فى مواضيع معاصرة .

●● وفاز الأستاذ محمود محمد شاكر بجائزة الملك فيصل فى مجال الأدب العربى على كتابه الممتع «المتنبى» والأستاذ شاكر من أعلام الحركة الفكرية والأدبية فى العالم العربى وقام بجهد بارز مشكور فى مجال خدمة التراث العربى والإسلامى. بما حققه من كتب الأدب واللغة والشعر .

●● ومنحت جائزة الطب مناصفة بين كل من الأستاذ جون س فوردتران رئيس قسم الأمراض الباطنية بكلية الطب بجامعة بيلر فى دالاس تكساس بالولايات المتحدة

الأمريكية . ونُصِّفَتْ جائزة الطب بينه وبين المجموعة المكونة من الدكتور وليام جرينوف مدير مركز أمراض الإسهال العالمى فى بنجلاديش ، والدكتور مايكل فيلد الأستاذ بقسم المعاقين ووظائف الأعضاء بجامعة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية .

●● ومنحت جائزة الملك فيصل العالمية فى مجال العلوم مناصفة بين اثنين من علماء الفيزياء أحدهما العالم الالمانى جيرد بيننج . وثانيهما العالم السويسرى هايزيخ روهرر .

هذا وإن اجماع لجنة الاختيار على اختيار صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز للجائزة فى مجال خدمة الإسلام لهو اعتراف من الأمة الإسلامية بالخدمات والأعمال الجليلة التى يوالى جلالته تقديمها للإسلام ومد يد العون للمسلمين فى جميع أنحاء الأرض ووقوفه بجانبهم ونصرة قضاياهم .

والفوز بهذه الجائزة لا ترجع قيمته إلى الجانب المادى بل إلى الجانب المعنوى الذى يقدم برهان وفاء من الأمة الإسلامية للعاملين بإخلاص وصدق فى سبيل اعزازها وتوحيدها تحت راية الإسلام .

قرارات وتوصيات

مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية

أنهى وزراء خارجية الدول الإسلامية مؤتمرهم الرابع عشر فى يوم الأحد ٧ ربيع الأول ١٤٠٤هـ فى دكا عاصمة بنجلاديش واتخذ الكثير من القرارات والتوصيات التى تناولت أهم القضايا التى تشغل أذهان المسلمين فى العالم الإسلامى .

● فقد ندد المؤتمر بالتدخل العسكرى السوفيتى المستمر فى افغانستان وناشد الدول الاعضاء مراعاة سيادة افغانستان وهويتها الإسلاميه .

● واثنى المؤتمر على الأعمال التى تقوم بها لجنة التضامن الإسلامى مع شعوب الساحل الافريقى وما تقوم به اللجنة المنبثقة عنها واقرت برنامجها وتوصياتها . وحث المؤتمر الدول الإسلامية إلى الاستجابة إلى النداءات التى توجهها اللجنة للحصول على مساعدات والعمل على تنفيذ البرامج التى وضعتها بلدان الساحل المتضررة من الجفاف .

● وناشد المؤتمر الدول الأعضاء جعل فلسطين وجغرافيتها مادة اجبارية فى المناهج الإسلاميه .

● وأدان المؤتمر المشروع الإسرائيلى لشق قناة تربط البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر مؤكداً أن هذا المشروع يشكل عدواناً على الحقوق المشروعة والموارد الطبيعية والمصالح الحيوية للشعب الفلسطينى والأردن فضلاً عن كونه يهدد السلام والأمن .

● فيما يتعلق بمسلمى الفلبين دعا المؤتمر حكومة الفلبين إلى تطبيق اتفاقية طرابلس والبدء فى اجراء مفاوضات مع جبهة مورو، وطلب من جبهة مورو ومن قادتها اتخاذ موقف موحد قبل البدء فى المفاوضات .

● دعا المؤتمر الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى إلى مواصلة تنفيذ خطة الاعلام التى وافق عليها المؤتمر الإسلامى الحادى عشر وحث الدول الأعضاء على تقديم مساهمة طواعية لتنفيذ هذه الخطة .

● وفى مجال الاتصالات أوصى المؤتمر الدول الأعضاء بخفض تعريفة استخدام قنوات الاقمار الصناعية إلى مستوى يناسب موارد وكالات الأنباء لتيسير وسائل الاتصال الحديثة أمام وكالة الأنباء الإسلامية الدولية .

● وأحاط المؤتمر الوزراء بالتوصية المقدمة للجنة الدائمة للشئون الإعلامية والثقافية بخصوص عقد اجتماع لوزراء الإعلام بهدف بحث مشكلات وكالات الأنباء عن كثب . . . واتخاذ التدابير اللازمة لتعزيز وضع وكالة الأنباء الإسلامية الدولية .

● وفيما يتعلق بمنظمة اذاعات الدول الإسلاميه اعرب المؤتمر عن تقديره للمملكة والكويت والدول الأخرى التى قدمت اسهامات طواعية لدعم نشاطات المنظمة وبرامجها .

الكيان الصهيونى :
يهدد أمن العالم الإسلامى ويهدد سلام العالم

أكد مندوب المملكة سمير الشهابى فى كلمة ألقاها مساء الجمعة ٥ ربيع الأول ١٤٠٤هـ «١٠ ديسمبر ١٩٨٤م» أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة التى تناقش الأوضاع فى منطقة الشرق الأوسط. أكد أن الصهيونية العالمية والكيان الصهيونى يتحملان مسئولية الجرائم ضد الفلسطينيين فى الأراضى العربية المحتله ودول وشعوب الشرق الأوسط. ونقد مندوب المملكة بالجرائم التى يرتكبها هذا الكيان فى الضفة الغربية وغزة وبالمجازر التى تقوم بها فى لبنان ضد كل العرب من فلسطينيين ولبنانيين وسوريين ودعا الذين يقدمون العون

للكيان الصهيونى وخاصة الولايات المتحدة إلى وقف هذا الدعم الذي سيؤدى إلى استمرار هذا العدوان على الدول العربية .

وأضاف إن هذا الكيان الإسرائيلى يهدد أمن المنطقة وهو ما أكدته قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن وتشهد به أعمال إسرائيل العدوانية المستمرة . . . وإن أمن المنطقة يرتكز على السلام العالمى الذى برهن العرب على أنهم دعاته . على شرط أن يكون سلاما قائما على الحق والعدل . ولكن الصهيونية لا تكف عن استخدام كل صور الإرهاب . وليس السلام من مخططات اليهود والصهيونية العالمية ومن الحق أن نقول .. ان هذا العدو الشرس تسانده كل قوى الشر والعدوان من الصهيونية العالمية والاستعمار الغربى بكل اتجاهاته ومسمياته التى تجمعها الصليبية الحاقدة على الإسلام والمسلمين . والشيوعية والالحاد . . . ولا علاج لهذه المأساة إلا بوحدة إسلامية شاملة تصد هذه الأطماع وتردع هذا العدوان . فمتى يتوحد المسلمون . . ؟ وكيف . . ؟ هذا ما ستجيب عنه الأيام . . .

القاديانية الكافرة : تسعى لهدم الشريعة الإسلامية

بعث معالى الدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى رسالة هامة عاجلة إلى المسلمين عامتهم وخاصتهم يحذرهم من فتنة الجماعة المساة «بجماعة الأحمدية : القاديانية» .

وجاء فى هذه الرسالة : لا يخفى عليكم أن جماعة الأحمدية «القاديانية» طائفة كافرة تتعاون مع الدول الاستعمارية ، وتسعى إلى هدم الشريعة الإسلامية . وتتستر باسم الإسلام لتضليل المسلمين وتمزيق وحدتهم .

وأضاف معاليه : قد صدر بشأنها قرارات عديدة تؤكد على خروج هذه الطائفة من الإسلام واعتبارها فئة غير إسلامية ، ومنها القرار الصادر من حكومة باكستان **١٣٩٤**هـ والمؤكد بآخر عام ١٤٠٠هـ وكذا بشأنها قرارات اتخذها مؤتمر المنظمات الإسلامية العالمية الذى انعقد بمكة عام **١٣٩٤**هـ ومجلس المجمع الفقهى الإسلامى برابطة العالم الإسلامى .

نداء الملك فهد إلى الإخوة المتقاتلين فى لبنان

نقلت وكالة الأنباء السعودية فى نهاية الأسبوع الثانى من شهر صفر نداء صاحب الجلالة الملك المفدى فهد بن عبد العزيز حفظه الله إلى الإخوة العرب المتقاتلين على أرض لبنان .

ويسرنا أن نسجل هذا النداء الصادر من قلب رجل مؤمن يشعر بالمسئولية تجاه إخوانه العرب والمسلمين فى كل مكان :

بسم الله الرحمن الرحيم : إخوانى أبناء الشعب العربى على أرض لبنان :

أخاطبكم اليوم مجددا باسم جميع ما يصل بيننا فى المملكة العربية السعودية وبين كل فرد منكم على أرض لبنان . وفى كل موقع نضال فلسطينى من روابط العقيدة والدم والعرق واللغة والتاريخ . أخاطبكم من أعماق قلب عربى أدمته المأساة التى حلت بأبناء الأمة العربية فى أكثر من بقعة على صعيد المنطقة . ولعل أكثرها خطورة وأشدها ألما ما يحدث الآن فى مدينة طرابلس . وحول المخيمات الفلسطينية شمال لبنان . رغم قرار وقف القتال ، وما يتكرر كل يوم فى مختلف الجبهات اللبنانية من قتال عنيف ودمار ساحق مخيف رغم الاتفاق اللبنانى الشامل على وقف إطلاق النار . . .

أيها الاخوة : إن على لسان كل عربى يعيش اليوم فى هذا العالم سؤالا يتردد حتما كل صباح ومساء . سؤال حائر يتكرر: لماذا يراق الدم العربى بيد يجرى فى عروقها الدم نفسه؟ . لماذا يحرق العربى أرضه ، ويشتت أهله ، وينسف داره؟ .

ماذا نقول للعالم الغربى الذى يراقب صراع الأشقاء الدامى ثمانية أعوام فى لبنان . . ؟ وكيف نقنع دول هذا العالم بعدالة قضيتنا وكيف نطالبه بالوقوف معنا لاسترداد أرضنا وحقوقنا وأوطاننا إذا نحن لم نستطع أن نعدل بين أنفسنا لنصرة قضايانا . . ؟ .

أيها الاخوة فى لبنان : وعلى أرض القتال : لقد رأينا منذ أيام شعاعا من الأمل يضيء الدروب أمامكم إثر وقف القتال والتقاء قادتكم لأول مرة منذ بدء المأساة على كلمة سواء بينكم عليها تجتمعون ، ومنها تنطلقون للبحث عن أفضل الوسائل للعيش فى ظل رفاه وطنى شامل . وأخشى ما أخشاه أن يضيع من أعيننا هذا الشعاع قبل رؤ ية الطريق السوى لمسيرة العودة والمحبة والصفاء على طريق الوحدة المتكاملة .

أيها الاخوة الأشقاء : أليس من الأجدر بنا أن ندخر شبابنا ونحتفظ بسلاحنا وقدراتنا، وقواتنا لمواجهة أعداء الأمة العربية والإسلامية فى معركة المصير بدلاً من أن يستدرجنا العدو الجاثم على صدورنا لاستنفاد طاقاتنا البشرية والآلية كى ينقض علينا بعد ذلك حيث لا خيل لدينا ولا رجل . . ؟ .

إنى أصارحكم اليوم بكل صدق ووفاء بأنى لا أكاد أجد أى سبب أو دافع يبر ر ما يجرى الآن على أرض لبنان مهما كانت الأسباب والدوافع ، بل لا أكاد أعتقد بوجود عامل خارجى يبيح للأخ سفك دم أخيه ، ولنفترض جدلا بوجود عامل أو آخر فأين رجاحة العقل . . ؟ وأين الحكمة فى وزن الأمور وضبط المشاعر، وكبح جماح النفس برفض تلك العوامل والدوافع مهما كانت أنواعها ومصادرها فمن البطولة الإيثار فى ساحات القتال، ومن أرقى مراتب القيادة إنكار الذات . . .

أيها الاخوة هل نسينا العدو المتر بص من حولنا؟ أم تناسينا نضالنا من أجل تحرير القدس وتطهير كل شبر من أرضنا فى كل موقع دنسه العدو بأقدامه؟ .

لنا حقوق مشروعة يعرفها العالم بأسره فإن نحن أضعناها فى خضم صراعاتنا وخلافاتنا فكيف نطالب بها؟ ومن نطالب ؟ .

أيها الاخوة : لا أخاطبكم اليوم من موقع مسئوليتى كخادم للحرمين الشريفين فحسب ولكنى أخاطبكم بوصفى الأخ العربى الشقيق لكل فرد منكم أشارككم الأفراح والأتراح وأشاطركم الآلام والآمال وأتطلع وإياكم إلى يوم النصر على خطى وحدة المصير. كما أوجه ندائى المخلص بعد ذلك لجميع زعماء وقادة الأمة العربية أن يبادروا لعمل فورى موحد لوقف هذه المأساة الدامية التى كلما أوقفنا نزيف شريان منها انفجر فيها شريان جديد وعلينا أن نواصل جهادنا ونكثف جهودنا فى غير ما يأس أو تهاون حتى يحقق الله آمالنا ، ويسدد خطانا على طريق الخير لكل شعوبنا والله وحده القادر على تأليف القلوب . ومنه النصر وإليه المصير .



تعيينات فى المناصب العليا فى الجامعة

الأمين العام للجامعـــة

صدر قرار مجلس الوزراء رقم «٢٣١» فى ١٤٠٣/٩/٩ هـ بتعيين فضيلة الدكتور محمد حمود الوائلى أمينا عاما للجامعة الإسلامية لمدة ثلاث سنوات. وبلغ هذا القرار بخطاب معالى وزير التعليم العالى رقم ٨٠٣٤/٥/٥/٣٩ فى ١٤٠٣/١٠/٢٢هـ ومعه خطاب رئيس ديوان مجلس الوزراء رقم ٧/ع/٢٤٤٩ فى ١٤٠٣/١٠/١٨هـ المبلغ لقرار مجلس الوزراء.

وكان فضيلته يشغل منصب رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة بعد أن شغل منصب عميد كلية الشريعة لعدة سنوات . . .

نائب رئيس الجامعـــة

كما صدر قرار مجلس الوزراء رقم «٨» فى ١٤٠٤/١/٢٥هـ بتعيين فضيلة الشيخ صالح العبد الله المحيسن نائبا لرئيس الجامعة الإسلامية وذلك لمدة ثلاث سنوات.

وفضيلته أحد الكفاءات العلمية والاذارية الممتازة. وقد شغل منصب عميد كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة لعدة سنوات. وقد اشترك فى إعداد النظام الأساسى واللائحة التنفيذية والمناهج الدراسية فى الجامعة.

ضيوف ووفود فى زيارة الجامعة

●● زار الجامعة الإسلامية خلال الأشهر الثلاثة الماضية المحرم وصفر وربيع الأول ١٤٠٤هـ الشخصيات والوفود التالية :

● وفد تونس يتكون من ٢٥ عضوا تلبية للدعوة الموجهة إليه من الرئاسة العامة لرعاية الشباب فى المملكة، وقد اجتمع الوفد مع فضيلة الدكتور محمد بن حمود الوائلى الأمين العام

للجامعة وفضيلة الشيخ عوض الشهرى عميد شؤ ون الطلاب . . . كما قام الوفد بزيارة المكتبة المركزية واطلع على قسم المخطوطات بها .

● سماحة الشيخ الحبيب بلخوجة مفتى تونس بعد أن شارك فى لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية وقد اجتمع سماحته مع معالى الدكتور عبد الله العبيد رئيس الجامعة ومع فضيلة الدكتور محمد بن حمود الوائلى أمين عام الجامعة .

● وفد من ماليزيا يمثل معهد السلطان زين العابدين للدراسات العربية والإسلامية . . . وقد التقى الوفد بمعالى الدكتور عبد الله الصالح العبيد رئيس الجامعة ومع فضيلة الشيخ محمد بن ناصر السحيبانى عميد القبول والتسجيل ومع الشيخ مصطفى القناص مدير شعبة اللغة العربية لغير الناطقين بها . وبحث الوفد مع المسئولين فى الجامعة مدى إمكان حصول بعض طلاب المعهد على منح دراسية ومعادلة شهادة المعهد لدى الجامعة .

● سعادة الأستاذ ناصر الدغيشم الملحق التعليمى بسفارة الكويت بجدة والتقى مع فضيلة الأمين العام وعميد القبول والتسجيل وعميد شؤ ون الطلاب .

● الشيخ أيوب شريف إمام مسجد بليبريا . والشيخ كوكو تمارا عضو الجمعية الإسلامية بغينيا . ووفد من مسلمى تركستان والتقوا بكبار المسئولين بالجامعة وزودوا بكتب دينية مما يقوم مركز شؤ ون الدعوة بتوزيعه على ضيوف الجامعة .

● كما استقبلت الجامعة وفد الأدباء العرب الذين شاركوا فى حفل جائزة الدولة التقديرية للأدب وأقامت الجامعة حفلا ترحيبيا بهذه المناسبة .

رسائل الماجستير والدكتوراه من قسم الدراسات العليا بالجامعة

● فى مساء يوم الخميس ١٤٠٤/١/٧هـ نوقشت رسالة الماجستير المقدمة من الطالب : إبراهيم أحمد سليمان . عمانى الجنسية . وموضوعها : «الأهلية عند الأصوليين وعوارضها المكتسبة» . وتكونت لجنة المناقشة من الدكتور عبد العظيم فياض ، والدكتور يوسف عبد المقصود ، والدكتور جلال بن عبد الرحمن .

● وفى مساء يوم الخميس ١٤٠٤/١/١٤هـ نوقشت رسالة الماجستير المقدمة من الطالب : سليمان بن صالح الحزى . سعودى الجنسية . وموضوعها : «التشريعات الاجتماعية فى سورة النور» . وتكونت لجنة المناقشة من الشيخ عبد القادر شيبة الحمد والشيخ أبو بكر الجزائرى والدكتور أحمد إبراهيم مهنا .

● وفى مساء يوم الخميس ٢١ / ١ / ١٤٠٤هـ نوقشت رسالة الماجستير المقدمة من الطالب : حمود بن أحمد بن فرج الرحيلى . سعودى الجنسية . وموضوعها : «منهج القرآن فى دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام» . وتكونت لجنة المناقشة من الدكتور عبد المنعم حسنين والدكتور محمد إبراهيم الجيوشى والدكتور جمعه على الخولى .

● وفى مساء يوم الخميس ٢٧ / ١ / ١٤٠٤هـ نوقشت رسالة الدكتوراه المقدمة من الطالب : على الشيخ أحمد أبوبكر . صومالى الجنسية . وموضوعها : «الدعوة الإسلامية المعاصرة فى القرن الافريقى» . وتكونت لجنة المناقشة من الدكتور عبد المنعم حسنين والدكتور محمد إبراهيم الجيوشى . والدكتور سيد نعمان عبد الرازق .

● وفى مساء يوم الخميس ١٨ / ٣ / ١٤٠٤هـ نوقشت رسالة الدكتوراه المقدمة من الطالب : محمد يوسف عيد . صومالى الجنسية . وموضوعها : «المنافقون فى القرآن الكريم» . وتكونت لجنة المناقشة من الدكتور أحمد إبراهيم مهنا والدكتور محمد سيد طنطاوى والدكتور محمد أحمد القاسم .

نشاط الموسم الثقافى بالجامعة

١ ـ نظمت عمادة شؤ ون الطلاب ندوة مفتوحة يوم الأربعاء ٢٧ / ١ / ١٤٠٤هـ فى بداية الموسم الثقافى شارك فيها : فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد رئيس المجلس العلمى وفضيلة الشيخ عبد الله محمد الغنيمان رئيس قسم الدراسات العليا . وفضيلة الشيخ على عبد الرحمن الحذيفى وكيل كلية القرآن الكريم بالجامعة ، وحضر الندوة كثير من طلاب الجامعة ومنسوبيها، وأجاب أصحاب الفضيلة على ما قدمه الطلاب من أسئلة واستفسارات .

٢ ـ وألقى فضيلة الشيخ أبوبكر الجزائرى الأستاذ المشارك بقسم الدراسات العليا بالجامعة محاضرة موضوعها : «علة الحياة وسر الوجود» . وذلك عقب صلاة المغرب من يوم الأربعاء ٥ / ٢ / ١٤٠٤هـ بقاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة .

٣ ـ وفى يوم الأربعاء ١٢ / ٢ / ١٤٠٤هـ ألقى فضيلة الشيخ عبد الفتاح عشماوى المحاضر بكلية الحديث محاضرة وموضوعها : «أحلام تقع أم هى أضغاث» . بقاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة .

٤ - كما ألقى فضيلة الدكتور مرزوق بن هياس الزهرانى عميد كلية الحديث الشريف محاضرة موضوعها : «كيف تدعو إلى الله عز وجل» . وذلك عقب صلاة المغرب يوم الأربعاء ١٤٠٤/٢/١٩هـ فى إطار الموسم الثقافى الذى تنظمه عمادة شئون الطلاب .

٥ - وفى مساء يوم الأربعاء ١٤٠٤/٢/٢٦هـ ألقى فضيلة الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمى الأستاذ المساعد بكلية الحديث الشريف بالجامعة محاضرة وموضوعها : «دراسة الأديان فى ضوء القرآن» .

٦ - وفى مساء يوم الأربعاء ١٤٠٤/٣/٣هـ ألقى فضيلة الدكتور صالح بن سعد السحيمى محاضرة وموضوعها : «منهج السلف فى العقيدة وأثره فى وحدة المسلمين» .

٧ - وفى مساء يوم ١٤٠٤/٣/١٠هـ ألقى فضيلة الدكتور عبد الله بن أحمد قادرى رئيس قسم شعبة الفقه بالدراسات العليا محاضرة وموضوعها : «منطلقات إسلامية للكفاءة الإدارية» . وذلك بقاعة المحاضرات فى إطار الموسم الثقافى .

رؤساء الشعب فى الدراسات العليا

أصدر معالى رئيس الجامعة قرارا بتعيين رؤساء للشعب فى قسم الدراسات العليا على النحو التالى :

- فضيلة الدكتور : عبد الله بن أحمد قادرى رئيسا لشعبة الفقه .
- فضيلة الدكتور : محمد أمان على الجامى رئيسا لشعبة العقيدة .
- فضيلة الدكتور : جلال الدين عبد الرحمن رئيسا لشعبة أصول الدين .
- فضيلة الدكتور : محمد عبد الله قناوى رئيسا لشعبة اللغويات .

محتويـــــات العـــــدد

محتويـــات العـــدد

الموضـــــــــوع		الصفحة

مجلة الجامعة الإسلامية

لا تلتزم برد البحوث والمقالات التي لم تنشر إلى كتابها ولا بإبداء أسباب عدم نشرها.

﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾ (النساء : ٨٧) .

i.e. "And whose word is truer than Allah's"? (IV, 87) .

Ninthly and lastly: Legislation in Islam has been entrusted to highly qualified Scholars "Mujtahideen" who are well conversant with disciplines pertaining to the holy Quran and the Sunnah, and are thus capable to adopt the appropriate religious viewpoints, and deduce the suitable rulings according to the ever-recurring events in the lives of Muslims .

These have been some of the great characteristics of Islamic legislation. I have endeavoured to highlight them so that it will be easy for the reader to get some glimpses of the excellence and grandeur underlying the Message of Allah, namely, the Faith of Islam. I sincerely hope that this modest effort will help enlighten the hearts and minds of those who aspire, truly, to reach the truth.

May Allah, the Creator of the Universe, guide us all along the path of righteousness and piety .

N.B. The reader may kindly refer to the Arabic Text for further details .

grieves him that you should perish, Ardently anxious is he over you, to the believers is he most kind and merciful (IX 128) .

The prophet P.B.U.H. says: "whosoever treats others mercilessly, will be treated likewise". He forbade the killing of female infidels, the aged, children, worshipping monks unless they share in the warfare .

Fourthly : Another characteristic of Islamic legislation is its practicability with ease so as to relieve Muslims from embarrassment. This is quite manifest in many verses and traditions. Allah the Almighty says,

﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (البقرة: ١٨٥) .

"i.e. Allah intends every facility for you; He does not want to put you to difficulties". (II, 185) .

The Prophet, P.B.U.H., says "make things easy and do not mak them difficult" .

Fifthly : Wisdom which is defined as placing things in their proper places.(1) In fact, wisdom is considered the keynote of the vast body of Islamic legislation in many a place. This is obvious in ordinances bearing on inheritance, penalties, alms-giving, etc..

Sixthly : Immortality and constancy of Islamic Shari'a. It is everlasting till Doomsday, as it is not subject to modification or alteration. Meanwhile, its rulings are so flexible that they are applicable at all times and places. Islamic Shari'a, indeed, is like a tree, that is firm in roots and movable in branches .

We had better refer, in this regard, to Ibn Al-Qaim who has dealt with this subject in detail in his book "I'ilam al Muwaqq'een" .

Seventhly : Caring for worldly life as much as for the Here-after. No doubt, Islamic institutions are based on deep faith in Allah, His angels, His apostles, His scriptures, the Last Day, Predestination, Resurrection, and accountability for one's deeds on the Day of judgement, be they good or evil, even if one manages to escape punishment in this temporal life. This belief, naturally, helps to curb a Muslim's evil propensities and develops his good, virtuous inclinations. That is why religious injunctions and prohibitions appeal to both heart and mind .

In addressing the believers, the Quranic verses abound in such phrases as, "if you reason" "if you are pious" "if you remember", "that who believes in Allah, and the Last Day. etc...

Eighthly : Infallibility and truthfulness. Being divinely revealed, Islamic Shari'a is characterized by infallibity. It is immune against interpolation and distortion. Allah, the Almighty, says :

---

(1) Vide "Method and wisdom of Islamic legislation" by Sheikh Muhammad Al-Shanqeety .

To sum up, the comprehensiveness and universality of the Message of Islam is quite manifest, as it is addressed to all humanity at large, for all times and all places. All creatures, be they human beings or Jinns, living on earth or other planets, are bound to adhere to it, for Allah the Almighty says :

﴿وما خلقت الانس والجن إلا ليعبدون﴾ (الذاريات : ٥٦) .

"i. e. I have only created jinns and men, that they may serve Me" (II,56) .
And :

﴿قل يا أيها الناس انى رسول الله إليكم جميعا﴾ (الأعراف : ١٥٨) .

"i.e. Say, O men! I am sent unto you all" (VII,158) .

Secondly : Another feature of Islamic legislation is: -
Justice which is exclusively incomparable to man-made laws. For, so long as we firmly believe in the divine origin of Islamic Shari'a, that is, it has been revealed by Allah the Almighty of whom perfect Justice is one of His sublime attributes, so, the rulings of this Shari'a must naturally be equitable and fair, particularly in two respects :

I As regards juristic judgements and laws deduced by Muslim Scholars through reasoning and analogy on matters that were not explicitly dealt with either in the holy Quran or the Sunnah, as in the case of promulgating rules and regulations relating, for instance, to municipalities, traffic, labour, etc... the legislator must all the time, be motivated by a keen sense of justice and impartiality taking the general weal of the people into consideration. Thus, all laws should be in harmony with the true spirit of Shari'a .

II while putting the principles and tenets of Shari'a into practical application, the ruler should take the utmost care to be fair and just in settling the people's problems and disputes .

Thirdly : Among other fine qualities Islamic Shari'a takes much pride in, is mercy. Numerous Quranic verses and prophetic traditions have laid much emphasis on this aspect of Shari'a describing the prophet, P.B.U.H. as being merciful and ordaining Muslims to treat each other with mercy, and compassion .

Allah, the Almighty, says : —

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (التوبة : ١٢٨) .

"i.e. Now hath come unto you an Apostle from amongst yourselves: it

responded, Oh yes ! the prophet has even forbidden us to face Qibla while urinating or answering the call of nature(1) .

Abu-Hudhaifa, too, may Allah be pleased with him, said, "The Prophet, P.B.U.H., has delivered a sermon in which he dealt, at length, with different subjects, known or unknown; even those pertaining to the Day of Resurrection(2) .

As regards the state of affairs in the Muslim nation, it is noteworthy to refer to the golden epoch of Prophethood and caliphate. The prophet's Sunnah, i.e. his deeds and sayings, represent the second source of Muslim Shari' a. The Prophet, being the spiritual and temporal leader of the Muslims, attended to their affairs, decided on various issues, laid down the boundary-lines of the Muslims' rights and obligations, prescribed the appropriate penalties, took the lead in the battlefield, divided the spoils, led the Muslims in congregational prayers, corresponded with monarchs inviting them to join the fold of Islam. Besides, he regulated all matters relating to sale, lease, marriage, divorce, medication, burial procedures, inheritance, etc .

On the other hand, none of the righteous Caliphs has reportedly excused himself from dealing with any problem or issue under the pretext that it did not fall within his jurisdiction. If it was in compliance with the main tenets and teachings of Islam, the Caliph would undertake it; if it was otherwise, he would condemn it.

II The second evidence: that which is based on the faculty of reason and inference. It is quite inconceivable that Allah the Almighty, the Creator of the entire Universe, may abandon His creatures without catering for them in all their religious as well as mundane affairs .

So, the Islamic legislation is an overall, all-embracing code bearing on the various aspects of the life of the individual and the society as well. It touches on all spheres of human knowledge, viz. economics, sociology, internal and foreign policies, the relationship between the Muslim State and its friends as well as its enemies, in time of war and peace, between the ruler and the subjects; between the employer and the employees; and finally between husband and wife, father and son. Allah the Almighty says .

﴿ما فرطنا فى الكتاب من شيىء﴾ (الأنعام : ٣٨) .

"i.e. Nothing have We omitted from the Book," (VI, 38) .

(1) Narrated by Muslim, Abi Daud & Tirmidhi .

(2) Narrated by Al-Bukhari; Vide Fathul-Bari V. XI P. 494 .

He said in his treatise on "Method and wisdom of Islamic legislation.(1)": "Legislation is the attitude of Shar'i which is the divine institution revealed by the Lord of the Universe upon the prophet Muhammad, P.B.U.H. so that the entire mankind should abide by it, thus attaining felicity in this worldly life as well as the Here-after".

This divine Law which seeks man's happiness and well-being is characterized as stated before, by countless, unique excellences, being Allah's eternal revelation. It is perfect and integrated, free from all deficiencies and imperfections. Allah the Almighty says about the holy Quran, the first of the two essential sources of Islamic Law (Shari'a) :

﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ (النساء: ٨١) .

"i. e. Had it been from other than Allah they would surely have found therein much discrepency"

And : ﴿كتاب أحكمت آياته﴾ (هود: ١) .

i. e. "(This is) a Book with verses basic or fundamental of established meaning (XI,1) .

From the above-quoted verses and the like, we learn the following facts:

First : The Islamic Shari'a, by its very comprehensive nature, encompasses all domains of life, laying down the principles and guidelines regulating man's life in all its aspects .

To substantiate this fact, we cite the following two evidences :

I The first evidence :

— Quotations from the holy Quran and the prophet's traditions as well as examples derived from the living reality of the Muslim nation, especially during the splendid, flourishing era of prophethood, and the righteous Caliphs. Allah the Almighty says :

﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾ (النحل: ٨٩) .

"i.e." and We have sent down to thee the Book explaining all things" (XVI,89) .

Salman al Farisi, may Allah be pleased with him, was told that the prophet, P.B.U.H. had taught the Muslims everything including reading; to this, Salman

(1) Vide Muhammad Al-Shanqeety treatise "The Method and Wisdom of Islamic Legislation" P. 23 .

In the Name of Allah, most Gracious, most Merciful

GLIMPSES OF THE MERITS OF ISLAMIC LEGISLATION

By : Sheikh Muhammad Bin Nasser Al-Suhaibani
Translated by : Muhammad Kamal Ali El-Sayed
(Translation Dept.)

All praise be to Allah, and blessings and peace be upon His prophet Muhammad, his family and his companions .

It is a well known fact that the great religion of Islam is still, most regrettably, exposed to the vilest forms of attack launched by its vicious enemies in many ways varying in strength and weakness with a view to undermining its edifice. Muslims are subject to a long series of torture, murder, rape and expulsion from their homelands .

This malignant campaign against Islam aims, further, at discrediting and sowing seeds of suspicion into it in an attempt to veil its numerous excellences and merits. This is in keeping with Allah's words :

﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا﴾ (البقرة : ٢١٧) .

"i.e. Nor will they cease fighting you until they turn you back from your faith if they can" .

Attempting to repel these wicked attacks and refute the false allegations raised against the divine Message of Islam, I have written this article with the intention of presenting the salient characteristics of the Muslim Faith, revealing its unique distinction and grandeur .

To begin with, I should like to define Islamic Legislation, pointing out the various efforts exerted by Muslim scholars in this respect. It may be deemed appropriate to quote sheikh Muhammad Al-Shanqeety, may Allah's mercy be upon him .



قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي

لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي

وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."

(Qur'an 18:109)

Journal of

THE ISLAMIC UNIVERSITY

OF MADINAH MONAWWARAH

AL-MUHARRAM — SAFAR — RABI-AL-AWWAL 1404 A. H.

QUARTERLY

16 th Year

61